الخارطة الجينية

في ضوء الفقه الإسلامي

عماد الدين حمد عبد الله المحلاّوي

مكتبة حسين العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

الخارطة الجينية

في ضوء الفقــه الإسلامي

الخارطة الجينية
في ضوء الفقــه الإسلامي

عماد الدين حمد عبد الله المحلاّوي



الطبعة : 1434 هـ/ 2013 م

عنوان الكتاب : الخارطة الجينية في ضوء الفقه الإسلامي ـ دراسة تطبيقية

تأليف : عماد الدين حمد عبد الله المحلاوي

عدد الصفحات : 472 صفحة

قياس : 17 × 24

الناشر : مكتبة حسن العصرية

العنوان : بيروت ـ كورنيش المزرعة ـ بناية الحسن سنتر ـ بلوك 2 ـ ط 4

هاتف خليوي : 009613790520

تلفاكس : 009617920452 ـ 009611306951

ص.ب. : 6501 ـ 14 بيروت ـ لبنان

الترقيم الدولي : 2 ـ 59 ـ 561 ـ 9953 ـ 978

E-mail: Librairy.hasansaad@hotmail.com

طبع في لبنان Printed in Lebanon 2013

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[١]

(١) سورة فُصّلت / الآية: ٥٣.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

* إلى حضرة سيدنا محمد ﷺ راجياً منه شفاعة يوم الدين.

* وإلى سبب وجودي.. روح أبي الغالي...

* وإلى نبع التضحية... أمي الحنون...

* وإلى رفيقة دربي الطويل، زوجتي الغالية...

* وإلى أولادي... محمد المحفوظ، ومحمد النبهان، ومحمد الخطاب

* وإلى أخوتي وأخواتي وكل مسلم ومسلمة...

راجياً منهم دعوة لي بظهر الغيب، وأن لا ينسونا من خالص دعائهم آمين

الباحث

شكر وعرفان

أتقدم بوافر الشكر إلى فضيلة الدكتور الشيخ حسن سهيل عبود الجميلي الذي كان له الفضل في قراءة هذه الدراسة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ: (هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (مَا أَلْوَانُهَا) قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: (هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ) قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: (فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ)[1]

(١) صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب ما جاء في التعريض (٦/ ٢٥١١) رقم الحديث (٦٤٥٥)، صحيح مسلم كتاب اللعان، باب إذا عرّض بنفي الولد، (٢/ ١١٣٧)، رقم الحديث (١٨).

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على من جعله الله خاتم الأنبياء، وصفوة خلقه، سيدنا محمد وآله وصحبه.

أما بعد:

لا يخفى أن العلم في تطور وتجدد يوماً بعد يوم، وإن مما أكرم الله البشرية معرفة مبادئ علم الجينات، هذا العلم الذي فتح آفاقاً واسعة وأبواباً شاسعة في سبيل بيان حقيقة هذا المخلوق العجيب وغيره من مخلوقات الله تعالى على هذه البسيطة، وعلم الجينات بحر عظيم لا ساحل له وما عرفه العلماء اليوم ما هو إلّا قطرة في بحر زاخر من مكنون علم الجينات، فالله جل وعلا قد أودع من الأسرار العظيمة والحكم الجليل ما لا يدركه عقل إنسان، وقد أدرك العلماء المبادئ الأولى والأحرف البدائية لهذا العلم واستطاعوا كشف الكثير من هذه الومضة الصغيرة التي برقت لهم من هذا العلم العظيم.

وفي صغري كنت أسمع وأقرأ عن دابة الأرض وأنها قد حوت من كل مخلوق وصفاً فتطورت خبرتي شيئاً ما، وكنت أقول إنه سيأتي اليوم الذي

يعبث به العلماء بالجينات محاولين صنع أو تخليق مخلوق يجمع صفات متناقضة.

وقد كان سبب اختياري لهذا الموضوع هو محاولة ربط هذا العلم بالعلم الشرعي، حتى لا يظن أن العلوم الشرعية رهينة المساجد فقط، بل إن هذا الدين ممثلاً بالقرآن والسنة صالح لكل زمان ومكان كيف لا والقرآن العظيم يقول ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ[1]﴾ لذا فإن هذا العلم على حداثة كشفه قد وجد له صدى في القرآن والسنة بإشارات عظيمة تدلل على وجوده مندرجاً ضمن ما يسمى بالتلميح وهذه الإشارات قد تناولت بعضاً منها ضمن هذه الدراسة.

ويمكننا القول إن بني البشر بعد آدم عليه السلام لم يرو إبليس على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، لقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ[2]﴾ ولكن الصورة البشعة المنطبعة في نفوس البشر جميعاً عندما يذكر إبليس أو الشيطان أراها ـ والله أعلم ـ مستلهمة من الصورة التي رآها أبو البشر آدم عليه السلام في يوم أن أمر الله الملائكة بالسجود له فعصى إبليس ذلك الأمر الإلٰهي فتشوهت صورته إلى أقبح صورة بعد أن كان طاووس الملائكة فرآه أبونا آدم فانطبعت تلك الصورة في جيناته الوراثية وحمضه النووي حتى نقلت إلينا تلك الصورة بذلك الانطباع عند كل البشر عن

---

(١) سورة الأنعام/ الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأعراف/ الآية: ٢٧.

الشيطان الرجيم، وما يقال عن الشيطان يقال أيضاً عن الملائكة حيث طبعت الصورة النقية الصافية لذلك الجنس الذي خلقة الله تعالى وهم الملائكة وهم ممن رآهم أبونا آدم وكان يتعامل معهم ويحادثهم فرآهم على صورتهم الحقيقية التي خلقهم الله عليها لذا فقد انطبعت في جينات أبينا آدم الصورة النقية لجنس الملائكة فانتقلت إلينا عبر الجينات الوراثية تلك الصورة والتي يعبر عنها بالطهر والنقاء والصفاء فيقال وجهه وجه ملائكي كل ذلك من الممكن أنه قد نقل إلينا عن طريق الجينات الوراثية والتي كانت معبأة ومخبأة في مخزونات العلم المكنون الذي تم الكشف عن بعضه ولا زال الكثير منه مجهولاً لنا وصدق الله القائل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا[1]﴾ والله أعلم.

وقد واجهتني أثناء كتابتي لهذه الرسالة صعوبات كثيرة ومن هذه الصعوبات هي قلة المصادر التي عنيت بهذا المجال الطبي والفقهي ولكني عزمت بعون الله على إيجاد ما يمكن إيجاده ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وعزوت سبب ذلك إلى أن هذا العلم لا يزال فتياً وخصوصاً لدينا نحن العرب والمسلمين، وقلة المصادر المترجمة في ذلك، علماً أن مصادره باللغة الإنكليزية كثيرة جداً، لكن ما ترجم إلى العربية يعد قليلاً، ولم أجد دراسة شافية وافية لهذا الموضوع في الجامعات العراقية، وإن كانت هناك بعض الدراسات الجيدة في هذا المجال لكنها لم تتطرق إلى الخارطة الجينية بشكل دقيق ومفصل، فحاولت أن آخذ من كل بستان زهرة وأجمعها وأضيف عليها لإتمام هذه الدراسة، ومن الصعوبات هو أن الطريق لم تكن سهلة للكتابة في موضوع معاصر ويحتاج إلى فهم واستنباط

(١) سورة الإسراء/ الآية: ٨٥.

دقيقين لذا فكلي اعتذار لأولئك الذين تجرأت في التطفل على موائدهم من العلماء الأجلاء في بعض المسائل التي حاولت الجمع فيها بين نصوص شرعية وحقائق علمية كموضوع دابة الأرض وغيرها والتي أسأل الله تعالى التوفيق فيها والرشاد، والبعد عن الزلل والخطأ والعناد.

وقد جاءت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: مدخل إلى علم الجينات

المبحث الأول: التعريف بعلم الجينات

* المطلب الأول: مصطلحات في علم الجينات
* المطلب الثاني: الخارطة الجينية أو (الجينوم) أو (المجين)
* المطلب الثالث: الحمض النووي DNA

المبحث الثاني: الإسلام والتطور العلمي

* المطلب الأول: الإسلام والإعجاز العلمي
* المطلب الثاني: الإسلام.. والعلوم الطبية.
* المطلب الثالث: الخارطة الجينية تدحض نظرية داروين

المبحث الثالث: الخلايا الجذعية وآثار استخدامها

* المطلب الأول: التعريف بالخلايا الجذعية
* المطلب الثاني: استخلاص الخلايا الجذعية بين القبول والرفض
* المطلب الثالث: متى تعتبر حرمة الجنين؟

* المطلب الثاني: الجينات تكشف الجريمة

* المطلب الثالث: الجينات لا تبرر الجريمة

المبحث الثاني: السلاح الجيني والحرب البيولوجية

* المطلب الأول: التعريف بالحرب البيولوجية

* المطلب الثاني: تاريخ الحرب البيولوجية

* المطلب الثالث: الموقف الشرعي من الحرب البيولوجية

* المطلب الرابع: المسلمون والسلاح الجيني

والخاتمة وقد أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، ولا أدعي العصمة في عملي هذا، أو أني أتيت بما لم تستطعه الأوائل بل هذا جهد المقل فإن أصبت فمن الله تعالى وحسن توفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

عماد حمد العبد الله المحلاوي

الفصل الأول:

مدخل إلى علم الجينات

وفيه ثلاثة مباحث

* المبحث الأول: التعريف بعلم الجينات

* المبحث الثاني: الإسلام والتطور العلمي

* المبحث الثالث: الخلايا الجذعية وآثار استخدامها

المبحث الأول:

التعريف بعلم الجينات

وفيه ثلاثة مطالب:

* المطلب الأول: مصطلحات في علم الجينات

* المطلب الثاني: الخارطة الجينية أو (الجينوم) أو (المجين)

* المطلب الثالث: الحمض النووي DNA

المطلب الأول:

مصطلحات في علم الجينات

قبل الخوض في علم الجينات لا بد من تحديد أهم المصطلحات العلمية التي يشتمل عليها هذا العلم والتي تتردد كثيراً في مثل هذه المواضيع ومحاولة التعريف بكل منها، وتجلية حقيقتها، وذلك لأن الحكم على شيء فرع عن تصوره[١]، ومن هذه المصطلحات:

* **الخلية**: كائن حي دقيق لا يرى بالعين المجردة، وتعدّ الوحدة التركيبية والوظيفية في أجسام الكائنات الحية[٢].

ولها تعريف علمي: فهي أصغر وحدة تشريحية وفيزيولوجية (أي

(١) ينظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول: للإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م: ١ / ٢٦، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية: [١ / ٢٥٤].

(٢) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية محمد حسين غزال، الأردن، ط/١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م ص: ٢٨٥.

وظيفية) في كل جسم حي[1].

* **النواة**: عبارة عن جسم كروي يقع في سيتوبلازم الخلية، ويعد الجزء الرئيسي ومركز النشاطات الحيوية في الخلية[2].

* **الكروموسوم: أو (الصبغيات)**: هي حاملات المورثات، فالتعريف العلمي لها: هي تركيب داخل النواة يظهر أثناء انقسام الخلية[3].

والوصف العلمي للكروموسومات: هي خيوط بروتينية توجد على شكل أزواج تنشأ من الشبكة الكروماتينية في نواة الخلية، وتحمل آلاف الجينات المسؤولة عن الصفات الوراثية المكونة من جزيء الـ (DNA)، وتختلف كروموسومات الكائنات الحية، فيحتوي جسم الإنسان ٤٦ كروموسوماً، والقرد يحتوي على ٤٨ كروموسوماً والديك الرومي يحتوي على ٨٢ كروموسوماً، وذبابة الفاكهة ٨ كروموسومات[4].

* **الكروموسومات الجنسية**: عبارة عن زوج من الكروموسمات التي حددها العلماء بأنه الزوج رقم ٢٣ من أزواج الكروموسومات الأخرى، بحيث إنها تحدد جنس المولود (ذكر أم أنثى) ويختلف كروموسوم واحد من زوج الكروموسومات الجنسية في الذكر عن الأنثى، فالأنثى تحتوي كروموسومين متماثلين في الحجم وشكلهما عصوي (XX) أما الذكر فيحتوي على كروموسوم عصوي الشكل كما في الأنثى، والآخر ذو طرف

---

(١) ينظر: الموسوعة الطبية، الشركة للمطبوعات، ١٩٩٨ م: (٩٦٨/٦) ولم يذكر مكان الطبع.

(٢) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية محمد حسين غزال، ص: ٢٤١.

(٣) ينظر: معجم مصطلحات البيولوجيا، شريف فهمي بدوي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط/١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م: ص: ٦٩.

(٤) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية: محمد حسين غزال: ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

واحد منحني (Y) وبناء عليه فإن الأنثى تحمل (XX) والذكر يحمل (XY) وبذلك فإن الذكر في الإنسان هو الذي يحدد جنس المولود وليس كما يعتقد البعض أن الأنثى هي التي تحدد الجنس[١].

* **مادة الـ (DNA)**: هو حمض نووي يوجد في نوى الخلايا، يدخل في تركيبه حمض الفسفوريك والريبوز المنقوص الأوكسجين وقواعد نيتروجينية، يؤدي دوراً هاماً في نقل الخواص الوراثية (المورثات) في الجسم[٢].

* **مادة الـ (RNA)**: هو طائفة من الجزيئات التي تتكون من سلسة واحدة من النيوكليوتيدات، وتلعب دوراً هاماً في نقل المعلومات الوراثية التي تكون في الحامض النوويDNA[٣].

* **الكروماتين**: هي شبكة غير منتظمة من الخيوط أو الحبيبات، والتي

---

(١) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية: محمد حسين غزال: ص ١٩٦، وجاء في كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ما يؤكد هذا المعنى في تراثنا الأدبي العريق، يقول الجاحظ: «ولبُغْضِ البناتِ هجَر أبو حمزةَ الضبيُّ خَيْمةَ امرأتِه، وكان يَقِيلُ ويَبيتُ عند جيرانٍ له، حينَ ولدت امرأتُه بنتاً، فمرّ يوماً بخبائها وإذا هي ترقّصُها وتقول:

ما لأبي حمزةَ لا يأتِينا	غَضْبانَ ألا نلد البَنينا
وإنّما نأخُذُ ما أُعطِينا	يظلُّ في البيت الذي يَلِينا
تاللهِ ما ذلك في أيدينا	ونحن كالأرض لزراعينا

نُنبتُ ما قد زرَعُوه فينا

قال: فغَدَا الشّيخُ حتّى ولَجَ البيتَ فقبَّلَ رأسَ امرأتِه وابنتها» أ هـ. ينظر: البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م: (١/ ٨٥).

(٢) ينظر: معجم مصطلحات البيولوجيا شريف فهمي بدوي: ١٠٥.

(٣) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية: محمد حسين غزال: ص ٧١.

تسمى الشبكة الكروماتينية تظهر قبل انقسام الخلية في نواتها، وبعد أن تبدأ الخلية في الانقسام تنتظم هذه الشبكة إلى خيوط تسمى الكروموسومات التي تحمل الجينات، يتكون الكروماتين من ٦٠٪ بروتين الهستون، ٣٥٪ DNA، ٥٪ RNA تكون الأساس في الوراثة[١].

* **(الجينات)**: التعريف اللغوي: المورثات، والتعريف العلمي: هي صفات أو وحدات وراثية توجد على الكرموسومات، وتكون مسؤولة عن تصنيع البروتينات والأنزيمات في الجسم بواسطة الأحماض النووية[٢].

فهي التي تنقل الصفات الوراثية وتحملها من جيل إلى جيل، وتوجد الصبغيات في نواة الخلية على شكل أزواج صبغية عددها ٢٣ زوجاً في الإنسان أي يبلغ مجموع عدد صبغيات الإنسان ٤٦ صبغياً، ويأتي النصف من الأم والنصف الآخر من الأب[٣].

* الجينوم البشري هو الطاقم الوراثي البشري، وهو ما يعبر عنه بالجين والجينوم والمجين، ويضم في مجموعه كل الجينات المختلفة الموجودة في خلايا البشر[٤].

* **الخلية التناسلية**: هي خلية مصممة خصيصاً لكي تتحول إلى نطفة أو بييضة (نطفة أنثوية)، ويحتوي كل من النطاف والبيض على كرموسوم واحد فقط من الكروموسومات الثلاثة والعشرين المختلفة، غير أن النطفة

---

(١) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية: محمد حسين غزال: ص ٧١ ـ ٧٢.
(٢) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية: محمد حسين غزال: ص ٦٩.
(٣) الموسوعة الطبية، الشركة للمطبوعات: ١٩.
(٤) ينظر: الجينوم البشري القضايا العلمية والاجتماعية: دانييل كيفلس وليروي هود، ترجمة د. أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ م، ص: ٧.

والبيضة الصادران عن الأهل يتحدان عند مرحلة الإخصاب ليعودا ويشكلا المجموع الوراثي المكون من ستة وأربعين كروموسوما (البيضة المخصبة)[1].

* **الخلية الجسدية (الجسمية)**: هي عبارة عن وحدة البناء الأساسية في أجسام الكائنات الحية، ومنها الإنسان، وتنقسم عدة انقسامات غير مباشرة، وتكون حاملة للعدد الأصلي من الكروموسومات وهو (٤٦) كروموسوماً في جميع خلاياها عند الإنسان[2].

* **الخلية المخصبة (اللقيحة)**: خلية ناتجة عن اتحاد خليتين تناسليتين (الحيوان المنوي وبويضة المرأة) وهي أيضاً البويضة المخصبة قبل أن تبدأ عملية التلقيح أو هي المرحلة الثانية في تكوين الجنين، ويسميها البعض: الأمشاج المخصبة[3].

* **الانقسام المتيوزي**: هي إحدى طرائق انقسام الخلية إلى خليتين دون اختزال للصبغيات تنقسم الخلية إلى خليتين ثم أربعة ثم ثمانية.. هكذا حتى يتم تكوين فرد جديد من عدد كبير من الخلايا[4].

* **الانقسام الميوزي**: ويسمى انقسام منصف ـ أو انقسام اختزالي، وهو إحدى طرائق انقسام الخلية التي تميز الخلايا التناسلية حيث يختزل

---

(١) ينظر: علم الوراثة وصحتك، د. راين ألفورد، بيروت، الدار العربية، ط/١، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، ص: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٢) ينظر: مفسر المصطلحات العلمية: محمد حسين غزال، ص: ٨٦.

(٣) ينظر: معجم مصطلحات البيولوجيا، شريف فهمي بدوي: ص ٣٠١١.

(٤) ينظر: معجم مصطلحات البيولوجيا شريف فهمي بدوي: ص ٢٠٧، بين جنون البقر واستنساخ البشر، د. السيد السيد وجيه، القاهرة، مكتبة المعارف الحديثة لم تذكر سنة الطبع، سنة الإيداع ١٩٩٧ م، ص: ٦٧.

عدد الصبغيات إلى النصف في الخليتين الوليدتين[1].

* **الطفرة الوراثية**: تغيير مفاجئ في صفات الكائن الحي تظهر بالمصادفة تلقائياً[2] وتصبح من الصفات الثابتة التي تنتقل بالوراثة وقد يؤدي إلى ظهور أنواع جديدة متطورة من أنواع قديمة[3].

* **التعبير الجيني**: هو انتقال كل المعلومات من الأهل إلى ذريتهم عبر وراثة الـ (DNA) في الصبغيات. تحويل المعلومات المشفرة في الجين عبر الـ (RNA) إلى تراكيب ومواد فاعلة في أنشطة الخلية[4].

* **الهندسة الوراثية**: تعني التدخل في الكيان المورثي (الجينوم) أو البنية الوراثية في نواة الخلية الحية بطريقة من طرق أربع: إما بالحذف أو الإضافة أو بإعادة الترتيب أو بالدمج (دمج مادة وراثية من خلية كائن حي من نوع معين في المادة الوراثية بخلية كائن حي آخر من نوع آخر)[5].

---

(١) ينظر: معجم مصطلحات البيولوجيا شريف فهمي بدوي، ص: ٢٠٧.

(٢) كلمة (مصادفة) فيها تحفظ كبير والتي هي بمعنى العبثية، وظهور الشيء بدون خالق، إذ لا يوجد شيء في المنطق العلمي الصحيح اسمه مصادفة، وقد أكد القرآن ذلك بقوله (إنا كلّ شيء خلقناه بقدر) واللفظة الصحيحة التي يمكن استبدالها بكلمة (مصادفة) هي (موافقة)، علماً أن كلمة المصادفة لغة هي الموافقة، لكن لفظة الموافقة أوفق من لفظة المصادفة في الدلالة على المعنى خصوصاً بعد أن جعل بعض العلماء قانون المصادفة قانوناً علمياً وألبسوه ثوب العلم زوراً وبهتاناً. ينظر: المحيط في اللغة: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آلياسين، عالم الكتب ـ بيروت / لبنان ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م، الطبعة: الأولى: ٨ / ٩٩، عجز العقل العلماني، عيد الدويهي، الطبعة الأولى، شوال ١٤٢٠ هجرية، يناير ٢٠٠٠ ميلادية، دون ذكر مكان الطبع: ص ١١٦.

(٣) ينظر: معجم مصطلحات البيولوجيا، شريف فهمي بدوي: ٢٢٧.

(٤) الموسوعة الطبية: ص ٩٩٢.

(٥) الاستنساخ قنبلة العصر: د. صبري الدمرداش، الرياض، مكتبة العبيكان، ط/١، ١٤١٨ هـ: ص ٥٢.

الخارطة الجينية:

التعريف العلمي للخارطة الجينية يندرج ضمن تعريف مفردات هذا التركيب أو هذا المصطلح وهي كلمة (خارطة) وكلمة (جين).

فالخارطة: من الانْخِراطُ بمَعْنَى الانْتِظام والدُّخول كانْخَرَطَ في السِّلْكِ إذا انْتَظَمَ فيه، وخَرَطْتُ الجَوَاهِرَ: جَمَعْتُها في الخَرِيطَةِ[1].

التعريف اللغوي للجين هي: المورثات وهي التي تنقل الصفات الوراثية وتحملها من جيل إلى جيل[2].

فالخارطة الجينية: هي المجموعة الكاملة للمورثات الموجودة في ٢٣ زوجًا من الكروموزومات[3].

ويمكن التعريف بالخارطة الجينية كمركب بقولنا: (هي انتظام المورثات الناقلة للصفات الوراثية من جيل إلى آخر وفق مجاميع متناغمة في نواة الخلية، وأي اختلال في مركب من مركباتها يعد إخلالاً في وظيفة ذلك الجين وعمله) والله أعلم.

فهذه هي أهم معالم هذا العلم الذي نحن بصدد دراسته والولوج إليه في بيان الخارطة الجينية، وستكون الدراسة ضمن الفصل الأول منقسمة إلى

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية: ١٩ / ٢٤٧.

(٢) الموسوعة الطبية، الشركة للمطبوعات: ١٩.

(٣) الجينوم البشري، كتاب الحياة أ. د. صالح عبد العزيز الكريّم أستاذ علم الأجنة التجريبي، مقال في موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

ثلاث مطالب مهمة تشتمل على بعض المصطلحات آنفة الذكر وذلك للأهمية الكبيرة التي تنطوي عليها هذه المصطلحات والتي تعد المفتاح لدخول هذا العلم الذي هو كالكهف لا بد فيه من إنارة الطريق لكشفه وبيانه.

المطلب الثاني

الخارطة الجينية أو (الجينوم) أو (المجين)

هذه المصطلحات الثلاثة كلها وإن تعددت أسماؤه فهي في الغالب تدل على علم الجينات، فخلال سنوات قليلة، شهد العالم تطوّراً مذهلاً في عدد كبير من مجالات الحياة، وقفز العلم الحديث بالمعلومات المكتشفة ـ الطبية منها والعلمية ـ إلى مسافات كان الوصول إليها أكبر من القدرة على التخيّل.

لقد شاء الله أن يضع أكبر سر من أسرار خلق الإنسان ضمن ما يسمى بالمادة الوراثية الموجودة في كل خلية من خلايا الجسم، وبشكل أدق، فإن هذه المعلومات والأسرار وُضعت في داخل نواة الخلية التي لا يمكن رؤيتها إلاّ تحت المجهر وبعد أن يتم تكبيرها آلاف المرات، أما المادة الوراثية نفسها، فهي موجودة على شكل خيوط رفيعة متطاولة ومتناثرة ضمن النواة، وهذه الخيوط تسمى بالحمض النووي الـ (DNA)[1].

---

(١) ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشفرة الوراثية ومستقبل البشر، موسى محمد العبد الخلف مجلة العربي، مجلة عربية مصورة شهرية جامعة تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت، العدد ٥٠٢، سنة ١/٩/ ٢٠٠٠.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الكائنات جميعاً، وجعل لكل كائن خصائصه التي تميزه عن غيره، وخلق لكل كائن منظومة دقيقة لتحديد تلك الخصائص من خلال طاقم وراثي شديد الخصوصية، ولضمان استمرار خصائص كل كائن تم حمايته من جيل إلى جيل، فقد خلق الله سبحانه وتعالى منظومة بالغة الدقة لنسخ الطاقم الوراثي لكل كائن إلى نسختين متطابقتين قبل تكاثر الكائن إلى كائنين(١).

ونظراً لأن المادة الوراثية لجميع الكائنات الحية تتكون من تركيبة موحدة، وأن التباين بين مادة وراثية لكائن وآخر هو في تفاصيل تلك التركيبة، فتلك التفاصيل هي ما يعطي لكل نوع من الكائنات خصوصيته الشديدة(٢).

ولضمان عدم اختلاط مادة وراثية من كائن لآخر فقد خلق الله منظومة إضافية تمنع اختلاط المادة الوراثية بين الكائنات، تعتمد على عدد من العوائق المانعة لذلك الخلط، وتتدرج بين الفصل في القدرة على التزاوج إلى أنظمة كيميائية أحيائية ـ بالغة الدقة ـ داخل الخلية، تتعرف على أي مادة وراثية غريبة تتسلل إلى داخل الخلية وتحطمها(٣).

يتكون جسم الإنسان من بلايين الخلايا التي تتمايز لتكوين أنسجة وأعضاء الجسم المختلفة التي تقوم بوظائف محددة لكل منها وتحتوي كل

---

(١) الهندسة الوراثية بين مخاطرها ومواجهة الجوع، أ. د أسامة محمد الطيب: ٢٠٠٥/ ٨/٣ الثلاثاء على موقع إسلام أون لاين http://www.islamonline.net/arabic/science/ article06.shtml.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

خلية على نواة بها المادة الوراثية التي تتحكم في وظيفة الخلية وانقسامها وتتكون المادة الوراثية من الكروموسومات (الصبغيات) والتي يبلغ عددها ٢٢ زوجاً من الصبغيات البدنية (Autosomes) وزوجاً واحداً من الصبغيات الجنسية (Sex Chromosomes) التي تحدد جنس الفرد ذكراً (XY) أم أنثى (XX).

وتتكون الكروموسومات من الحمض النووي والبروتينات (القاعدية والحمضية)، ويحتوي الحمض النووي على المورثات والتي توجد في نواة الخلية وتوجد على هيئة مجموعات من القواعد النيتروجينية ويبلغ طول الحمض النووي منزوع الأكسجين حوالي (١,٦) متر[١].

فالتعريف العلمي للخارطة الجينية يندرج ضمن تعريف مفردات هذا التركيب أو هذا المصطلح وهي كلمة (خارطة) وكلمة (جين).

وقد مرّ تعريفهما، كما مرّ التعريف بهما كمركب.

ويقع مفهوم الجين بالطبع في مركز القلب من علم الوراثة: لكن الجينات لا تعمل إلاّ متناغمة معاً ـ أي إن مفهوم الجين يتضمن من البداية خريطة للجينات لمواقعها وعلاقاتها ثم ـ فيما بعد ـ لتتابع وحداتها الكيماوية الفرعية[٢].

وبالرغم من دخول الجين البشري في المكانة التي تحظى بها اللقائح كونه جزءً لا ينفك عنها إلاّ أنه يفوقها قدراً ومكانة لما يحويه من معلومات

---

(١) ينظر: «تعريف الفحص الوراثي»: إعداد الأستاذ الدكتور محسن بن علي الحازمي ضمن حلقة نقاش «الفحص الوراثي ودلالاته... نواحي أخلاقية» مجموعة من العلماء: ١٥ شعبان ١٤٢٥ هـ: ص ١٠.

(٢) الشفرة الوراثية: ٥٠.

دقيقة ومفصلة عن ماضي الإنسان صاحب الجين وحاضره ومستقبله، ويمكن استقراء أهمية الجينات ومكانتها من خطورة المعلومات التي تحويها[1].

إن الناظر إلى جسم الإنسان ببنيته العامة والخاصة وما فيها من الإعجاز في الخلق لا يسعه إلاّ أن يشكر الله ويحمده على ما أعطى لهذا الجسم من حسن التقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ[2]﴾.

فهذا الجسم الذي يتكون من مجموعة من الأجهزة والتي تتألف بدورها من مجموعة من الأعضاء المكونة من مجموعة من الأنسجة حتى نصل إلى اللبنة الأساسية في هذا البناء ألا وهي الخلية.

فالخلية هي وحدة بناء هذا الجسم مع التباين الكبير في أشكالها ووظائفها، فكل نسيج يعمل في تناسق لخدمة هذا الإنسان ثم إن الجسم بمجموعه مسخر من الله ـ عز وجل ـ لخدمة هذا الإنسان، فجميع الأجهزة تعمل دون كلل أو ملل[3].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك تنوعاً كبيراً للذخيرة الوراثية بين الكائنات الحية وقد أثبتت البحوث العلمية أن المواد الوراثية الفعّالة والنشطة عند الإنسان لا تزيد على الثلاثة بالمائة، أما السبعة والتسعون في المائة الباقية

---

(١) موقف الشرع إزاء ملكية الجينات البشرية، ينظر: أ. د أمين بن صالح كشميري، ورقة عمل ضمن سجل الأوراق العلمية لحلقة نقاش (من يملك الجينات؟) التي عقدت في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض: ص ١٢٩ ـ ١٤٥.

(٢) سورة التين/ الآية: ٤.

(٣) الأسرار الخفية في حياة الخلية الأستاذ الدكتور عبد الكريم جبر السلال جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، بحث في موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

فلم تكتشف وظائفها حتى الآن[1].

إن مشروع قراءة الجينوم البشري وهو: (رسم خريطة الجينات الكاملة للإنسان) هو جزء من تعرف الإنسان على نفسه وإعمال للآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ[2]﴾، ومثيلاتها من الآيات ولما كان قراءة الجينوم وسيلة للتعرف على بعض الأمراض الوراثية أو القابلية لها فهي إضافة قيمة إلى العلوم الحية في مسعاها لمنع الأمراض أو علاجها أصبح هذا العلم من العلوم المهمة والتي ينبغي تعلمها والتدراس فيها في المجتمعات الإسلامية[3].

وقد ظهرت كلمة (جين) لأول مرة نحو عام ١٩٠٩ م، وفي عام ١٩١٠ نشر أول برهان على وجود موقع محدد لجين معين ـ على إمكان أن ننسب جيناً معيناً إلى (كروموزوم) معين، ثم ظهرت عام ١٩١٣ م أول خريطة وراثية وكانت تبين المواقع النسبية لستة جينات على كروموزوم واحد ومع زيادة النظم التجريبية للكائنات والتقنيات التي يستخدمها الوراثيون، تغير ـ خلال ثلاثة أرباع القرن ـ مفهوم الجين وتعمق ومعه بالتكامل فكرة الخرائط الجينية والتتابعات، والآن يعتزم البيولوجيون أن يقوموا بعمل خريطة جينية كاملة وأن يسلسلوا طاقماً بأكمله من الجينات لكائن غاية في

(١) ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشفرة الوراثية ومستقبل البشر، موسى محمد العبد الخلف، مجلة العربي، العدد ٥٠٢، سنة ١/٩/ ٢٠٠٠ م.

(٢) سورة فصلت /الآية: ٥٣.

(٣) ينظر: رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصر، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة، هذه توصيات المؤتمر الحادي عشر للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية حول الوراثة والهندسة الوراثية والجينيوم البشري والعلاج الجيني الذي عقد في الكويت في جمادى الآخر ١٤١٩ هـ.

التعقيد ـ وهو الإنسان ـ يحمل من الجينات ما لا يقل عن خمسين ألفاً بل وربما بضعة أضعاف هذا العدد ذاك بالطبع هو مشروع الجينوم البشري[١].

إن جوهر الجينوم البشري وتعدد جوانبه إنما يكمن في تفصيلاته، في المعلومات المحددة عن كل الجينات التي نملكها (ويقدر عددها بما يتراوح ما بين ٥٠,٠٠٠ و١٠٠,٠٠٠ جين)، وعن كيفية إسهام هذه الجينات في وجود ذلك العدد الهائل من الخصائص البشرية، وعن الدور الذي تلعبه (أو لا تلعبه) في الأمراض والتنامي والسلوك[٢].

وقد دلت الاكتشافات الطبية أنه يوجد في داخل النواة التي تستقر في خلية الإنسان (٤٦) من الصبغيات (الكروموسومات) وهذه الكروموسومات تتكون من المادة الوراثية ـ الحمض النووي الريبوري اللأكسجيني ـ والذي يرمز إليه بـ (DNA) أي الجينات الوراثية، وكل واحد من الكروموسومات يحتوي على عدد كبير من الجينات الوراثية قد تبلغ في الخلية البشرية الواحدة إلى مائة ألف مورثة جينية تقريباً وهذه المورثات الجينية هي التي تتحكم في صفات الإنسان، والطريقة التي يعمل بها، بالإضافة إلى وظائف أخرى تنظيمية للجينات[٣].

---

(١) الشفرة الوراثية للإنسان: القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، تحرير: دانييل كيفلس، وليروي هود، ترجمة: د. أحمد مستجير، يناير / ١٩٩٧ م: ضمن سلسلة عالم المعرفة، الكويت برقم(٢١٧): ص ٥٠.

(٢) الشفرة الرواثية للإنسان: ص ٧.

(٣) البصمة الوراثية ومدي مشروعية استخدامها في النسب والجناية، تأليف عمر بن محمد السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، بحث ضمن مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مجلة دورية محكمة يصدرها المجمع الفقهي الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي، المشرف العام الأستاذ الدكتور: عبد الله عبد المحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة. الطبعة الخامسة، العدد ١٥ السنة الثالثة عشرة، ص ٣٤.

وقد أثبتت التجارب الطبية الحديثة بواسطة وسائل تقنية في غاية التطور والدقة: إن لكل إنسان جينوماً بشرياً يختص به دون سواه، لا يمكن أن يتشابه فيه مع غيره أشبه ما يكون ببصمة الأصابع في خصائصها بحيث لا يمكن تطابق الصفات الجينية بين شخص وآخر حتى وإن كانا توأمين[1].

وللأهمية العلمية والطبية لقراءة هذه المورثات قامت مؤسسة في الولايات المتحدة الأمريكية بمتابعة هذا العمل أطلقت على نفسها (Hugo) Human Genome Organization وقد خصصت لذلك مبلغًا قدره (٣,٠٠٠) مليون دولار لهدف قراءة الخارطة الوراثية فقط GenticMapping وذلك يعني بالدرجة الأولى فتل الكروموزومات وفك تلك الصيغ الكيميائية للجينات على كل كروموزوم ومعرفة ترتيب المعلومات الوراثية الكاملة عند الإنسان من خلال تحديد نوع وتسلسل الجينات الموجودة في الحقيبة الوراثية (genome).

بدأ تنفيذ مشروع الجينوم البشري عام ١٩٩٠ م وكان من المقرر أن ينتهي خلال خمسة عشر عامًا ٢٠٠٥ م، لكن دعم المشروع مالياً وتقنياً سرّع في خطوات فك رموز المورثات وكذلك المشاركة الفعالة من عدة دول جعل له أثرًا كبيرًا في التنافس مما بشر باكتماله والانتهاء منه ونشره كأطلس وراثي للخصائص والصفات البشرية، في مساء ٢٦ يونيو من العام (٢٠٠٠ م)[2].

ولهذا المشروع أهداف يمكن إجمالها بالآتي:

---

(١) البصمة الوراثية ومدي مشروعية استخدامها في النسب والجناية، ص ٣٤.

(٢) أ. د. صالح عبد العزيز الكريّم أستاذ علم الأجنة التجريبي، مقال في موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

١ ـ التعرف على المائة ألف مورث (جين) في DNA الإنسان.

٢ ـ تحديد تسلسل الثلاثة بلايين صيغة كيميائية للكروموزومات.

٣ ـ تخزين تلك المعلومات في قاعدة بيانات (معلومات).

٤ ـ تطوير ذلك من خلال تحليل تلك المعلومات.

٥ ـ تحويل تلك التقنيات إلى القطاع الخاص للإفادة منها.

٦ ـ متابعة الإصدارات الأخلاقية والتنظيمية والاجتماعية للمشروع[١].

وما توصل إليه العلماء هو قراءة كتاب للمعلومات الوراثية فقط لكن فهم هذا الكتاب واستيعابه وبالتالي الإفادة القصوى من جميع معطياته يحتاج مزيدًا من التقصي والبحث ويحتاج مزيدًا من الدعم المالي ومزيدًا من المتخصصين والعلماء وهذا هو الهدف البعيد لمشروع الجينوم البشري[٢].

يحوي نواة الخلية البشرية على ٤٦ صبغاً (كروموسوماً) قد جمعها الله مناصفة ٢٣ صبغاً من كل من الأب والأم (البييضة والحوين المنوي)، ويبلغ عدد المورثات (الجينات) الموجودة في نواة الخلية الواحدة ما يقرب من مائة ألف مورثة، تترتب هذه المورثات بطريقة تتابعية وعلى شكل صيغ كيميائية ذات تسلسل بين أربع قواعد نيتروجينية هي الأدنين (A) والثيمين

---

(١) الجينوم البشري البشري... كتاب الحياة. أ. د. صالح عبد العزيز الكريّم أستاذ علم الأجنة التجريبي، مقال في موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

(٢) الجينوم البشري البشري... كتاب الحياة. أ. د. صالح عبد العزيز الكريّم أستاذ علم الأجنة التجريبي، مقال في موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

(T)، والسيتوزين (C)، والجوانين (G).

وقد اتفق العلماء على تسمية هذا الترتيب للعناصر الوراثية بالشيفرة، ومن الجدير بالذكر أن من أصعب الأمور التي تواجه العلماء ليس في قراءة الشيفرة فحسب، بل في الفهم الصحيح لهذه القراءة، إن القراءة الكاملة للذخيرة الوراثية ربما يكون ممكناً في الفترة القادمة، أما موضوع الفهم الصحيح لهذه الكتابة فقد يمتد إلى عشرات أو مئات السنين أو قد لا نصل أبداً إلى الفهم الكامل والتام لكيفية عمل المورثات وكيفية تفاعلها مع بعضها البعض بشكل واضح[١].

إذا كانت أي لغة في العالم تحتوي على ٣٠ إلى ٤٠ حرفاً يتم منها تشكيل ملايين الكلمات والجمل والعبارات، فإن المادة الوراثية الموجودة في خلية واحدة من خلايا الإنسان تحتوي على ٢,٣ بليون حرف كل منها عبارة عن جزيء من الأحماض النووية المسمّاة: الأدنين (A) والثيمين (T)، والسيتوزين (C)، والجوانين (G)، وبإمكان تلك الأحرف أو الجزيئات أن تعطي عدداً غير محدود من الكلمات، والكلمة هنا يمكن أن تعني بروتيناً أو أنزيماً والذي يكون مسؤولاً عن وظيفة محددة داخل الخلية، وهكذا فإن هذا الاختلاف والتنوّع الكبير في البروتينات الموجودة في الخلايا هو السبب في أن تكون الخلية متميزة لأداء دور محدد وهو الذي يجعل منها خلية عصبية أو خلية جلدية أو خلية تكاثرية كالبويضة أو النطفة. وهكذا فإن جميع خلايا الجسم تحتوي على المادة الوراثية نفسها، غير أنها تختلف فيما بينها في نوعية المورثات

---

(١) ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشيفرة الوراثية ومستقبل البشر، موسى محمد العبد الخلف مجلة العربي، العدد ٥٠٢، في ١/٩/٢٠٠٠ م.

النشطة في داخل كل خلية[1].

بعد إتمام قراءة الشيفرة الوراثية وحل رموزها سيصبح ممكناً الغوص بعيداً في مجالات كثيرة كانت خافية عنّا، وبالرجوع إلى المعلومات المتوافرة الآن من هذا المشروع، فإنه سيكون ممكناً العودة إلى الوراء آلافاً كثيرة من السنين لقراءة التاريخ البشري، فمثلاً سيكون من الممكن رسم خارطة جديدة لتطوّر البشرية ولحركتها خلال العصور السابقة، فمن المعروف أن العرب وخلال عصر الازدهار الإسلامي في زمن الأمويين فتحوا إسبانيا وأسسوا فيها دولة الأندلس، وبقوا هناك مئات السنين، وقد امتزجوا مع أهل البلاد الأصليين[2].

فإذا أردنا مثلاً معاينة وتحديد الأشخاص الذين يعيشون في إسبانيا الآن، ومحاولة معرفة العائلات الأصلية التي انحدروا منها، والتي تعيش الآن في بلاد الشام، فإن ذلك ممكن بفضل النتائج التي تم الحصول عليها من مشروع حل الشيفرة الوراثية، وهكذا فسيكون ممكناً إثبات أنهم يحملون مورثات من أصل شامي، وكذلك فقد يصبح ممكناً تحديد العائلات الشامية التي انحدروا منها وهم من بني أمية. وكذلك فقد يكون من الممكن تحديد علاقة القربى بين بعض القبائل الإفريقية مع العرب، وذلك بمقارنة مورثاتهم بمورثات أهل اليمن، وهكذا فإن المدّعين بالانتساب إلى العروبة أو إلى أي جهة أخرى، سيعرفون الجواب الشافي

---

(١) ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشفرة الوراثية ومستقبل البشر، موسى محمد العبد الخلف مجلة العربي، العدد ٥٠٢، ١/٠٩/٢٠٠٠.

(٢) التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، تأليف: د. عبد الحسن صالح، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٨١ م. برقم (٤٨): ص ٢٥.

بمجرد تحليل بسيط لمورثاتهم والتي يمكن الحصول عليها من قطرة دم واحدة. وقد تسمح هذه الدراسات بتحديد مكان الإنسان الأول وربما أيضاً الزمن الذي خُلق فيه[١].

وخلاصة القول: إن الجينات نفسها تحوي سجلًا لماضي الجسم كما تحوي شفرة وخريطة لمستقبله[٢].

فالخارطة الجينية ما هي إلّا كشف لهذا السجل بكل ما يحتويه من معلومات غاية في الدقة، لماضي الشخص أو مستقبله، ومحاولة الفهم الصحيح لهذه اللغة المعقدة التي كتبت بها. والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه.

المطلب الثالث

الحمض النووي DNA

إن الأساس الكيماوي للجينات هو الأحماض النووية في النواة وبالذات حامض دي أوكسي رايبوز النووي (DNA)[١].

إن المادة الجينية (DNA) التي تحتوي على المعلومات الوراثية تتحكم بانقسام الخلية وتمارس سيطرتها وتحديد خواص الخلية من خلال توجيه السيطرة على كافة الفعاليات الحيوية بالخلية بتحكمها بتكوين الخمائر التي بدورها تسيطر على التفاعلات الكيماوية[٢].

بعد أن عرف العلماء طبيعة ووظيفة الصبغيات أو الكروموزومات وهي أجسام صغيرة جداً لا ترى بالعين وتوجد داخل كل خلية، وهي مكونة من أشرطة مسجل عليها صفات الكائن المادية، وهذه الأشرطة تسمى

---

(١) الخلية: تأليف الدكتور محمود حياوي، رئيس قسم التشريح والأنسجة والأجنة، كلية الطب ـ جامعة بغداد، طبع بمطابع مديرية الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د. ت: ص ١١٣.
(٢) المصدر نفسه.

الجينات. وتقدم العلم فاكتشف أن هذه المورثات أو حاملات الصفات ما هي إلّا سلم مزدوج من مادة تسمى D.N.A الحمض النووي المعروف الآن بحامل الشفرة الوراثية.

وبعدها درس العلماء خصائصه وتعرفوا عليها، ووجدوا ما يأتي:

١ ـ إن D.N.A هو حامل الشفرة الوراثية.

٢ ـ إن الصفات التي يحملها تترجم منه إلى بروتينات تتجسد على هيئة الصفة المطلوب تنفيذها.

٣ ـ إن كل خيط يمكن أن يكون قالباً يتكون عليه خيط جديد يتزاوج معه مستخدماً وحداته البنائية من السيتوبلازم .

٤ ـ إنه يمكن قطع ووصل هذا اللولب المزدوج بوسائل تقنية متعددة وفي أماكن مختلفة. كما يمكن بسهولة فصل زوجي اللولب.

٥ ـ إنه يمكن قص ولصق قطعة منه من مكان لآخر.

٦ ـ إن تغييراً أو تدميراً يشوه هذا النظام يؤدي إلى: إما نتيجة قاتلة للكائن أو حالة مرضية مترتبة على تعطل صفة من صفاته والتي تختلف من حيث أهميته.

٧ ـ إن تركيب D.N.A ومكوناته هي [سكر، وأدنين، وفوسفات] وهذه التركيبة مشتركة في جميع الكائنات من الفيروس إلى الفيل.

وهذه الملحوظات فتحت الطريق أمام العلماء لمزيد من التجارب من خلال إدخال وإخراج أجزاء من هذه الشفرة الوراثية ومن خلال قطع ووصل أجزائها بل ومحاولة إدخال أجزاء من D.N.A لكائن معين إلى أجزاء من D.N.A لكائن آخر(١).

---

(١) أضواء على الهندسة الوراثية بقلم الدكتور حسين اللبيدي موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.55a.net)

ويدخل في تركيب الـ DNA أربعة قواعد نتروجينية هي الأدنين (A) والثيمين (T)، والسيتوزين (C)، والجوانين (G)[١].

وتكمن المعلومات الوراثية لأي خلية من تتابع الشفرة الوراثي (تتابع القواعد النيتروجينية الأربعة التي وهبها الله للحياة، . . . التي تكون المادة الوراثية في صورة كلمات وجمل تقوم بتخزين المعلومات الوراثية في لوح محفوظ مسؤول عن حياة الفرد[٢].

فإذا اختل هذا الترتيب وجاءت قاعدة نيتروجينة مكان أخرى فإن الشكل أو الوظيفة المسؤولة عنها هذا الجين تتغير وربما يصاب الإنسان بتشوه خلقي أو مرضي معين نتيجة الخلل في تكوين هذا الجين.

وقد تبين للعلماء أن (الدنا) الوراثي هو المادة الوراثية لكل صور الحياة تقريباً يوجد داخل كل إنسان مادة وراثية تحوي مورثاته السابقة منذ بدء الخليقة وكل إنسان يتميز بجينوم لا مثيل لها على الإطلاق فهي تختلف بتركيبها الحرفي عن أي شبيه بين أكثر من ستة مليارات شخص، منذ أن جاء الإنسان إلى هذا الوجود ولن يكون مثله ولو طالت العصور[٣].

وقال الدكتور عبد الهادي مصباح: (الحامض النووي عبارة عن بصمة جينية لا تتكرر من إنسان إلى آخر بنفس التطابق، وهي تحمل كل ما سوف يكون عليه هذا الإنسان من صفات وخصائص، وأمراض وشيخوخة،

---

(١) الخلية: تأليف الدكتور محمود حياوي: ص ١١٥.

(٢) الأساليب الوراثية لإثبات النسب. موقع إسلام أون لاين الثلاثاء http:// www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml مارس/ ٢٠٠٠ م.

(٣) العصر الجينومي ـ استراتيجيات المستقبل البشري ـ د. موسى الخلف، الكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، عدد (٢٩٤) مطابع السياسة، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م: ص ١٠٥.

وعمر، منذ التقاء الحيوان المنوي للأب ببويضة الأم وحدوث الحمل)[١].

تكون الجينات في وصفها العلمي من تتابع القواعد النتروجينة في كلمات وجمل تقوم بتخزين المعلومات الوراثية في لوح محفوظ مسؤول عن حياة الفرد من الإنبات إلى الممات.

وقد كان شك العلماء يدور حول الحامض النووي (DNA) الموجود في نواة الخلية والذي تم اكتشافه في عام ١٨٦٩ م على يد الطبيب السويسري فريدرك ميشر بأنه هو المسؤول عن نقل الصفات الوراثية من جيل إلى جيل في الكائنات الحية. وفي عام ١٩٥٣ م تمكن عالمي الأحياء فرانسيس كريك وجيمس واطسون[٢] باستخدام الأشعة السينية من كشف تركيب الحامض النووي ووجدوا أن كامل مواصفات أجسام الكائنات الحية

---

(١) الاستنساخ بين العلم والدين. د. عبد الهادي مصباح، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م: ص، ١٠٥.

(٢) (فرانسيس كريك) المتوفى عام ٢٠٠٤ عن عمر ٨٨ عاماً ـ هو أحد العالمين اللذين اكتشفا تركيب الحامض النووي في الخمسينيات. والعالم الثاني هو ولد واطسون في شيكاغو في ٦ أبريل ١٩٢٨، التحق بجامعة شيكاغو وعمره ١٥ عاماً، وحصل على البكالوريوس عام ١٩٤٧. ورفضت جامعة هارفارد ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا (كالتك) تسجيله للدراسات العليا، فسجل في جامعة إنديانا حيث حصل على الدكتوراه في علم الوراثة عام ١٩٥٠، فقد أحدث كريك وشريكه ثورة بين عامي ١٩٥٣ و١٩٦٦ في علم الأحياء عن طريق اكتشافه الفعلي لسر الحياة، أو الشفرة الرقمية لعلم الوراثة التي تميز الكائن الحي عن غير الحي، الشفرة الوراثية، وقد كان اكتشافهما هذا واحداً من أهم الاكتشافات في تاريخ العلم الذي اقتضى عملاً دؤوباً وكمّاً هائلاً من المعرفة، وفوق ذلك ذكاءً شديداً، وتقديراً لذلك كله فقد نال جائزة نوبل. ينظر: أهمية الضمير في القرآن الكريم: هارون يحيى، ترجمة مصطفى ستيتي: ص ١٦، كتاب فرنسيس كريك مكتشف الشفرة الوراثية تأليف: مات ريدلي ترجمة تحقيق: إيمان فتحي سرور ـ أسماء محمد عادل، الناشر، كلمات عربية، سلسلة: سير العظماء، تاريخ النشر ٢٠١٠ م.

مكتوبة بطريقة رقمية على شريط طويل ودقيق من الحامض النووي مخزن في نواة الخلية وهو من الصغر بحيث لا يمكن رؤيته حتى بأقوى الميكروسكوبات الضوئية.

وبهذا الاكتشاف العظيم تمكن هذان العالمان من فك أعظم سر من أسرار الحياة وهو الكيفية التي يتم من خلالها توريث مواصفات أجسام الكائنات الحية إلى ما تنتجه من كائنات جديدة وكذلك الطريقة التي يتم بها تصنيع كائنات جديدة ابتداء من خلية واحدة[(١)].

إن هناك صلة وثيقة بين الرجل والنحلة والزهور والميكروبات ولكنها بالقطع ليست صلة رحم بل هي صلة في الأصول التركيبية للحمض النووي[(٢)].

وهذا يدل على أن الصانع واحد لا كما ادعاه داروين ومن قال بمثل مقالته.

فالجينات التي تنقل الرسالة الوراثية من جيل لآخر، وتوجه نشاط كل خلية، هي عبارة عن جزيئات عملاقة تكوّن ما يشبه الخيوط الرفيعة المجدولة تسمى الحمض النووي الريبوزي المختزل DNA، وتحتوي هذه الرسالة الوراثية على كل الصفات الوراثية، بداية من لون العينين حتى أدق

---

(١) (ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين)، مقال للدكتور منصور أبو شريعة العبادي جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، منتديات الديار العربية، المنتديات العامة، القسم الإسلامي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.55a.net)، ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٩ م.

(٢) لغة الكيمياء، عند الكائنات الحية، تأليف: د. أحمد مدحت إسلام، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٨٥ م: ١١٣.

التركيبات الموجودة بالجسم. وتترتب الجينات في خلايا الإنسان على ٢٣ زوجًا من الكروموسومات في نواة الخلية، والكورموسومات مركبة من الحمض النووي وبروتينات، وهذه البروتينات تلعب دورًا مهمًا في المحافظة على هيكل المادة الوراثية، وتنظم نشاط تعبير الجينات الذي يؤدي إلى تكشف وتكوين الفرد الكامل من خلية الزيجوت، وتوجد بعض الجينات في الميتوكوندريا، وتورث عن طريق الأم(١) . . .

إن الغرض الأكيد من فك السلسلة الجينية للإنسان هو تطور استراتيجية فاعلة للوقاية والعلاج من الأمراض الوراثية(٢).

ويتحكم في الصفة الوراثية مورث واحد أو أكثر لكن المورث بشكل عام عبارة عن العديد من آلاف القواعد النيتروجينية ذات نمط ترتيبي قاعدي ثابت لذا يعزى التباين الواضح بين الكائنات الحية إلى الاختلاف في نمط ترتيب القواعد النيتروجينيه على طول شريط الـ (DNA) لكل كائن حي(٣).

إن أكثر ما أثار دهشة علماء الأحياء في شريط الحامض النووي هو أن الطريقة التي تمت بها كتابة تعليمات تصنيع الكائنات هي نفس الطريقة التي يستخدمها الحاسوب الرقمي لتخزين مختلف أنواع المعلومات في ذاكرته وفي تنفيذ برامجه. ولقد ترتب على هذا الاكتشاف العظيم تحول كبير في المفاهيم المتعلقة بالطريقة التي تمت بها عملية خلق الكائنات الحية من

---

(١) الأساليب الوراثية لإثبات النسب، موقع إسلام أون لاين الثلاثاء. http:// www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml مارس/ ٢٠٠٠ م.

(٢) «تعريف الفحص الوراثي»: الدكتور محسن بن علي الحازمي: ص ١٠ .

(٣) الهندسة الوراثية وعلاج السرطان. . .

التراب وخاصة تلك المتعلقة بنظرية التطور والتي أصيبت بصدمة كبيرة بعد هذا الاكتشاف، ويعود سبب هذه الصدمة إلى اكتشاف العلماء أنه لا يمكن تعديل أيّ جزء من أجزاء الكائن الحي مهما بلغت بساطة تركيبه إلّا من خلال تعديل المعلومات الرقمية المكتوبة على هذا الشريط. وهذا يعني أن عملية تطور أيّ كائن حي إلى كائن حي آخر يتطلب إعادة كتابة أو تعديل برنامج التصنيع الرقمي المخزن على شريط الحامض النووي وهذا يتناقض تماماً مع التصورات التي وضعها داروين لعملية تطور الكائنات الحية. وكذلك فإنه لا يمكن لعاقل أن يصدق أن الصدفة التي لا عقل لها يمكنها أن تنحى هذا المنحى في اختراع هذه الطريقة الرقمية لتصنيع الكائنات فمثل هذه الفكرة بالغة الذكاء لم تخطر على عقول البشر إلّا في هذا العصر حيث إن تنفيذها يتطلب تصنيع مكونات بالغة التعقيد وبالغة الصغر داخل خلايا هذه الكائنات[1].

وإذا تم تمديد جديلة الدي إن إيه الموجودة في أي خلية من خلايا الإنسان فسيبلغ طولها مترين. وإذا وضعت جميع جزيئات الحمض النووي للجسم البشري سوية من نهايات أطرافها؛ فإنها قد تصل إلى الشمس وترتد أكثر من ٦٠٠ مرة[2].

إن سر الحياة الأعظم يكمن في قدرة الشريط الوراثي على إنتاج نسخة

---

(١) ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين، مقال للدكتور منصور أبو شريعة العبادي جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، منتديات الديار العربية، المنتديات العامة، القسم الإسلامي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.55a.net)، ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٩ م.

(٢) اللولب المزدوج «يحكي قصة الحياة»، د. طارق قابيل موقع إسلام أون لاين http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml، الأربعاء. ١١/ يونيو/ ٢٠٠٣ م.

عن نفسه بنفسه وبهذا السر تستطيع الخلايا الحية أن تنتج نسخاً عن نفسها بنفسها وتستطيع الكائنات الحية أن تنتج نسخاً عن نفسها بنفسها. ولولا هذه الخاصية الفريدة لهذا الشريط لما أمكن للحياة أن تدوم على سطح هذه الأرض منذ آلاف الملايين من السنين وإلى أن يشاء الله[١].

إن عملية نسخ المعلومات عن الشريط القديم وتخزينها على شريط جديد تتم بسرعة عالية نسبياً حيث تتراوح بين ألف حرف في الدقيقة في الإنسان ومليون حرف في الدقيقة في البكتيريا. وهذا على عكس المتوقع فحجم المعلومات المخزنة على شريط الإنسان يزيد بملايين المرات عن حجم المعلومات على شريط البكتيريا فكان من المفترض أن تكون سرعة النسخ في الإنسان أعلى منها في البكتيريا. ولكن الذي قام بتحديد سرعة النسخ هو من أحاط بكل شيء علماً وليست الصدفة فهو يعلم سبحانه أن تقليل سرعة النسخ في الإنسان كان بهدف تقليل نسبة الخطأ في المعلومات المنقولة حيث إن نسبة الخطأ تزيد مع زيادة سرعة النسخ كما هو معروف[٢].

إن السرعة العالية للنسخ في البكتيريا كفيلة بإتمام عملية نسخ شريطه في دقائق معدودة ولكن نسخ شريط الإنسان بمعدل ألف حرف في الدقيقة يحتاج لما يقرب من ست سنوات وهذا يعني أن تصنيع الإنسان ابتداء من خلية واحدة يحتاج لما يقرب من ثلاثمائة عام. ولكن بقدرة

---

(١) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، مقال للدكتور منصور أبو شريعة العبادي جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، منتديات الديار العربية، المنتديات العامة، القسم الإسلامي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.55a.net)، ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٩ م.

(٢) المصدر نفسه.

الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً أصبحت المدة التي يحتاجها الشريط الوراثي لإنتاج نسخة جديدة عنه لا تتجاوز نصف ساعة وقد تم ذلك من خلال إجراء عملية النسخ بشكل متواز لجميع الكروموسومات المكونة للشريط الوراثي وكذلك من خلال إجراء عملية نسخ الكروموسوم الواحد في عدد كبير من المواضع. وبهذه الطريقة الذكية تم تقليص مدة تصنيع إنسان جديد ابتداء من خلية واحدة من ثلاثمائة عام إلى تسعة أشهر فقط وصدق الله العظيم القائل ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ[1]، [2]﴾.

ولقد وجد العلماء أن معدل الخطأ في نقل المعلومات عند نسخ الأشرطة الوراثية في خلايا الإنسان قد يصل إلى خطأ واحد في كل ألف حرف وإذا ما تم حساب عدد الأخطاء الكلية المحتملة في كامل الشريط فإن الرقم يبلغ ثلاثة ملايين حرف. ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد فعملية تصنيع الإنسان ابتداء من خلية واحدة تتطلب تكرار عملية النسخ هذه عند كل انقسام لكل خلية من خلاياه والتي يصل عددها في الإنسان الكامل إلى ما يقرب من مائة ألف بليون خلية[3].

وعلى هذا فإن مجموع الأخطاء في الأشرطة الموجودة في خلايا جسم الإنسان سيبلغ عند اكتمال تصنيعه مائة وخمسين مليون خطأ أي ما نسبته خمسة بالمائة من مجموع عدد أحرف الشريط الوراثي للإنسان وهذه النسبة العالية من الأخطاء كفيلة بفشل عملية تصنيع

(١) سورة المرسلات/ الآية: ٢٠ ـ ٢٣.
(٢)، (٣) المصدر نفسه.

جسم الإنسان بالكامل، ولكن من لطف الله بهذا الإنسان وبغيره من الكائنات الحية أن الله سبحانه وتعالى قد قام بتصميم نظام يعمل على تصحيح الأخطاء الناتجة أثناء عملية النسخ فبعد أن يتم إنتاج نسخة جديدة من الشريط الوراثي تقوم مجموعة من الأنزيمات بالبحث عن الأخطاء الموجودة على الشريط الجديد ومن ثم تقوم بتصحيحها، وقد وجد العلماء أن معدل الخطأ بعد التصحيح ينخفض إلى خطأ واحد لكل مليون حرف بدلاً من خطأ واحد لكل ألف حرف قبل التصحيح أي أن مجموع الأخطاء في الأشرطة الوراثية ينخفض إلى مليون ونصف خطأ فقط(١).

بعد أن أتم الله سبحانه وتعالى خلق سيدنا آدم عليه السلام خلق منه أمنا حواء عليها السلام ومن بعد ذلك أصبحت عملية تصنيع أفراد البشر تتم ابتداء من النطفة التي تتكون من امتزاج بويضة الأنثى والحيوان المنوي للذكر، وعندما نتدبر قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ(٢)﴾ يتأكد لنا أن سلالة الماء المهين ما هي إلّا شريط الحامض النووي وأن هذه السلسلة كانت يوماً ما سلسلة من طين وذلك عندما خلق الله سيدنا آدم عليه السلام من الطين لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ(٣)﴾.

وتؤكد كلمة نسله أيضاً في هذه الآية على أن سلالة الماء المهين ما هي إلّا شريط الحامض النووي حيث إن معناها يمكن فهمه من خلال إبدالها بكلمة نسخه أو تصنيعه أو إنتاجه، أما كلمة (ؤ) فهي مشتقة من الفعل وهن

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة السجدة/ الآية: ٨.

(٣) سورة المؤمنون / الآية: ١٢.

وتعني ضعيف[1] وليس مهين من الإهانة كما كما ذهب إليه البعض من المفسرين[2]، وقد تبين لنا من الشرح السابق مدى ضعف الشريط الوراثي[3].

(١) ينظر: تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، [٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ] تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م: [٢٠ / ١٧٣] تفسير البغوي المسمى: معالم التنزيل لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م: [٦ / ٣٠١]، تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [ت ٧٧٤ هـ] تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م: [٥ /٤٦٦]، اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى: [١٥ /٤٧٨]، تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت: [٣ / ١٧٩]، معاني القرآن الكريم، للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ: [٥ / ٣٠١].

(٢) ينظر: تفسير البيضاوى، للإمام البيضاوي، دار الفكر - بيروت: [٤ /٣٥٦]، تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت: [٧ / ٨١].

(٣) (دكتور منصور أبو شريعة العبادي جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية.

المبحث الثاني:

الإسلام والتطور العلمي

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: الإسلام والإعجاز العلمي**
- **المطلب الثاني: الإسلام والعلوم الطبية.**
- **المطلب الثالث: الخارطة الجينية تدحض نظرية داروين**

المطلب الأول:

الإسلام والإعجاز العلمي

دعا الإسلام إلى العلم، وحث عليه، ولا أدل على ذلك من أن أول كلمة نطق بها الوحي على سمع وقلب المصطفى ﷺ هي ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[1] فكانت هذه الكلمة هي بداية الانطلاق إلى دين يمجد العلم ويرعى أهله، وقد وردت آيات عدة، تدعو إلى العلم وتحث عليه، فقد ورد لفظ العلم ومشتقاته في القرآن في ٨٧٠ آية، والعلم الذي دعا الإسلام إلى تحصيله، هو العلم على إطلاقه، وليس علم الدين فحسب، وكانت دعوة الإسلام إلى العلم مرتبطة بالنظر إلى آفاق السماء والأرض، والتأمل والتدبر والتفكر، وإلى النظر إلى مبادئ الخلق، وفي أحوال الأمم التي اندثرت وما تزال بقايا حضاراتها ومدنياتها، فنظرة الإسلام إلى العلم نظرة جامعة قد حاطها منهج كامل للمعرفة والفهم له مقوماته وضوابطه[2].

(١) سورة العلق/ الآية: ١.

(٢) ينظر: العلم في الإسلام، أنور الجندي، سلسلة دراسات إسلامية معاصرة ٢٣، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د، ت: ص ٦٣.

يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا[1]﴾ وفيه أدل دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته، وفرط محبة الله إياه حيث أمر نبيه بالازدياد منه خاصة دون غيره[2].

فهذه هي نظرة الإسلام الشمولية إلى العلم، حيث لم يجعل الإسلام بينه وبين العلم حواجز، لأن حقائق العلم لا يمكن أن تتنافى مع حقائق الدين الحق[3].

وإن القرآن الكريم ليس فيه مسألة واحدة تناقض العلم الحديث، بل إن كل ما ورد فيه من آيات وإشارات في علم الفلك، وعلوم الحيوان والنبات، وعن التناسب البشري.. يوافق تمام الموافقة معطيات المعارف العصرية التي كانت مجهولة في عصر النزول[4].

إن العلم لا يقول عن شيء، إنه حق، إلّا إذا قام البرهان اليقيني القاطع، والحذر كل الحذر من أن يجعل يقيناً ما ليس بيقين، أو أن ينزل الظن منزلة اليقين[5].

والقرآن الكريم أسس نظاماً كاملاً للحياة الفردية والاجتماعية بكل نواحيها القانونية والخلقية والسياسية، وأعطى نظرات عميقة لها مساس

---

(١) سورة طه/ الآية: ١١٤.
(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢/ ٢٠٤.
(٣) قصة الإيمان، الشيخ نديم الجسر: ص ٣٠٦.
(٤) القرآن والعلم الحديث بقلم: الأستاذ أحمد محمد جمال رحمه الله مقال منشور في منتديات أتباع المرسلين، ٢٠٠٨ م.
(٥) العلم في الإسلام/ أنور الجندي: ٧٤.

بالفلسفة وبالعلم، وقد ارتبط الملايين من الأفراد بهذا النظام طيلة عدة عصور ولا يزالون مرتبطين به[1].

أما في الغرب فقد كانت الهوة كبيرة بين العلم والدين حيث إن البشرية تعيش منذ قيام الثورة الصناعية في أوروبا صراعاً بين العلم والدين اتسعت ساحته حتى شمل معظم ميادين العلم والمعرفة في أنحاء العالم، ولقد شقيت البشرية بهذه المعركة التي كان الدين المحرف هو المتصدر في هذا الصراع حيث رؤى أن الدين خرج منهزماً في حلبة الصراع وبانهزامه بقيت البشرية تتخبط في متاهات الظلام والحيرة، تجرب بدون هدى، وتسير إلى غير هدف، تتجرع غصص الفشل المتكرر وتتكبد مرارته بين الحين والآخر[2].

لقد حدث هذا في غياب الإسلام عن ساحة المعركة والإسلام هو الدين الحق الذي يتفق مع الحق في كل صوره، بل يحتضن الحق ويدعمه أنى كان، وحيثما كان ومن أية جهة جاء (الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها)[3]. والإسلام هو الدين الذي يتبنى العلم منهجاً

---

(١) موقف الدين من العلم: د. علي فؤاد باشكيل، ترجمة: أورخان محمد علي، الطبعة الثالثة، دار الانبار للطباعة والنشر، سنة ١٩٨٨: ١١٠.

(٢) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الشيخ عبد المجيد الزنداني، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الرابط: www.55a.net.

(٣) سنن الترمذي المسمى (الجامع الصحيح): محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت: [٥ / ٥١] باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم (٢٦٨٧)، قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ـ بيروت: [٢ / ١٣٩٥] باب الحكمة، برقم (٤١٦٩)، مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة

لمعرفة الله سبحانه ومعرفة رسوله ﷺ ومنهجاً لمعرفة الدين نفسه وتبين صدقه ولمعرفة الوجود من حولنا[1].

صحيح أن القرآن الكريم ما جاء لكي يكون كتاباً علمياً، كما هو معروف تماماً، كما أنه ما جاء لكي يكون كتاب جغرافية أو تأريخ أو أي من حقول المعرفة المتنوعة[2]، لكن هذا لا ينفي أن يشير إلى حقائق ثابتة تدخل ضمن نطاق العلوم السابقة وغيرها بقي الإنسان مئات السنين لا يعرف كنهها، بل لم يستطع حتى الآن الوصول إلى بعضها؛ فالقرآن ـ مثلاً ـ ليس كتاب طب بالمفهوم المتعارف عليه للطب إلّا أن ذلك لا يمنع أن يمس قضية طبية، ويخبر بدقائقها، فلا يصل إليها علم الطب إلّا بعد قرون، وقُل ذلك عن جميع العلوم الحديثة، فالقرآن ـ إذن ـ قد يمس حقائق الكون الأساسية التي خلق الله الوجود على أساسها فيعرضها كحقائق علمية سواء توصلنا إلى إدراكها أم لم نصل.

وأشار القرآن الكريم إلى دلائل قدرة الله وإرادته ببيان عجيب يفهمه على ظاهره البدوي الساذج في القرن السابع ويفهم أسراره رجل العلم في القرن العشرين[3].

= الثانية، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦: [١ / ١١٨] محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦ م، باب الحكمة ضالة المؤمن، برقم (١٤٦).

(١) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الشيخ عبد المجيد الزنداني، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الرابط: www.55a.net.

(٢) مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم د. عماد الدين خليل، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net.

(٣) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، الشيخ نديم الجسر، طرابلس، لبنان: ٢٤٣.

ولو أن هذه الحقائق جاءت تفصيلية في الزمن الذي نزل فيه لوجدت حيرة لدى المؤمنين، وربما ارتد بعضهم عن الإسلام، لأنها ستكون فوق طاقة عقولهم في ذلك الوقت.

وإلى هذا الضرب من الإعجاز أشار العليم الحكيم بقوله ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ[1]﴾ وقد أراهم سبحانه بعد عصور وعصور آياته في آفاق السموات والأرض وفي أنفسهم كما وعدهم فتبين لهم أنه الحق[2].

ومما لا مشاحة فيه أنه لا تصادم بين حقائق الكون والقرآن الكريم، فالله هو الخالق لهذا الكون وهو في الوقت ذاته قائل هذا القرآن الحكيم، وقد يكون التصادم حينما ندعي حقيقة علمية ـ وهي ليست حقيقة علمية ـ ونربطها بالقرآن، أو نزعم حقيقة قرآنية ـ بسوء فهمنا للمقصود من آية أو آيات من القرآن ـ فنربطها ببعض الحقائق العلمية الثابتة[3].

والعلمُ بحرٌ لا ساحل له، سواءٌ منه ما ينفعُ في الدنيا أو ما ينفع في الآخرة، ولا يستطيعُ أحدٌ الاستحواذ على كل العلم؛ فهناك دائماً من هو أكثر إحاطة به وهو الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ[4]﴾ وحقيقةٌ كبرى يقررُها كتابُ الله تعالى تتمثلُ في أن أكثر الكفار

---

(١) سورة فصلت/ الآية: ٥٣.

(٢) قصة الإيمان: ٢٤٤.

(٣) معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي، المختار الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م: ١٢ ـ ١٣.

(٤) سورة يوسف/ الآية: ٧٦.

إنما أعرضوا عن اتباع الحق بسبب عدم توافر العلم الصحيح لديهم، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ[١]﴾، وهذا يلقي مسؤولية عظمى على أمة الإسلام؛ حيث إن عليها إيصال الحق إلى الناس وبيانه لهم ودعوتهم إليه[٢].

وظهرت علوم كثيرة في عالم الغرب، وتبينت حقائق كانت غائبة، وجد الغرب فيها تصادما بين الحقائق العلمية التي اكتشفوها، وبين ما كان يلقى إليهم في الكنيسة من حقائق مزيفة، أو إحجام عن تفسيرها لعجزهم عن ذلك، أو ممارسة لسلطان الكنيسة على عقول وقلوب المفكرين والعلماء، كما حصل للعالم الإيطالي غاليلو عندما قتل بسبب قوله بكروية الأرض تلك الحقيقة التي حاربها رجال الكنيسة لأنها بزعمهم تخالف النصوص الدينية عندهم[٣] وهكذا نشأت الفجوة الكبرى بين العلم والدين ما شجع على ظهور العلمانية، وفصل الدين عن مفاصل الحياة السياسية والعلمية وغيرها فأصبح الدين مركونا في زوايا الكنائس.

وبعد أن ارتقى محمد علي[٤] عرش مصر سنة (١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م)

---

(١) سورة الأنبياء/ الآية: ٢٤.

(٢) ماذا يحدث إذا كان العلم بلا إيمان؟ إبراهيم بن محمد الحقيل، مجلة العربي العدد ١٧١.

(٣) ظاهرة العلم الحديث، دراسة تحليلية وتاريخية، تأليف: د. عبد الله العمر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٩٨٣ م: ص ٢٨ و٤٢.

(٤) محمد علي باشا (١١٨٤ ـ ١٢٦٥ هـ = ١٧٧٠ ـ ١٨٤٩ م) هو محمد علي (باشا) بن إبراهيم آغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير: مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، مستعرب، ولد في قولة (التابعة الآن لليونان. وكانت من البلاد العثمانية) واحترف تجارة الدخان، فأثرى، وكان أمياً، تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، وقدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة جهزتها (قولة) تتألف

قام بإرسال بعثات علمية إلى أوروبا، وبالذات إلى فرنسا، وكان من رواد تلك البعثات رفاعة الطهطاوي[1] (ت ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣ م) الذي كان له ولغيره من المبتعثين دور في نقل بعض العلوم الحديثة إلى العالم الإسلامي[2].

ولما وجد بعض العلماء المسلمين الذين لهم اهتمام في تفسير القرآن الكريم تلك العلوم الحديثة أمامهم، وإيماناً منهم بصدق ما جاء في القرآن، وبأثر مما كان يعاني منه المسلمون من ضغوط نفسية وإعراض عن الدين الإسلامي في تلك الأيام ـ اجتهد هؤلاء في ربط القرآن بهذه العلوم الحديثة.

وممن كتب في هذا المجال الطبيب محمد بن أحمد الإسكندراني[3] في مؤلفه الموسوم بـ (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية)[4].

= من ٣٠٠ رجل، نجدة لرد غزاة الفرنسيين عن مصر، فشهد حرب أبيقير (سنة ١٢١٤ هـ) وجامل المماليك فناصروه مع الألبانيين وأتراك قولة، ومازال حتى كانوا لي مصر (سنة ١٢٢٠)، فعني بتنظيم حكومتها، وقتل المماليك (سنة ١٢٢٦) وأنشأ السفن في النيل، وضم معظم السودان الشرقي إلى مصر، وأنشأ في الاسكندرية دار صناعة (ترسانة) للسفن، وأقام في قصر رأس التين بالاسكندرية مريضاً إلى أن توفي بها، ودفن بالقاهرة. ينظر: الأعلام خير الدين الزركلي: الطبعة الخامسة، دارالعلم للملايين، ١٩٨٠ م: [٦ /٢٩٨ ـ ٢٩٩].

(١) كان محمد علي قد بعثه مع المبتعثين ليكون إمام صلاة لهم.

(٢) ينظر: رفاعة رافع الطهطاوي: لجمال الدين الشيال، الطبعة الثالثة، دارالمعارف: ص ٢٥ وما بعدها.

(٣) محمد بن أحمد الاسكندراني: (ت ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٩ م) طبيب، باحث، من أهل الاسكندرية، عمل في العسكرية البحرية بمصر إلى سنة ١٢٥٦ هـ، ورحل إلى دمشق فتولى رياسة أطباء الجيش إلى سنة ١٢٥٨ هـ، وتوفي بدمشق. ينظر: الأعلام للزركلي [٦ / ٢١].

(٤) وهو كتاب كبير الحجم، يقع في ثلاثة مجلدات، ومطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة

ولا تخلو كتابات جمال الدين الأفغاني[1] من الحث على التوفيق بين القرآن والعلم، حيث يقرر أنه لا خلاف بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية، ويتجلى الانحياز التام لمثل هذا النوع من التفسير عند عبد الرحمن الكواكبي (ت ١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢ م) في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الذي يصف فيه القرآن بأنه (شمس العلوم وكنز الحكم)، ويعلل إحجام العلماء عن بيان ما يتضمنه القرآن من العلوم المختلفة ـ بالخوف من مخالفة رأي بعض السلف غير المتضلعين بالعلم، فينتج عن ذلك تكفيرهم ومن ثم قتلهم.

وبذلك بدأ فريق من العلماء يتلمس الحقائق العلمية ويحاول أن يربطها بالحقائق القرآنية وهو ما يسمى بالإعجاز العلمي، الذي هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول وهذا مما يظهر صدق الرسول

= ١٢٩٧ هـ، ومنه نسخة بدارالكتب المصرية. ينظر: التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبه وهبه، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠ م: ٤٩٧ ـ ٤٩٨؛ الأعلام، للزركلي: ٦/ ٢١.

(١) جمال الدين الأفغاني: (١٢٥٤ ـ ١٣١٥ هـ = ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م) محمد بن صفدر الحسيني، فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة، ولد في أسعد آباد (بأفغانستان) ونشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، ومرض بالسرطان، في فكه، ويقال: دس له السم، وتوفي بالآستانة، ونقل رفاته إلى بلاد الأفغان سنة ١٣٦٣ هـ وكان عارفاً باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية، وإذا تكلم بالعربية فلغته الفصحى، واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة، كريم الأخلاق كبير العقل، لم يكثر من التصنيف اعتماداً على ما كان يبثه في نفوس العاملين وانصرافاً إلى الدعوة بالسر والعلن، له (تاريخ الأفغان) و(رسالة الرد على الدهريين) ترجمها إلى العربية تلميذه الشيخ محمد عبده. ينظر: الأعلام للزركلي [٦ /١٦٨ ـ ١٦٩].

محمد ﷺ فيما أخبر به عن ربه سبحانه[1].

والقول بالإعجاز العلمي ممتد عبر التاريخ الإسلامي، وقام بالتفسير العلمي للقرآن الكريم بعض قدامى المفسرين[2]، وهو مطلب معاصر يتفق عليه المتخصصون في العلوم الدينية والمتخصصون في العلوم الكونية، ويرون أن المكتشفات والمعارف العلمية الحديثة تعين على فهم وتفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم.

كما يتفق المؤيدون للإعجاز العلمي على أن القرآن الكريم كتاب هداية وليس كتاباً لتدريس العلوم الكونية، وما جاء به من إشارات علمية إنما هو من باب الاستيعاب للحقائق الكونية. وأن القرآن استخدم الحقائق الكونية في الدعوة إلى الإيمان والفضيلة وهذه الحقائق الكونية تقف شاهداً على صدق القرآن الكريم، ليظل حجة على الناس كلما انتشرت العلوم الطبيعية ويصبح ذلك من عناصر خلوده[3].

هذا ما يؤمن به ويؤيده فريق من العلماء، ويرى فريق آخر من العلماء أنه لا ينبغي تفسير الآيات والحقائق القرآنية على وفق ما يظهر من علوم ومعارف وذلك خشية منهم على مصداقية القرآن إذا ارتبط تفسيره بالعلوم الكونية وما بها من معلومات متغيرة، مما ينعكس على استقرار التفسير العلمي للقرآن الكريم، كما يخشون على تطويع معاني الكلمات ومدلول

---

(١) ينظر: المعجزة العلمية في القرآن والسنة، مقال منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: (٧/ ١٣٣).

(٣) ينظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة إعداد الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم، أستاذ علم الحشرات ـ جامعة الأزهر أمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الآيات بما وصلت إليه العلوم الكونية، وهو ما يعرف عند المعارضين بـ (لي أعناق الآيات القرآنية) فهم يرفضون الإعجاز العلمي والتفسير العلمي إذن من باب الحرص على القرآن الكريم[1].

إن المشتغلين بالتفسير العلمي للقرآن الكريم حريصون على الاستعانة بالمعارف المستقرة التي وصلت إلى مرحلة الحقائق والقوانين واليقين أو كانت نظريات راجحة، وعلى فرض التغيير في تلك المعارف العلمية المستخدمة في التفسير، فلا ضير في ذلك حيث أن الأمر لا يَعْدُ أن يكون اجتهاداً في التفسير يمكن تصحيحه بتفسير آخر على ضوء المعارف العلمية. وسنجد أن النص القرآني استوعب تلك الكشوف الجديدة حيث جاءت النصوص بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواقفها التي قد تتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل، إما بالإضافة أو الزيادة وإما بالتعديل أو الحذف. واتساع مدلول دلائل الإعجاز القرآني البياني. علماً بأنه لا يمكن أن يقع ذلك التغيير إلّا إذا كان هناك خلل في فهم النص القرآني أو خلل في قطعية العلم[2].

ولم يحدّث الرسول ﷺ صحابته عن الإعجاز العلمي، ولم تكن ثقافتهم تستوعب ذلك بعد، وكانت المعارف الكونية والحقائق العلمية مجهولة للعالم أجمع في ذاك الزمن، ولو حدثهم بذلك لتصادم مع عقولهم، وهو الحريص (على مخاطبة الناس على قدر عقولهم، لهذا ترك الصحابة يفهمون الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي وبالمفهوم العام، تاركاً البيان والوضوح العلمي والاكتشافات الكونية

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه .

لتظهر وجه الإعجاز العلمي للقرآن في الزمن المناسب، وقد تحقق ذلك بعد مرور ما يزيد على ألف عام وصدق الله العظيم القائل في القرآن الكريم: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾[1]،[2].

ولذلك لم يفسر الرسول ﷺ القرآن الكريم كاملاً حتى تبقى العقول تسبح في تأويلات جديدة منضبطة بقواعد الإسلام العامة وهي تتطابق تماماً مع مستجدات العلم ومعطيات الواقع في كل زمان ومكان.

---

(١) سورة ص/ الآية: ٨٨.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة إعداد الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم، أستاذ علم الحشرات ـ جامعة الأزهر أمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

المطلب الثاني:

الإسلام.. والعلوم الطبية

يُعدّ علم الطب من العلوم المهمة في الحياة البشرية، وبتطبيقه تتحقق كثير من المصالح العظيمة والمنافع الجليلة، التي منها حفظ الصحة، ودفع ضرر الأسقام والأمراض عن بدن الأنسان، فيتقوى المسلم بذلك على طاعة ربه تعالى ومرضاته[1].

ولما كانت شريعتنا الإسلامية مبنية على الرحمة بالخلق ودفع المشقة والحرج عنهم في التكاليف والتشريعات التي جاءت بها فإنها راعت تلك الحاجة التي لا بد من سدها في المجتمعات المسلمة فأجازت تعلم الطب وتعليمه[2].

قال الإمام عبد العزيز بن عبد السلام[3] رحمه الله: الذي وضع الشرع

(١) ينظر: أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، إعداد الدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي، رسالة دكتوراه بقسم الفقه، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، مكتبة الصحابة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م: ٧٧.

(٢) ينظر: أحكام الجراحة الطبية: ٧٨.

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (٥٧٧ ـ ٦٦٠

هو الذي وضع الطب، فإن كل واحد منهما موضوع لجلب مصالح العباد ودرء مفاسدهم[(١)].

وقال الإمام النووي[(٢)] رحمه الله: (وأما العلوم العقلية فمنها ما هو فرض كفاية كالطب، والحساب المحتاج إليه)[(٣)].

= هـ = ١١٨١ ـ ١٢٦٢ م)، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق، وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ، فأقام شهراً، وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة «صفد» للفرانج اختياراً أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه، ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته، توفي بالقاهرة. ينظر: العبر في خبر من غبر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤، الكويت: [٥ / ٢٦٠]، طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٧ هـ، الطبعة الأولى: [٢ / ١٠٩]، طبقات الشافعية الكبرى: الإمام العلامة تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤١٣ هـ الطبعة الثانية: [٨ / ٢٠٩] الأعلام للزركلي [٤ / ٢١].

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، (ت ٦٦٠ هـ)، دراسة وتحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت ـ لبنان (١/ ٨).

(٢) النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ ـ ١٢٧٧ م) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، من كتبه «تهذيب الأسماء واللغات» و«منهاج الطالبين» و«المجموع شرح المهذب» و« روضة الطالبين» في فقه الشافعية وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية ـ لابن قاضي شهبة [٢ / ١٥٣]، طبقات الشافعية الكبرى: [٨ / ٣٩٥] الأعلام للزركلي [٨ / ١٤٩].

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين: محي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض: دار الكتب العلمية: ٤/ ٥.

وقال الإمام الغزالي[1] رحمه الله: (ولا يستبعد عدّ الطب والحساب من فروض الكفاية فإن الحرف والصناعات التي لا بد للناس منها في معايشهم كالفلاحة فرض كفاية فالطب والحساب أولى)[2].

وهؤلاء فقهاء الإسلام وأئمته الأعلام نجدهم ينصون في كتبهم على حكم فرضية تعلم الطب على الكفاية، بل لم يقف الأمر عند ذلك وإنما تعداه إلى شحذ الهمم وحفزهم النفوس لتعلمه حتى قال الإمام الشافعي[3] رحمه الله: (لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب)[4].

---

(١) الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لم نقال بالتخفيف، من كتبه (إحياء علوم الدين)، و(تهافت الفلاسفة) و(الاقتصاد في الاعتقاد) وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء،: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، المحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة: [٣٧ / ٣٠٢]، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: [٧ / ١٩٥]، طبقات الشافعية الكبرى: [٦ / ١٩١] المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: للحافظ ابن النجار البغدادي انتقاء الحافظ أبي الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان: [١ / ٢٧]، الأعلام للزركلي [٧ / ٢٢].

(٢) روضة الطالبين: ٤/ ٥.

(٣) الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ = ٧٦٧ ـ ٨٢٠ م) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. ينظر: سير أعلام النبلاء: [١٩ / ٢]، العبر في خبر من غبر [١ / ٣٤٣]، الأعلام للزركلي [٦ / ٢٦].

(٤) الطب من الكتاب والسنة، للإمام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، دار المعرفة، بيروت: ١٨٧.

وهكذا فإن حفظ النفس وسلامتها وصحة الجسد ملحظ هام عدّه الفقهاء أحد مقاصد الشريعة الغراء والتي نزلت من أجلها.

ومن جراء البحث المنصف نجد أن تشريعات الإسلام كلها تولي هذا المقصد حفظ البدن وصحته مكانة خاصة، لا بل نجده ركناً أساسياً في معظم هذه التشريعات. ومن هنا نفهم كيف جعل النبي ﷺ نعمة الصحة والعافية تلي نعمة الإيمان في الأهمية، وذلك فيما رواه الصديق (عن النبي ﷺ قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا فِي الدُّنْيَا خَيْراً مِنْ الْيَقِينِ وَالْمُعَافَاةِ فَسَلُوهُمَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ)[1].

وكان من ضمن ما نبغ فيه علماء المسلمين في تلك العصور المزدهرة علم الطب على اختلاف تخصصاته[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م: [١ / ٢١٢] برقم (٣٨)، سنن النسائي الكبرى المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م: [٦ / ٢٢١] برقم (١٠٧٢٢)، مسند أبي يعلى المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م: [١ / ٧٥]، برقم (٧٤) قال المحقق قال حسين سليم أسد: إسناده حسن، مسند البزار (البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢ هـ) تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩ هـ بيروت، المدينة: ١٠ [١ / ١٨٩] برقم (٢٣)، جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني ـ مطبعة الملاح ـ مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م: [٤ / ٣٣٩]، عمل اليوم والليلة: أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن، تحقيق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ: [ص ٥٠٣] برقم (٨٨٦).

(٢) أحكام الجراحة الطبية: (٥٠).

ويعدّ الأطباء المسلمون أول من استعمل التخدير في الجراحة الطبية حيث اخترعوا الإسفنجة المخدرة، وكذلك كانوا أول من استعمل الخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوان في تخييط الجروح[1].

والإسلام يهتم بصحة الفرد قبل أن يتخلق إذ يطلب انتفاء الشريك (الزوج أو الزوجة) الصالح لإنتاج ذرية سليمة، مصداق ذلك ما يرويه ابن عباس[2] (عن النبي ﷺ قوله: تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ[3] ثم إنه حث على الرضاعة الطبيعية وإطالتها قدر الإمكان ليحصل الوليد على عناصر المناعة اللازمة

---

(١) المصدر السابق: (٥٤).

(٢) ابن عباس (٣ هـ ـ ٦٨ هـ = ٦١٩ - ٦٨٧ م) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٥ / ٣٣٠]، الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢: [٤ / ١٤١] الأعلام للزركلي [٤ / ٩٥].

(٣) سنن ابن ماجه [١ / ٦٣٣] باب الأكفاء برقم (١٩٦٨) في إسناده الحارث بن عمران المديني. قال فيه أبو حاتم ليس بالقوي، سنن البيهقي الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م: [٧ / ١٣٣] برقم (١٣٥٣٦)، المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠ م: [٢ / ١٧٦] عن عائشة برقم (٢٦٨٧)، سنن الدارقطني المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ م: [٣ / ٢٩٩] برقم (١٩٨)، قال الخطيب: كل طرقه واهية، والصحيح فيه أنه مرسل عنه شام بن عروة عن أبيه عن النبي. ينظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (ت ٧٤٤ هـ) تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م، بيروت: [٣ / ١٦٩].

والتي لا تعطيها الرضاعة الصناعية ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[(١)]﴾. ودعا إلى تنشئة بدنية قوية وإلى رياضات هي أسُّ هذه التربية مثل السباحة والرماية وركوب الخيل. وحتى ساعات اللهو عند المسلم موجهة لخيره وتنمية لقوته، يقول ﷺ: كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنْ الْحَقِّ[(٢)].

فالطب الإسلامي طب وقائي يعمل على حماية صحة الفرد ويحافظ على صحة المجتمع كله. قال تعالى ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ[(٣)]﴾.

وهو أول نظام صحي عالمي أقرَّ الحجر الصحي عند حدوث الأوبئة كالطاعون والكوليرا ووضع له قواعد راسخة أقرها الطب الحديث. فقد

---

(١) سورة البقرة/الآية: ٢٣٣.

(٢) سنن أبي داود: [٢ / ٣٢٠]، باب في الرمي، برقم (٢٥١٥)، سنن الترمذي [٤ / ١٧٤] باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله برقم (١٦٣٧) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، مسند أحمد [٢٨ / ٥٧٢ ـ ٥٧٣] برقم (١٧٣٣٧).

(٣) سورة البقرة/الآية: ١٩٥.

روى الشيخان عن النبي ﷺ قوله: (إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ سُلِّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا)[1].

والذي يعرف أهمية الحجر الصحي في حياة الأمم يعرف عظمة ما جاء به النظام الصحي الإسلامي منذ قرون.

ومما يؤكد هذا المعنى، ويجليه بأبهى صورة ما اخرج البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِ ينَالْ أَوَّلِ ينَفَدَعَا هُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُ وافَقَ البَعْضُ هُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَ كَبَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ

---

(١) صحيح مسلم: [٤ /١٧٣٧]، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، برقم (٩٤).

(٢) عمر بن الخطاب (٤٠ هـ ـ ٢٣ هـ = ٥٨٤ ـ ٦٤٤ م) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره، وهو أحد العمرين اللذين كان النبي ﷺ يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع، قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة، بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٥ /١٩٩] الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م بيروت ـ لبنان: [٤ /٣٣٦]، الأعلام للزركلي [٥ /٤٥].

فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِياً لَهُعُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِوَ إِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِاللهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّباً فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْماً سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ قَالَ فَحَمِدَ اللهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ)[1].

ومن أجل بناء أسرة متينة وحمايتها صحياً واجتماعياً حرم الإسلام الزنا واللواط وغيرها من الفواحش التي هي المصدر الرئيسي لانتشار الأمراض الزهرية وعلى رأسها، الإيدز غول القرن العشرين، والتي أنبأنا عنها رسول الله ﷺ محذراً من غوائلها حيث قال ﷺ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا[2].

---

(١) صحيح البخاري المسمى بـ (الجامع الصحيح المختصر)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م: [٥ / ٢١٦٣] باب ما يذكر في الطاعون برقم (٥٣٩٧)، صحيح مسلم: [٤ / ١٧٤٠] باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، برقم (٩٨).

(٢) سنن ابن ماجه [٢ / ١٣٣٢]، باب العقوبات، برقم (٤٠١٩)، المستدرك [٢ / ١٣٦]

ومن أجل صحة المجتمع وحماية البيئة، ونظراً لكون البراز أكبر مصدر لتلوثها الجرثومي فقد جاء حديث رسول الله ﷺ يأمر المسلمين بالالتزام بأهم إجراء وقائي لحفظ صحة المجتمع المسلم ومنع سراية الأمراض فيه وهو قوله ﷺ: اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ[1].

ووضع الإسلام القواعد الأساسية للوقاية من الحوادث والتي كثيراً ما تؤدي إلى إزهاق الأرواح، ضمن أوامر محددة وواضحة من أجل سلامة الفرد في المجتمع المسلم فقال ﷺ مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ[2] فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ[3].

= برقم (٢٥٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ: [٧ / ٣٥١] برقم (١٠٥٥٠).

(١) سنن أبي داود: [١ / ١١]، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها، برقم (٢٦)، سنن ابن ماجه [١ / ١١٩]، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، برقم (٣٢٨) مسند أحمد [٤ / ٤٤٨ ـ ٤٤٩] برقم (٢٧١٥)، المستدرك [١ / ٢٧٣] برقم (٥٩٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) حجار: هو جمع حجر بكسر الحاء وهو ما يحجر به من حائط ونحوه. ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت: [٤ / ١٦٥]، النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م: [١ / ٨٩٦]، تاج العروس من جواهر القاموس [١٠ / ٥٤٩]، عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ: [١٣ / ٢٦١].

(٣) سنن أبي داود: [٤ / ٤٦٩] باب في النوم على سطح غير محجر، برقم (٥٠٤٣)، شعب الإيمان [٤ / ١٧٩] برقم (٤٧٢٧)، الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩م: [ص ٢٧٨] وقال البخاري في إسناده نظر.

كما نهى الأعرابي الذي جاء يسأله أن يترك ناقته هكذا دون عقال توكلاً على الله فقال ﷺ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ[1].

ونهى رسول الله أن يترك أحد النار مشتعلة وينام عنها قائلاً: لا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ[2].

فقد نظم الإسلام مهنة الطب ووضع قواعد الممارسة الطبية التي يجب أن يلتزم بها كل من الطبيب ومريضه، كل هذا من أجل صلاح البدن وسلامة الفرد.

وهكذا فقد اعتبر الشارع مهنة الطب من فروض الكفاية التي إن لم يقم بها أحد من أهل بلد مسلم أثم أهل البلد كلهم[3].

وخلص هذه المهنة المقدسة مما خالطها من السحر والخرافة والكهانة فقد قال ﷺ: (تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ)[4].

---

(١) سنن الترمذي [٤ / ٦٦٨] برقم (٢٥١٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م: [٢ / ٥١٠] ذكر الإخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء ضد قول منكرهه برقم (٧٣١) وقال المحقق: شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

(٣) صحيح البخاري: [٥ / ٢٣١٩] باب لا تترك النار في البيت عند النوم، برقم (٥٩٣٥)، صحيح مسلم: [٣ / ١٥٩٦] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، برقم (١٠٠).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إعداد: احمد بن عبد الرزاق الدرويش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م: ١٤/ ١٧١.

(٤) سنن ابن ماجه [٢ / ١١٣٧] باب ما أنزل الله داء إلّا أنزل له شفاء، برقم (٣٤٣٦)،

ومنع الإسلام غير الأطباء من ممارسة أي عمل طبي محملاً إياهم أي نتائج تصدر عنهم وهذا مصداق قول النبي ﷺ: مَنْ تَطَبَّبَ وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ[1].

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أتباعه باختيار من هو [أطب] للحال الذي تناسبه. كما دعا الشارع أهل العلم بالطب للبحث عن أسباب المرض واكتشاف ما يجهلونه من وسائل العلاج إذ هو ﷺ القائل: (مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ)[2].

= مسند أحمد [٣٠ / ٣٩٨] برقم (١٨٤٥٥)، المستدرك [٤ / ٢٢٠] برقم (٧٤٣٠) وقال: إسناده على شرطهما ولم يخرجاه، المعجم الكبير [١ / ١٧٩]، برقم (٤٦٤)، المعجم الصغير للطبراني: المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير المكتب الإسلامي، دار عمار ـ بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م: [١ / ٣٣٧] برقم (٥٥٩)، صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط: [١٣ / ٤٢٦]، ذكر الأمر بالتداوي إذ الله جل وعلا لم يخلق داء إلّا خلق له دواء خلا شيئين، برقم (٦٠٦١) قال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(١) سنن أبي داود: [٤ / ٣٢٠] باب في من تطبب ولا يعلم منه طب فأعنت، برقم (٤٥٨٨)، سنن النسائي المسمى (المجتبى من السنن): أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م: [٨ / ٥٢]، برقم (٤٨٣٠)، سنن النسائي الكبرى [٤ / ٢٤١] برقم (٧٠٣٤)، سنن ابن ماجه [٢ / ١١٤٨]، برقم (٣٤٦٦)، سنن الدارقطني [٣ / ١٩٥] برقم (٣٣٥)، المستدرك [٤ / ٢٣٦] برقم (٧٤٨٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) مسند أحمد [٦ / ٥٠]، برقم (٣٥٧٨)، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [٩ / ٣٤٣] برقم (١٩٣٤٤)، المستدرك [٤ / ٤٤١] برقم (٨٢٠٥) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المعجم الكبير [١٠ / ١٦٣] برقم (١٠٣٣١)، مسند أبي يعلى [٩ / ١١٣]، برقم (٥١٨٣)، قال المحقق حسين سليم أسد: إسناده ضعيف، المسند للشاشي أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي (ت ٣٣٥ هـ) تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٠ هـ المدينة المنورة: [٢ / ١٨٥] برقم (٧٥٢).

والقائل: (لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)[1].

وهكذا يتبين لكل ذي بصيرة أن الطب الإسلامي ممارسة نوعية للطب تنبثق من التفسير الإسلامي لرسالة الإنسان في الأرض والحكمة الإلٰهية من استخلافه، وتعتمد على نظرة حفظ الضرورات الخمس التي أجمع علماء المسلمين على أنها مقصد هام من مقاصد الشريعة[2].

(١) صحيح مسلم: [٤ / ١٧٢٩]، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، برقم (٦٩).

(٢) ينظر: روائع الطب الإسلامي (١/ ٢ ـ ٤) تأليف العلامة الدكتور الطبيب محمد نزار الدقر اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي دكتور «فلسفة» في العلوم الطبية كاتب تخصص في الطب الإسلامي، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net.

المطلب الثالث:

الخارطة الجينية تدحض نظرية داروين[1]

كانت نظرية التطور التي جاء بها داروين، هي أول نقاط تحول العلم الغربي إلى المادية وسيطرة المفهوم المادي على الاجتماع الإنساني، فلقد كان داروين يرى أن جميع الكائنات الحية التي كانت تعيش على الأرض، قد نشأت من أصل واحد أو عدة أصول، ولم يزعم داروين أن الإنسان قد

(١) تشارلز روبرت داروين (Charles Robert Darwin) عالم حيوان، إنجليزي الجنسية، اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي، حول نشأة الإنسان، ولد في إنجلترا في ١٢ فبراير ١٨٠٩ لعائلة إنجليزية علمية وتوفي في ١٩ أبريل ١٨٨٢ عالم تاريخ طبيعي بريطاني، والده هو الدكتور روبرت وارنج داروين، وكان جده «ارازموس داروين» عالماً ومؤلفاً بدوره، اكتسب داروين شهرته كواضع لنظرية التطور بدأ اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم اللاهوت في الجامعة، أدّت رحلته على متن سفينة البيغل والتي دامت خمس سنوات إلى تميّزه كجيولوجي وانتشار اسمه كمؤلف. ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطوّر نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام ١٨٣٨ م ينظر: مقدمة كتاب أصل الأنواع: نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الاحتفاظ بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة / تأليف تشارلس داروين؛ ترجمة مجدي محمود المليجي؛ تقديم سمير حنا صادق. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.

انحدر من القرد مباشرة، ولكن من نوع من الكائنات أقل مرتبة من الإنسان، ثم اجتاز مرحلة تطور فائقة اكتسب فيها القامة المعتدلة والعقل، وما قدمه داروين لم يكن إلّا نظرية، والنظرية أساساً تقوم على فروض تتجمع لترجح وجهة نظر معينة، فبحكم ما وصل إلى علم داروين وما اطلع عليه من جماجم وحفريات افترض هذا، وبالرغم من أن ما قاله داروين كنظرية قابل للنقض والمعارضة، فقد حورتها الفلسفة إلى ظاهرة اجتماعية هي التطور الاجتماعي[١].

وقد تبين من الأبحاث التي أجريت فيما يتعلق بنظرية داروين من الناحية البيولوجية الخالصة أن الإنسان لم يتطور إلى كائن آخر، وما زال هو الإنسان الذي وجد منذ عرف بصورته هذه، وقد مرت عليه عشرات الألوف من السنين، ولا ريب أن هذا الثبات ينفي القول بتطوره قبل ذلك إلى صورته الحالية[٢].

يقول جوليان هكسلي: إذا كان الحيوان قد تحول إلى إنسان في الماضي، فلماذا لا تتحول بعض الحيوانات الحالية إلى أناس؟[٣].

وعلى فرض صدق هذه النظرية فلماذا لم يتطور ويتحول الإنسان إلى شيء آخر أكثر تطوراً مما هو عليه الآن؟

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ[٤]﴾.

---

(١) نظرية التطور بين الدين والعلم والعقل أنور الجندي / منشورات المكتبة العصرية / صيدا ـ بيروت: ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٠٤.

(٣)المصدر نفسه: ص ١٠٦.

(٤) سورة النور/ الآية: ٤٥.

إن ما وصل إليه داروين في التطور يختلف عما وصل إليه المسلمون الذين لاحظوا التدرج في مراتب المخلوقات من الجوامد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان، ولكنهم نظروا إلى تطور الإنسان من حيث نظر القرآن إليه: نطفة وعلقة ومضغة مخلقة وغير مخلقة، وهكذا فهم ينظرون إلى تطور خلقه حتى أصبح خلقاً آخر متكاملاً، ولم يقولوا: إنه من أصل حيواني، ولم يبخسوه قدره، ولم ينفوا عنه مزاياه التي تفرد بها، وردوا تمييزه ابتداء إلى إرادة الله الصريحة من خلقه هكذا منفرداً ليصبح مستخلفاً في الأرض[1].

ووفقاً لسيناريو التطور فمنذ أربعة بلايين سنة خضعت أعداد متنوعة من المركبات الكيمائية إلى لا حياة فيها إلى تفاعل حدث في جو الأرض البدائي وفيه حثت الصواعق والضغط هذه المركبات على تكوين أول خلية حية.

بادئ ذي بدء يجب القول بأن الادعاء القائل إن المواد الحية يمكن أن تجتمع معاً لتكون حياة هو ادعاء غير علمي لم تثبته أية تجربة أو ملاحظة حتى الآن ذلك أن الحياة لا تتولد من غير حياة[2].

وتدعي نظرية التطور أن خلية الكائن الحي ـ التي لا يمكن إنتاجها حتى لو حشدت كل القوة العقلية والمعلوماتية والتكنولوجية للبشر للقيام بهذا ـ قد استطاعت مع ذلك أن تتكون بمحض الصدفة تحت ظروف أرضية بدائية[3].

---

(١) نظرية التطور: أنور الجندي: ص: ١٠٩.

(٢) خديعة التطور، الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيدلوجية، هارون يحيى، ترجمة: سليمان بايبارا، مراجعة: د. أحمد ممتاز سلطان، أورخان محمد علي، بدون ذكر سنة الطبع أو مكان النشر: ١٠٤.

(٣) خديعة التطور: ١٠٤.

إن القول بأن الخلية الحية وجدت مصادفة وتطورت تلقائياً يتعارض مع قوانين الديناميكا الحرارية[1] في الكيمياء الطبيعية والتي تنص على أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث كما أنها تقطع كذلك باستحالة وجود الآلة التي تدور تلقائياً إلى ما لا نهاية بدون بذلك شغل أو طاقة[2].

إن أحدث ما وصل إليه العلم في مجال البيولوجيا الجزيئية والتكنولوجيا الحيوية والهندسية الوراثية ـ تتم فيه التجارب حالياً لنقل صفات وراثية من شريط الجينات من كائن عديد الخلايا إلى بعض البكتيريا بأمل بناء جزيئات جديدة ـ ورغم أن علماء الهندسة الوراثية الذين يحاولون إعادة بناء الأحماض النووية بعد إلحاق أجزاء مأخوذة من جينات أخرى ـ أي أنهم يستعملون جزيئات حية تامة الصنع في عمليات إعادة البناء ـ ومع ذلك وبرغم أنهم يستخدمون لبنات بناء جاهزة وصلتهم عبر عصور وقرون التاريخ تامة الصنع فهل يمكن أن يكابر الإنسان في أنها قد تكونت مصادفة من غير صانع أو خالق ـ وسبحان الله الخالق البارئ المصور[3].

---

(١) تعريف: الديناميكا الحرارية: الديناميكا الحرارية أو التحريك الحراري، تعبر عن أحد فروع الميكانيكا الإحصائية الذي يدرس خواص انتقال الشكل الحراري للطاقة خصوصاً وتحولاته إلى أوجه أخرى من الطاقة. يقوم هذا العلم باستخدام الميكانيكا الإحصائية لصياغة القوانين التي تحكم تحول الطاقة من وجه إلى آخر، والاتجاه الذي تفضله الطاقة الحرارية في انتقالها، والطاقة المتاح تحويلها إلى عمل. ينظر: موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة /ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) ينظر: الخلق.. بين الحقائق القرآنية والنظريات البشرية د. عبد الخالق حامد السباعي ـ كلية الزراعة جامعة الإسكندرية ـ الشاطبي ـ جمهورية مصر العربية بحث على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

(٣) المصدر نفسه.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن إلحاق هذا الجزء من شريط DNA إلى جزيء آخر هو تفاعل كيميائي يحتاج لإتمامه لتوفر الطاقة والظروف المثلى لتنشيط الجزيئات لإتمام التفاعل. وهذا يقطع أيضاً باستحالة حدوث الحياة مصادفة أو تلقائياً ولعل قوانين الطاقة في أحدث صورها والمرتكزة على قوانين أينشتاين[١] للنسبية وصور تحول الطاقة وارتباطها مع الكتلة والزمن وسرعة الضوء ـ تؤكد استحالة إتمام التفاعل دون توفر الحد الأدنى من طاقة التنشيط والعوامل والظروف المساعدة بما يحدد اتجاه التفاعل خاصة وأن نفس المواد الفعالة يمكن أن تتجه لأكثر من اتجاه طبقاً للتركيز ونسبة المواد المتفاعلة ونوع ومقدار الطاقة المتوفرة والظروف الملائمة. وكل ذلك يؤكد استحالة العفوية في بناء أو تطوير بناء الجزيئات فضلاً عن الأنسجة والكائنات الحية المكونة من بلايين الذرات والجزيئات والخلايا[٢].

وقد زعموا أن كشف خريطة الجينات البشرية أظهر أن هناك تشابهاً بنسبة ٩٨٪ بين جينات الإنسان وجينات قرد الشمبانزي. وهذا ـ بزعمهم ـ دليل لا يدحض على أن الإنسان قد تطور من القرود.

كيف يمكن وكيف يستطيع الإنسان مقارنة خريطة الجينات الإنسانية مع

---

(١) ألبرت أينشتاين (Albert Einstein) (١٤ مارس ١٨٧٩ ـ ١٨ أبريل ١٩٥٥)، عالم في الفيزياء النظرية. ولد في ألمانيا، لأبوين يهوديين، وحصل على الجنسيتين السويسرية والأمريكية. يشتهر أينشتاين بأنه واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة الشهيرتين اللتان حققتا له شهرة إعلامية منقطعة النظير بين جميع الفيزيائيين، حاز في العام ١٩٢١ على جائزة نوبل في الفيزياء. ينظر: موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org/wiki/.

(٢) الخلق.. بين الحقائق القرآنية والنظريات البشرية د. عبد الخالق حامد بحث على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

خريطة جينات قرد الشمبانزي التي لم تسجل ولم تكتشف بعد؟! ألا يجب من أجل إجراء مثل هذه المقارنة اكتشاف خريطة جينات الشمبانزي وتثبيتها بعد دراسات ستستغرق أيضاً سنوات عديدة، أما ادعاء وجود تشابه بنسبة ٩٨٪ بين جينات الإنسان وجينات الشمبانزي فيستند في الحقيقة إلى شيء آخر، فقد لوحظ وجود تشابه في شكل التراص لجزيئات .D.N.A في أربعين جزيئة من جزيئات البروتين في الإنسان مع ما هو موجود لدى القرود[١].

إن الإنسان يملك ١٠٠ ألف بروتين، والادعاء بأن الإنسان تطور من القرد من مجرد تشابه ٤٠ بروتيناً فقط ادعاء غريب وغير علمي، ومن الطبيعي وجود مثل هذا الشبه بين جميع المخلوقات، وليس بين الإنسان والقرد فقط، فالأحياء جميعاً تتكون من الجزيئات نفسها[٢].

إذن فوجود مثل هذا الشبه لا يعني شيئاً حول القرابة بين الأحياء[٣].

يقول البروفيسور (ميشيل دانتون) وهو من العلماء المشهورين في علم الأحياء المجهرية (Microbiology) في كتابه (التطور: نظرية في مأزق) ما يأتي:

(في عالم الجزيئات والأحياء المجهرية لا يوجد هناك كائن حي يُعَدُّ

---

(١) ينظر: المجلة العلمية Journal of Melecular Evolution العدد ٢٦ صفحة ٩٩ - ١٢١.

(٢) خريطة الجينات وإحراق «دارون»! أورخان محمد علي - إسطنبول ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م واحة الفكر والعلم، موقع: إسلام أون لاين.نت. http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml

(٣) المصدر نفسه.

جدّاً لكائن آخر، ولا يوجد هناك كائن أكثر بدائية، أو أكثر تطوراً من كائن آخر)[1].

فخلية حيوان الحلزون ـ الذي كنا ننظر إليه سابقاً باحتقار ـ أو خلية أي حيوان زاحف، لا تختلف من حيث البنية عن خلية أي حيوان من اللبائن التي يقال أنها متطورة، ففي السابق عندما كان يعتقد أن المادة الرئيسة للخلايا هي الأحماض الأمينية كنا نحسب أن الفرق بين خلية بدائية وأخرى متطورة يكمن في نوع، وفي عدد هذه الأحماض الأمينية، بينما أدى اكتشاف D.N.A. إلى نبذ جميع هذه الآراء والفرضيات، فأروع تخطيط وأروع تنظيم وأروع برمجة نراها موجودة في خلية العشب وفي خلية الدماغ سواء بسواء[2].

ومن المدهش أن بعض الزواحف (السلاماندر) يحوي في كل خلية من خلاياه ما يقارب ٣ ملايين مورثة، وبالتالي فإن المادة الوراثية في هذه الحيوانات أكثر تعقيداً من المادة الوراثية للإنسان، وهذا بالطبع لا يتماشى مع نظرية داروين التي تقول إن تطور الكائنات الحية بدأ من البساطة إلى التعقيد، ولكن وحسب المعطيات الوراثية، فإننا نرى أن السلاماندر الذي هو أدنى في سلم التطور من الإنسان، يحوي جهازاً معقّداً من المادة الوراثية، ويبدو أيضاً أن الفأر يحتوي على ذخيرة وراثية أكثر تعقيداً من الذخيرة الوراثية للإنسان[3].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشفرة الوراثية ومستقبل البشر موسى محمد العبد الخلف ـ مجلة العربي العدد ٥٠٢، ١/٠٩/٢٠٠٠.

إن التركيب المعقد للخلية الحية لم يكن معروفاً أيام داروين، وفي ذلك الوقت كان دعاة التطور يعتقدون أن إرجاع الحياة إلى المصادفات والظروف الطبيعية يعتبر أمراً مقنعاً بما فيه الكفاية.

ولكن تكنولوجيا القرن العشرين تعمقت في أصغر جسيمات الحياة وكشفت أن الخلية هي أكثر النظم التي واجهتها البشرية تعقيداً وأن أبسط نوع من أنواع الخلية يشكل آلية أعقد بكثير من أية آلة صنعها الإنسان حتى الآن أو حتى تخيل صنعها.(١)

ويحتوي الجزء المسمى بالحمض النووي الصبغي (D.N.A.) على خريطة كاملة لبناء الجسم البشري إذ إن المعلومات الخاصة بجميع صفات الإنسان (من المظهر الجسدي إلى بنية الأعضاء الداخلية) مسجلة في الحمض النووي الصبغي بواسطة نظام تشفير خاص.

ويتم تشفير المعلومات الموجودة في الحمض النووي الصبغي في إطار تتابع أربع جزيئات خاصة بتسلسل خاص، وتسمى هذه الجزئيات النيكلوتايد أو القاعدة وترمز لها بالحروف الأولى من أسمائها A,T,G,C وتعتمد جميع الاختلافات التركيبية بين الناس على التنوعات الموجودة في تتابع هذه الحروف ويعد هذا النوع من أنواع بنوك المعلومات المكونة من أربعة حروف.

ويحدد الترتيب التتابعي للحروف في الحمض النووي الصبغي تركيب الإنسان نزولاً إلى أصغر التفاصيل وبالإضافة إلى الملامح (مثل الطول والعين والشعر ولون البشرة)، وإذا أردنا أن نكتب المعلومات المشفرة في

---

(١) ينظر: خديعة التطور: ص ١٠٧.

الحمض النووي الصبغي فسيعني هذا أننا نريد تأليف مكتبة عملاقة تحوي ٩٠٠ مجلد من الموسوعات يتألف كل مجلد منها من ٥٠٠ صفحة! إن هذا القدر الغزير من المعلومات المشفرة موجود في مكونات الحمض النووي الصبغي المسماة بالجينات[١].

وقد أثبتت قوانين مندل[٢] الوراثية أن الخلايا ليست متشابهة ولكنها تختلف بشكل أساسي باختلاف الفصائل المختلفة وهناك اختلاف بين خلايا الأجزاء المختلفة في جسم المخلوق، فالإنسان تختلف خلايا جسمه وهو شخص واحد، وهذا رد على نظرية التطور، وتحتوي كل خلية على عدد من المكونات أهمها البروتوبلازم، وفي علم الوراثة أهمها الكروموسومات وهي الحامل للصفات الوراثية، وكل كروموسوم عبارة عن تركيب في بناء أية خلية، ويوجد عدد محدود منها في كل خلية من خلايا المخلوق، ويتحدد عدد الكروموسومات في الخلية طبقاً للنوع الذي تنتمي إليه هذه الخلية[٣].

قام الداروينيون بتجميع جهودهم أمام المعضلات الفكرية التي واجهوها خصوصاً في ثلاثينيات القرن العشرين وساقوا نظرية جديدة أسموها بنظرية

---

(١) خديعة التطور: صفحة ١٣٢.

(٢) مندل: هو (جريجور يوهان مندل) (Gregore Johann Mendel) ولد ٢٠ يوليو ١٨٢٢ ـ ٦ يناير ١٨٨٤ م) هو أبو علم الوراثة، وعالم نبات وراهب نمساوي اكتشف الكثير من التجارب القوانين الأساسية للوراثة وأدت تجاربه في تكاثر نبات البازلاء إلى تطور علم الوراثة وكانت تجاربه هي الأساس لعلم الوراثة. ينظر: ينظر: موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة /ar.wikipedia.org/wiki

(٣) الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرى ـ دراسة مقارنة، رسالة ماجستير إعداد الطالب: أشرف أحمد محمد محمد عماشة، المعيد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة، إشراف: الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي، في ١٨/ مارس/ ٢٠٠٣ م: ص ١٣.

التكون الحديث أو ما عرف بالداروينية الحديثة وحسب هذه النظرية هناك عامل آخر له تأثر تطوري إلى جانب الانتخاب الطبيعي وهذه العامل يتلخص في حصول طفرات وراثية أوجينية تكفي سبباً لحدوث تلك التغييرات الإيجابية المطلوبة وهذه الطفرات تحدث إمّا بسبب التعرض للإشعاعات أو نتيجة خطأ في الاستنساخ الوراثي للجينات.

وهذه النظرية ما زالت تدافع عن التطور لدى الأحياء تحت اسم الداروينية الحديثة وتدعي هذه النظرية أن الأعضاء والتراكيب الجسمية الموجودة لدى الأحياء والمعقدة التركيب كالعين والأذن أو الكبد والجناح... إلخ لم تظهر أو تتشكل إلاّ بتأثير حدوث طفرات وراثية أو حدوث في تركيب الجينات، ولكن هذا الادعاء يواجه مطبّاً علمياً حقيقياً وهو أن الطفرات الوراثية دائماً تشكل عامل ضرر على الأحياء ولم تكن ذات فائدة في يوم من الأيام وسبب ذلك واضح جداً فإن جزيئة الـ DNA معقدة التركيب للغاية وأي تغيير جزيئي عشوائي مهما كان طفيفاً لا بد من أن يكون له أثر سلبي وهذه الحقيقة العلمية يعبر عنها ب. ج رانكا ناثان الأمريكي الاختصاصي في علم الجينات كما يلي: إن الطفرات الوراثية تتسم بالصغر والعشوائية والضرر ولا تحدث إلاّ نادراً وتكون غير ذات تأثير في أحسن الأحوال، إن هذه الخصائص العامة الثلاث توضح أن الطفرات لا يمكن أن تلعب دوراً في إحداث التطور خصوصاً أن أي تغيير عشوائي في الجسم المعقد لا بد له أن يكون إمّا ضاراً أو غير مؤثر، فمثلاً أي تغيير عشوائي في ساعة اليد لا يؤدي إلى تطويرها فالاحتمال الأكبر أن يؤدي إلى إلحاق الضرر بها أو أن يصبح غير مؤثر بالمرة[١].

---

(١) العظمة في كل مكان / هارون يحي / ١٣٣.

وأفضل مثال للطفرة الوراثية الحاصلة لجسم الإنسان هو الإصابة بمرض السرطان، ولا يمكن والحال كذلك أن تصبح الطفرات الوراثية ذات التأثير الضار آلية معتمدة علمياً لتفسير عملية التطور[١].

إن عبارة داروين المشهورة إن (الحياة بدأت بسيطة) هي عبارة مضحكة ولقد مضى خمسون عاماً على العبارة التي كتبها ويلز في مرجع ويلز وهو كسيلي أنه لا يرى شيئاً داخل النواة ما عدا سائل شفاف ونحن نعرف الآن أن الخلية عبارة عن وحدة مركبة مليئة ببلايين المركبات النووية في مادة الجينات الموجودة داخل النواة وتجري داخلها ملايين العمليات الكيماوية الحيوية[٢].

إن العبارة التالية مقتبسة من كلام الأستاذ إيدون كونكلن الذي قال: إن احتمال بداية الخلق كحادث عشوائي هو نفس الاحتمال لإنتاج قاموس كامل مرتب الكلمات والمعاني نتيجة لانفجار مطبعة، وهذا أمر يستحيل حدوثه[٣].

وبذلك تخسر الداروينية بشقيها القديم والحديث كل مرتكزاتها الواهية في محاولة إثبات نظرية التطور المتهرئة تلك النظرية التي أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية ولا زالت.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) إثبات فشل نظرية داروين بطريقة الإحتمالات، الموقع: منتدى طلاب قسم الإحياء، في الأحد مارس ٣٠، ٢٠٠٨ م، ٥٨:٧ pm.

(٣) المصدر السابق.

المبحث الثالث:

الخلايا الجذعية وآثار استخدامها

وفيه أربعة مطالب:

* **المطلب الأول: التعريف بالخلايا الجذعية**
* **المطلب الثاني: استخلاص الخلايا الجذعية بين القبول والرفض**
* **المطلب الثالث: متى تعتبر حرمة الجنين؟**
* **المطلب الرابع: الموقف الشرعي لاستخلاص الخلايا الجذعية**

المطلب الأول:

التعريف بالخلايا الجذعية

تعتبر مسألة الخلايا الجذعية أو الجذرية ـ كما يسميها البعض ـ مسألة مستجدة، فلم يتناولها بصورة مباشرة نص من كتاب أو سنة، كما أن المتقدمين من العلماء لم يبحثوا فيها لأنها وليدة كثير من التقدم العلمي في مجال الطب.

وبداية لا بد من تحديد هذه الخلايا وتحديد الاسم الملائم لها ضمن معطيات اللغة العربية، حيث نجد تسميات عدة لمسمى واحد: الخلايا الجذرية، الخلايا الجذعية، خلايا المنشأ، الكيسية الأرومية، وغيرها.

البعض يرجح (الكيسية الأرومية) إذ إن هذه الكلمة تصيب الهدف لأن الأرومة كما تقول كتب اللغة هي الأصل وكذلك أصلُ كلّ شيء ومجتَمَعُه، وأرومة الرجل هي أصله، والأرومة أصل الشجرة واستعملت للحسب يقال هو طيب الأرومة كريم الأصل[1].

(١) ينظر: لسان العرب [١٢ / ١٣]، معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس =

وقد يطلق عليها الخلايا الجذعية الجنينية أو الخلايا الأولية أو الأساسية.

اكتسبت هذه الخلايا مسماها من الترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي المستخدم في الدول الناطقة باللغة الإنكليزية حيث تطلق هذه الكلمة على جذوع الشجرة، أو ساق النبتة أو عذق الموز مثلاً، كما تأتي بمعنى المنشأ أو الأصل أو الأرومة.

فترك المترجمون المعنى الثاني وهو الأقرب إلى المقصود واختاروا المعنى الأكثر شيوعاً برغم بعده عن الخلايا، بل إنه لا يمت إليها بصلة، لذلك شاع هذه اللفظ بدون تمحيص ولربما كان من المناسب إضافة الكلمة الأكثر التصاقاً بالمقصود خلايا المنشأ[1].

فالخلايا الجذعية هي: اللبنات الأولى التي يتكون منها الجنين وبالتالي كافة أنواع خلاياه وأنسجته المختلفة[2]. والتي هي (أكثر من ٢٢٠ نوعاً من الخلايا والأنسجة) ولذا فإن معرفة ماهية هذه الخلايا وكيفية تخصصها وتحولها بأمر ربها وخالقها إلى خلايا قلب أو خلايا كبد أو خلايا جلد أو

بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م: [١ / ٨٥]، تاج العروس من جواهر القاموس [٣١ / ٢٠٧]، المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة: [١ / ١٥].

(١) ينظر: الخلايا الجذعية واستنساخ الأجنة: الخلفيات والتوقعات والمحاذير، أ. د أمين كشميري، بحث مقدم إلى مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية: ص ٣.

(٢) الخلايا الجذعية: الدكتور: محمد علي البار. مستشار الأمراض الباطنية وعضو المجمع الفقهي الإسلامي، مجلة الإعجاز العلمي، العدد السابع والعشرين جمادى الأولى ١٤١٧ هـ، مجلة المجمع الفقهي، القرار الثالث، بشأن الخلايا الجذعية، العدد ١٧ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

خلايا دماغ أو خلايا دم أو خلايا كلى، هي في منتهى الأهمية لمعرفة كيفية تكوين الجنين الإنساني ومعرفة كثير من أسرار ذلك التكوين وبالتالي فهم نشأة هذا الخلق وتطوره ومداواة ما يعرض له من شذوذ وأمراض. . . وهناك العديد من الاستعمالات الطبية المسقبلية للخلايا الجذعية وقد بدأت التجارب في كثير من هذه الميادين وحققت نجاحاً جيداً[1].

وتبرز فائدة خلايا المنشأ في كونها يمكن أن تشكل منها أعضاء حسب الطلب لقدرتها الفائقة على إنتاج العضو الذي يحدده الأطباء عن طريق تنشيط بقية الخلايا وتحضير الخلايا أو الخلية التي تنتج العضو المطلوب في التعبير عن نفسها وإن كان ذلك لا يزال مجرد حلم من أحلام الأطباء إلاّ أن العمل يجري في معظم المراكز العلمية لتحقيق هذه المعجزة، وتبقى محاولات تخليق عضو كامل من هذه الخلايا أمراً مستحيلاً على الأقل في الوقت الحاضر[2].

ويعتبر البروفيسور (جيمس توسن) من جامعة (ماديسون) في الولايات المتحدة أول شخص استخدم خلايا المنشأ وذلك عام ١٩٩٨ م وقد أخذها من الجنين في مرحلة الكرة الجرثومية البلاستولا ونماها إلى أنواع مختلفة من الخلايا والأنسجة ـ ليست أعضاء ـ وكون عدداً من الخطوط الخلوية المستمرة من هذه الأنواع[3].

وتستخدم خلايا المنشأ فيما يعرف بعلاجات الخلية حيث يمكن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر: استنساخ الإنسان بين الحقائق والأوهام مارتاسي نسيوم، كارس سانشيتين: تقرير اللجنة الوطنية في مقدمة الكتاب: ص ٤٠.

(٣) ينظر: الخلايا الجذعية والقضايا الأخلاقية والفقهية: د. محمد علي البار: ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م: ص ٤٢.

استخدامها بعد تحفيزها حتى تصير خلايا متخصصة في تكوين بعض الأنسجة كالجلد، يقول أ. د بلحاج العربي بن أحمد: وقد أمكن للعلماء تحت ما يعرف بالطب البديل التجديدي معالجة كثير من الأمراض التنكسية باستخدام المنشأ ومنها مرض الشلل الرعاش، ومرض الزهايمر، وإصابات النخاع الشوكي، ومرض السكتة الدماغية ومرض السكر بالحصول على خلايا تنتج الأنسولين ومعالجة السرطان عن طريق خلايا نخاع العظم، ويتم ذلك باستخدام الهندسة الجينية وتقنيات الاستنساخ الجيني العلاجي[1].

والخلايا الجذعية يمكن أن تتكون منها جميع أنواع الخلايا بمعنى أن فيها طاقة كامنة تمكنها من أن تتحول إلى أي نوع من الخلايا الأخرى ويمكن تقسيم هذا النوع من الخلايا بحسب المصدر الذي تستقى منه إلى الأنواع الآتية:

١ ـ **الخلايا الجذرية الجينينة**: وتؤخذ من البويضات المخصبة أو من أقسامها ويمكن أن تتحول إلى أي نوع من أنواع الخلايا كما أنها تصدر أنزيماً يساعدها على الانقسام باستمرار.

٢ ـ **الخلايا الجذرية البالغة**: وتؤخذ من إنسان حي سواء كان طفلاً أو بالغاً وعمرها في الغالب محدود ووجودها في الجسم بكميات قليلة تقل مع تقدم العمر وقد تحتوي على عيوب لتعرضها لبعض المؤثرات كالسموم.

---

(١) الحدود الشرعية والأخلاق والإنسانية لبحوث الخلايا الجذعية المستخدمة في العلاج بالخلايا أ. د بلحاج العربي بن أحمد: ص ٧ httplinks.islammemo.cc/kashaf/:// printnews.asp?dnew في ١٧/ ٤/ ١٤٢٥ هـ.

٣ ـ **الخلايا الجذرية** الحاصلة من دم الحبل السري أو المشيمة[(١)].

كما يمكن تقسيم الخلايا الجذرية بحسب إمكان تكوين خلايا اخرى منها إلى ما يأتي:

(أ) ـ الخلايا الجذرية كاملة القدرة وهذه يمكن تكوين أي نوع من أنواع الخلايا منها.

(ب) ـ الخلايا الجذرية وافرة القدرة تؤخذ من الكتلة الخلوية للجنين ويتكون منها أي نوع من أنواع الخلايا غير الداعمة للجنين فلا تتمكن من تكوين خلايا الأغشية أو المشيمة.

(ج) ـ الخلايا الجذرية متعددة القدرة وباسطتها يمكن تكوين خلايا من نسيج معين واحد دون بقية الأنسجة فمثلاً يمكن أن تتكون منها كريات الدم الحمراء والبيضاء إذا كانت خلايا دم متعددة القدرة[(٢)].

ويعقد عدد من الباحثين آمالاً كثيرة على القدرة على التعامل مع الخلايا الجذرية مع إمكان معالجة عدد من الأمراض المتعصية وتعويض الأجزاء التالفة في الجسم بواسطة ذلك، بل إن بعض الباحثين يعتبر هذه الاكتشافات ثورة تقنية حيوية تفتح آفاقاً جديدة واسعة في علاج كثير من الأمراض التي وقف الطب عاجزاً أمامها زمناً طويلاً[(٣)].

---

(١) تطبيقات الخلايا الجذرية، الدكتور سمير عباس مدير مراكز الدكتور سمير عباس الطبية ومختبرات جينتيك حلقة نقاش «بحوث الخلايا الجذرية.... نواحي أخلاقية» الرياض، السعودية، ١٨ رجب ١٤٢٣ هـ: ص ٥.

(٢) الخلايا الجذعية والقضايا الأخلاقية: ص ٧.

(٣) القواعد الفقهية والأصولية ومقاصد الشريعة ذات الصلة ببحوث الخلايا الجذعية: الدكتور سعد بن ناصر، ٢٣٣ ـ ٢٣٤ مجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد (١٨).

المطلب الثاني:

استخلاص الخلايا الجذعية بين القبول والرفض

تقف الكنيسة الكاثوليكية في وجه استخدام الأجنة كمصدر من مصادر الخلايا الجذعية لأنها تؤدي إلى قتل الأجنة البشرية ـ في مرحلة متقدمة من العمر ـ وهم لا يفرقون بين مراحل الحمل المختلفة، كما لا يفرقون بين الحركة اللاإرادية للجنين ـ والتي يعبر عنها العلماء المسلمون بحركة النمو والاغتذاء، وهي التي تتم في مدة الأربعين يوماً الأولى ـ وبين مرحلة نفخ الروح في الجنين التي تعتبر في الشريعة وفي علم الأجنة في الشهر الرابع أي بعد ١٢٠ يوماً.

ومع ذلك نجد أن في المملكة المتحدة (بريطانيا) قد تم السماح رسمياً فيها باستخدام الاستنساخ للحصول على الخلايا الجذعية في فبراير سنة ٢٠٠٢ م[١].

كما أقرت الولايات المتحدة مثل ذلك القرار عبر المعاهد الوطنية

---

(١) الخلايا الجذعية والقضايا الأخلاقية والفقهية: ص ٥٨.

للصحة في ٢١/١١/٢٠٠٠ م، وفي أستراليا وافقت الحكومة الاتحادية في ٢٠٠١ م على إذن موحد يسمح بالاستنساخ العلاجي عن طريق استنساخ الخلايا الجذعية البشرية لأغراض البحوث الطبية[١].

كما تعارض كل من إيطاليا وسويسرا والنرويج وإسبانيا والبرتغال والصين واليابان وكذا البرلمان الأوروبي واليونسكو ومنظمة الصحة العالمية (WHO)[٢] وكبار الحاخامات اليهود استنساخ الأجنة البشرية بغرض التكاثر بينما تسمح باستخدامها في البحوث والتجارب الطبية[٣].

بينما تعارض ألمانيا هذا الاتجاه وتحظر استنساخ الخلايا الجذعية البشرية لأغراض البحوث الطبية. ومع ذلك فإن العلماء الألمان يستوردون تلك الأجنة من الولايات المتحدة لإجراء البحوث عليها مستغلين ثغرة في التشريعات الألمانية الصارمة حيث تستفيد من ذلك عصابات الإجرام المنظم العالمية والتي تقوم بتأجير الفتيات ليحملن سفاحاً ثم يجهضن مستغلين أنسجة الجنين في العمليات الجراحية المختلفة مما مهد لظهور سوق عالمية للإتجار البغيض بالأجنة البشرية[٤].

وتم أخيراً في اليابان الموافقة على استنساخ أجنة بشرية من أجل الأبحاث بشروط ملائمة يقف في مقدمتها إنشاء نظام حكومي لتقييم الأبحاث[٥].

---

(١) الحدود الشرعية والأخلاق والإنسانية لبحوث الخلايا الجذعية المستخدمة في العلاج بالخلايا: ص ٧.

(٢) وهو اختصار لـ (World Health Organization)

(٣) الحدود الشرعية والأخلاق والإنسانية لبحوث الخلايا الجذعية المستخدمة في العلاج بالخلايا: ص ٧.

(٤) الحدود الشرعية والأخلاق والإنسانية لبحوث الخلايا الجذعية المستخدمة في العلاج بالخلايا: ص ٧.

(٥) المصدر السابق.

وفي محاولة لتجاوز تلك المعوقات الأخلاقية فقد تمكن بعض العلماء من الحصول على الخلايا الجذعية من مصادر غير الأجنة فراراً من المسؤولية الدينية والأخلاقية ومن تلك الأبحاث:

دراسة قامت بها الطبيبة السعودية د. إلهام أبو الجدايل حيث اكتشفت خلال عملها في بحث يقتضي قتل خلايا الدم البيضاء، أن هذه الخلايا تتحول حين تلامس مادة حيوية إلى مادة جذعية، وقد تم التحقق من جدية البحث في مستشفى (هامر سميث وامبريال كولج) في لندن ووقعت معها إحدى الشركات الأمريكية عقداً احتكارياً لتطوير هذه التقنية وبدء التجارب على البشر[١].

توصل فريق من العلماء إلى طريقة جديدة لتحويل الخلايا الجذعية (خلايا المنشأ) المأخوذة من البالغين إلى خلايا غير ناضجة مع إمكانية تحويل هذه الخلايا إلى أنواع عديدة من الأنسجة، ويمكن أن يقدم هذا الإنجاز، الذي توصل إليه معهد سكريبس للأبحاث في كاليفورنيا، طريقة آمنة لزراعة الأنسجة لأغراض طبية، والخلايا الجذعية المعروفة أيضاً بخلايا المنشأ قادرة على التطور إلى أي نوع من الخلايا والأنسجة في الجسم وتعد بتوفير أساليب علاج للعديد من الحالات المرضية مثل الشلل أو الشلل الرعاش باركنسون[٢].

لكن استخدامها مثير للجدل وهو ما يجعل البعض يعارض استخدامها لأنها رغم وجودها في أنسجة البالغين إلاّ أن أكثر خلايا المنشأ قدرة على التحول هي الموجودة في الأجنة، ويرجع الفضل في هذا التطور الجديد

---

(١) موقع: www.bbc.com في ٢٤/ ١/ ٢٠٠١.

(٢) ينظر: موقع BBCARABIC.COM الخميس ٢٥/ ديسمبر / ٢٠٠٣.

إلى جزيء صغير يدعى رفرسينو وجد الباحثون أن هذا الجزيء يساعد في الحصول على الخلايا المسؤولة عن تكوين العضلات لتتحول إلى خلايا غير ناضجة لم يتم التوصل إلى شكلها النهائي بعد، ومن ثم فإن هذه الخلايا يمكن تتحول إلى أنواع مختلفة من الأنسجة مثل العظام أو الغضاريف، وقال الدكتور شينج دينج، أحد أعضاء فريق البحث: تساعد هذه الطريقة على جعل أبحاث خلايا المنشأ أكثر عملية، وأضاف: وهذا بدوره سيسمح بإمكانية الحصول على خلايا شبيهة بخلايا المنشأ من الخلايا الناضجة وبالتالي تجنب المسائل الفنية والأخلاقية المرتبطة بخلايا المنشأ الجنينية[١].

(١) المصدر نفسه.

المطلب الثالث:

متى تعتبر حرمة الجنيـن؟

الجنين: ما دام الولد في بطنِ أمه فهو جَنينٌ وقد جَنَّ في الرحمِ يَجِنُّ جَنّاً وجَنَّتِ المرأةُ وأجَنَّتْ وإنما سمي جنيناً لأنه اجْتَنَّ أي اكْتَنَّ في بطن أمه ولذلك سمي القلبُ جَناناً[1].

وكلُّ شيء سُتِرَ عنك فقد جُنَّ عنك ومنه سمي الجَنينُ لاسْتِتارِه في بطنِ أُمِّه[2].

وقد حصل خلاف حول تحديد مفهوم الجنين متى يسمى جنيناً له حرمة فلا يحق الاعتداء عليه بإجهاض أو بغيره، وهل يسمى جنيناً بمجرد اختلاط حيمن الرجل ببويضة الأنثى؟ أم لا بد من نفخ الروح؟ ثم متى تنفخ فيه الروح، وما هي علامة ذلك؟ وبمعنى آخر متى تبدأ الحياة؟

---

(١) المخصص ـ لابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م: (١/ ١٩).

(٢) ينظر: لسان العرب: (١٣/ ٩٢)، النهاية في غريب الأثر: [١ / ٨٢٨].

تنقسم الآراء حول هذا الموضوع إلى أقوال هي:

القول الأول: الحياة تبدأ من لحظة الإخصاب. إن بداية الحياة تكون من وقت الالتحام على أساس قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا[1]﴾ وما يتبع ذلك الا تطور لهذه النطفة[2].

إذ يطلق لفظ الجنين على الحمل منذ التقاء الحيوان المنوي بالبييضة، وتكون البويضة الملقحة حتى الأسبوع الثامن فيما يعرف (Embryo) وبعد الأسبوع الثامن ينبغي تسميته الحميل أو الجنين الناضج[3].

وهذا القول يقول به علماء الأجنة ويحتمله مجاز اللغة العربية، لكن الإعراض عنه ألزم لوجود أحكام شرعية تتعلق به في الفقه الإسلامي مثل نسبه، ودفنه والصلاة عليه، والدية ونحو ذلك، وقد أطلق بعض الفقهاء لفظ الجنين على الحمل منذ التقاء الحيوان المنوي بالبويضة وحصول الإخصاب، وإليه ذهب المالكية، قال ابن جزي: وإذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض لهو أشد من ذلك إذا تخلق وأشد من ذلك إذ أنفخ في الروح فإنه قتل نفس إجماعاً[4].

القول الثاني: هو حي من وجه دون وجه: والمقصود أن للجنين حياة

---

(١) سورة الإنسان/ الآية: ٢.

(٢) ينظر: الهندسة الوراثية والأخلاق، تأليف ناهدة البقصمي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٩٣ م: ص ١٣٣.

(٣) ينظر: الموسوعة الطبية العربية، د. عبد الحسين بيرم، بيروت، الدار الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع / ط/١، ١٩٨٩ م، ص: ٣٨٨.

(٤) القوانين الفقهية لابن جزى [ص ٢٢٩]، فتح العلي المالك (فتاوى ابن عليش) [٣ / ٢٨].

ولكنها لا تشبه حياة الكائنات المكتملة النمو بل هي إلى حياة النبات أقرب وهذا قول المحققين من أهل العلم كالإمام الغزالي وابن القيم[(١)] والحافظ بن حجر[(٢)].

إن هذه الحياة ليست هي الحياة المرادة في المصطلح القرآني وهي لا تخرج الجنين قبل نفخ الروح فيه عن صفة الموت، إن هذه الحياة شبيهة بالحياة التي يوصف بها النبات[(٣)].

قال ابن القيم فإن قيل: الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟ قيل فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالإرادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته

---

(١) ابن قيم الجوزية: (٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: أحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصى، وأطلق بعد موت ابن تيمية، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغر يحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، وألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين) و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) وغيرها. ينظر: شذرات الذهب ـ ابن العماد [٦ / ١٧٩]، الأعلام للزركلي [٦ / ٥٦].

(٢) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، بيروت، دار المعرفة، آداب المعاشرة: ٢/ ٥١، التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، دراسة وتحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان: [٢/ ٣٥٢]، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)، كتاب القدر: ١١/ ٤٨١.

(٣) ينظر: الهندسة الوراثية والأخلاق ١٣٤.

إلى حركة نموه واغتذائه[1].

القول الثالث: لا يسمى جنيناً إلاّ إذا تبين منه خلق آدمي، وإلى ذلك ذهب الشافعية والحنابلة وجمهور الحنفية إلى أنه لا يسمى جنيناً إلاّ إذا تبين منه خلق آدمي أو شهد ثقات بأنه مبتدأ خلق آدمي لو تم لتخلق[2].

فلا حياة للنطفة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وعبد ا بن مسعود وقتادة وغيرهم حيث ذكر ابن كثير في تفسيره قول ابن عباس عند قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[3]﴾.

قال: كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حين تبعثون[4].

وعن قتادة، قوله: كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً الآية. قال: كانوا

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، دراسة وتحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان: [٢ / ٣٥٢].

(٢) ينظر: الدر المختار [٧ / ١٦٢]، تكملة حاشية رد المحتار [١ / ١٦٢]، الأم، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠ ـ ٢٠٤ مع مختصر المزني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م: [٦ / ١١٥]، المهذب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار الفكر، بيروت: [٢ / ١٩٧]، الشرح الكبير: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د عبد الله تركي، القاهرة، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة ألاولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م: [٩ / ٥٣٢]، كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق: محمد أمين الصاوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م: [٦ / ٢٤].

(٣) سورة البقرة/ الآية: ٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير: [١ / ٢١٢].

أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله وخلقهم، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان[1].

القول الرابع: لا يكون الجنين حيّاً إلاّ بعد مرور أربعة أشهر، أي (١٢٠) يوماً[2]، واستدلوا بحديث عبد الله بن مسعود والذي أخرجه الشيخان في صحيحهما عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق ـ قال: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكاً فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ[3].

وقد نشأ نتيجة لهذا القول الخلاف حول إسقاط الحمل في مرحلة المضغة أي قبل إكمال الأربعين الثالثة، والمضغة حسب التقسيم القرآني تنقسم إلى قسمين: مضغة مخلقة، ومضغة غير مخلقة، وقد فسر بعض العلماء المخلقة بالمصورة، وغير المخلقة بالسقط[4].

ويؤيد العلم الحديث موعد نفخ الروح طبقاً لما جاء في حديث ابن مسعود حيث أكدت الأبحاث على عدد من الأجنة أن المناطق العليا من

---

(١) تفسير الطبري [١ / ٤٢٠].

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م: [٢ / ٤٢١].

(٣) صحيح البخاري: [٣ / ١١٧٤] باب ذكر الملائكة، برقم (٣٠٣٦)، صحيح مسلم: [٤ / ٢٠٣٦] باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، برقم (١).

(٤) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، دمشق، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م: ٦/ ٦٥١.

المخّ والتي تتحكم فيما تحتها من المراكز تكون غير موصلة كهربائياً بالمناطق التي تحتها، ولا يبدأ الاتصال والتشابك وإرسال الإشارات إلاّ بعد مرور ١٢٠ يوماً[١].

القول الخامس: تبدأ حياة الجنين بعد مرور أربعين يوماً، ومستند ذلك حديث النبي ﷺ: (إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكاً فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ)[٢].

أخبر ﷺ في نفس الحديث أن أطوار الجنين الأولى؛ العلقة والمضغة تبدأ وتكتمل أوصافها وتنتهي خلال هذه الأربعين. فالحديث يتكلم عن التحديد الزمني لقضيتين: الأولى: زمن جمع الخلق لخلايا أعضاء الجسم في صورة براعم أولية، والثانية: زمن أطوار الجنين؛ العلقة والمضغة نصاً والنطفة لزوماً؛ لأنه لا وجود لكلمة النطفة في الروايات الصحيحة. والحديث بهذا اللفظ للإمام مسلم يختلف عن حديث الإمام البخاري في زيادة عبارة (في ذلك) والتي صححت الفهم وأظهرت التطابق التام مع حقائق علم الأجنة الحديث، بناء على هذه الرواية للحديث فخلق الجنين يجمع خلال الأربعين يوماً الأولى من عمره، وأطوار النطفة والعلقة والمضغة تقع وتكتمل كلها في خلال هذه الأربعين؛ لأن لفظ (في ذلك)

---

(١) الخلايا الجذعية والقضايا الأخلاقية والفقهية: ص ١٠٣.

(٢) صحيح مسلم: [٤ / ٢٠٣٧] باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، برقم (٣).

يعود إلى الوقت، أي إلى الأربعين يوماً، أما اسم الإشارة في قوله (مثل ذلك)، فلا بد أنه يعود إلى شيء آخر غير الوقت، وأقرب شيء إليه هنا هو جمع الخلق، والمعنى أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك (أي في ذلك العدد من الأيام) علقة (مجتمعة في خلقها) مثل ذلك، (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين)، ثم يكون في ذلك (أي في نفس الأربعين يوماً) مضغة (مجتمعة مكتملة الخلق المقدر لها) مثل ذلك، (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين يوماً)، وذلك من ترتيب الإخبار عن أطوار الجنين لا من ترتيب المخبر به، وهو ما توصل إليه وحققه ابن الزملكاني[1] في القرن السابع الهجري، واستنتج من ذلك أن النطفة والعلقة والمضغة تتم وتكتمل خلال الأربعين يوماً الأولى[2].

المناقشة والترجيح:

بعد عرض الأقوال وأدلتها تبين أن القول الأول له وجه معتبر وله قيمته وإن افتقر إلى الأدلة القوية والنصوص الشرعية التي تدعمه، أمّا القول الثاني فقد نظر إلى الواقع الملوس لحياة الجنين وفرق بين الحياة الحكمية

---

(١) ابن الزملكاني: (٦٦٧ - ٧٢٧ هـ = ١٢٦٩ - ١٣٢٧ م) محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني: فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره، ولد وتعلم بدمشق، وتصدر للتدريس والإفتاء، ولينظر ديوان (الأفرم) ونظر الخزانة ووكالة بيت المال، وكتب في ديوان الإنشاء ثم ولي القضاء في حلب فأقام سنتين، وطلب لقضاء مصر، فقصدها، فتوفي في بلبيس ودفن بالقاهرة. ينظر: طبقات الشافعية ـ لابن قاضي شهبة [٢ / ٢٩١]، طبقات الشافعية الكبرى: [٩ / ١٩٠] الأعلام للزركلي [٦ / ٢٨٤].

(٢) بحوث الإعجاز العلمي وأثرها في القضايا الفقهية د. عبد الله المصلح / د. عبد الجواد الصاوي، موقع رابطة العالم الإسلامي، مجلة الإعجاز، العدد التاسع والعشرين، ١/١/١٤٢٩ هـ الموافق ١٠/١/٢٠٠٨ م.

والحياة الحقيقية فهي حياة اغتذاء وبعد نفخ الروح حصل لها اعتبار آخر، والقول الثالث نظر إلى تشكل خلق الآدمي في الحكم عليه، أمّا القول الرابع فقد ذكر أن الجنين لا يحكم بحياته إلاّ بعد مرور ١٢٠ يوماً استناداً إلى الحديث الصحيح الذي رواه ابن مسعود وأخرجه الشيخان، وهذا القول له من معطيات العلم الحديث ومكتشفاته ما يؤيده وينصره.

وأمّا القول الخامس فقد فسر الحديث تفسيراً يوافق ما توصل إليه بعض الباحثين في ذلك، وبعد هذه الاستعراض للأقوال فالذي أراه راجحاً منها هو القول الرابع لقوة أدلته ووضوحها وخصوصاً ما يؤيده مما توصل إليه العلم الحديث في ذلك، لكني أرى أن لا تغفل أو تهمل تلك الأقوال فيمكن استعمالها ضمن ضوابط ومقررات منضبطة بضوابط الشرع دون إهمالها فيكون الحال كحال الإمام الشعراني في كتابه الميزان الكبرى عندما حاول عدم إهمال قول من أقوال الأئمة وأشار إلى أن لكل قول ما يناسبه رخصة أو عزيمة، والله أعلم.

وقد اختلف أهل العلم في النطفة قبل تمام الأربعين على قولين:

القول الأول: لا يثبت لها حكم السقط والوأد[1].

---

(١) وعلى هذا القول عامة أهل المذاهب حتى المذهب المالكي الذي قد ينسب اليه البعض القول بحرمة القاء النطفة، ينظر: المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) رواية سحنون، تحقيق: علي بن السيد هاشم، طبع على نفقة الشيخ زايد آل نهيان، ١٤٢٢ هـ: ص ٣١٩، تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م: ١٢/ ٨، المغني، لابن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، الرياض، دار عالم الكتب، ط/ ٤، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م: ١٢/ ٦٣، حاشية ابن عابدين، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩، الطبعة الثانية، ١/ ٣٠٢، نهاية =

القول الثاني: لها حرمة ولا يباح إفسادها ولا التسبب في إخراجها بعد الاستقرار في الرحم[1].

فلا يجوز إسقاط الحمل بعد استقرار النطفة في الرحم وأن حرمة الجنين تزداد بمرور الأيام وتبلغ أقصى درجات الحرمة بعد نفخ الروح فيها لذا فالأخذ بهذا الرأي هو الأحوط والأسلم إلاّ عند وجود العذر الشرعي المبيح للإسقاط فذلك بحث آخر وعند ذلك نعمل القاعدة الفقهية (الضرورات تبيح المحظورات)[2] والله أعلم.

المحتاج إلى شرح المنهاج: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، (ت ١٠٠٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م: ٨/ ٤٤٢، أسنى المطالب شرح روض الطالب، القاهرة، الناشر دار الكتاب الإسلامي، تحقيق عبد الرزاق غالب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٧/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، باب آداب المعاشرة: ٢/ ٥١، جامع العلوم والحكم المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دارالمعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ: [ص ٤٩]، المحلى لابن حزم، بيروت، دار آفاق الجديدة: ١١/ ٣٠.

(٢) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، لمولانا زين العابدين إبراهيم الشهير بابن نجيم المصري، شرح: مولانا السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م: ٢ / ٨٨.

المطلب الرابع:

الموقف الشرعي لاستخلاص الخلايا الجذعية

قبل الخوض في الحكم الشرعي لاستخلاص الخلايا الجذعية لا بد أن نقف أولاً على بعض الآثار التي تنجم عن استخلاص تلك الخلايا ثم نعرض بعد ذلك ببيان الموقف الشرعي لاستخلاصها.

اولاً: اثر استخلاص الخلايا الجذعية.

مما لا شك فيه أن المستقبل يحمل في طياته استعمالات واسعة للخلايا الجذعية المستنسخة، وتعرف هذه الخلايا بأنها خلايا صديقة لجهاز المناعة، وليست أجساماً غريبة، وهو ما يبعد فرضيات رفض الجسد لها. ويتوقع العلماء أن توفر هذه الخلايا البكر علاجات لمجموعة كبيرة من الأمراض التي تصيب ملايين الأشخاص حول العالم[1].

---

(١) استنساخ الخلايا الجذعية ضرورة أم افتعال، طارق قابيل موقع مدارك، إسلام أون لاين. http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml

في ٤/ ١٢/ ٢٠٠١ م.

وتلعب تقنيات استخلاص واستنساخ وزراعة الخلايا الجذعية دوراً مهماً للغاية في تطور العلوم الطبية، وتساعد في تقديم أساليب علاجية جديدة للعديد من الأمراض، وكذلك تساعد على فهم الخطوات الدقيقة التفصيلية المعقدة التي تحدث خلال نمو وتخليق الإنسان، مثل التعرف على العوامل التي تهيمن على عملية اتخاذ القرارات في الخلية، والتي تؤدي إلى تخصص الخلية، ويمكن استخدام الخلايا الجذعية في أبحاث الدواء، كما يمكن أن تستخدم هذه الخلايا في تخليق خلايا وأنسجة متنوعة لاستخدامها في العلاج الخليوي Cell Therapy، والاستنساخ العلاجي للمرضى الذين يحتاجون لزرع أعضاء، ولا تتوفر لهم الأعضاء المناسبة(١).

وحالياً تستخدم تقنيات الاستنساخ العلاجي وفصل وزراعة الخلايا الجذعية المستخلصة من الأجنة البشرية ومن البالغين في تطوير علاجات لما يلي:

١ ـ العقم التام.

٢ ـ الفشل الكلوي (عن طريق زراعة الخلايا الكلوية).

٣ ـ فقدان البصر (تحل الخلايا الجذعية محل الخلايا المصابة في القرنية).

٤ ـ داء السكري (عن طريق زراعة الخلايا المفرزة للأنسولين).

٥ ـ الخرف، مثل: داء الزهايمر، وداء باركنسون (عن طريق تجديد الخلايا العصبية التالفة).

---

(١) المصدر نفسه.

٦ ـ الأذيات القلبية، واحتشاء عضلة القلب (عن طريق زراعة خلايا عضلية وأوعية دموية).

٧ ـ الشيخوخة.

٨ ـ أمراض السرطان، مثل: اللوكيميا.

٩ ـ حروق وتشوهات الجلد.

ويبدو أن الإمكانيات الهائلة لاستغلال تقنيات الاستنساخ العلاجي والخلايا الجذعية في معالجة أمراض مستعصية أو تجديد خلايا أعضاء مفقودة أو متدهورة ترجح كفة مواصلة الأبحاث في هذا المجال الخصب الذي سيفتح آفاقاً علاجية واسعة، وقد يؤدي النجاح في استغلال الخلايا الجذعية للبالغين الذي تم اكتشافه مؤخراً إلى هدوء العاصفة التي تواجه هذه الأبحاث[١].

وتقوم فكرة الاستفادة من الخلايا الجذعية في علاج الأمراض على اعتبار قدرتها أن تعطي كافة أنواع الخلايا والأنسجة مثل خلايا القلب والكبد والكلى والدم والعظام والدماغ وبالتالي فإن مستقبلها في مداواة العديد من الأمراض والتشوهات الخلقية خاصة أنواع السرطان والبول السكري والفشل الكلوي أو الكبدي أو بعضاً من أمراض القلب أو الجهاز العصبي وآخرها ـ أقصد أمراض الجهاز العصبي ـ هو الأقرب في الأبحاث هذه الأيام، فعند توفر الخلايا الجذعية تحل محل الخلايا المصابة أو التي توقفت وظائفها وذلك بطريقة الاستزراع الموضعي أو بطريقة الحقن الوريدي، وحيث إن الطب الحديث عجز عن علاج العديد من هذه الأمراض فإن الخلايا هي الأمل بعد الله سبحانه وتعالى، كما

---

(١) المصدر نفسه.

يمكن استخدام الخلايا الجذعية في تطوير العديد من العقاقير ومعرفة آثارها الجانبية حيث يوفر ذلك وقتاً وجهداً ويجنب الوقوع في العديد من الأعراض الجانبية بعد معرفتها على المستوى الخلوي(١).

ثانياً: أحكام الخلايا الجذعية في الشريعة الإسلامية:

يتمتع الناس في ظل الشريعة الإسلامية بحماية كاملة تكفل لهم الحياة الهانئة الكريمة ولا يتحقق ذلك إلاّ بالحفاظ على الأسباب الرئيسية التي يدور عليها صلاح أمر معاشهم وقد أدرك العلماء أن أهم الأمور التي يجب أن تحظى بالحماية الكاملة هي: (الدين ـ النفس ـ العقل ـ النسل ـ المال)، وربما عبروا عنها بالضرورات الخمس، ولما كان العلاج بالخلايا الجذعية أمراً حادثاً ولم يكن معروفاً في العصور الماضية أصبح الحكم على مثل هذه العمليات خاضعاً لقواعد وكليات الشريعة والأصل في إجراء بحوث الخلايا الجذعية خلايا المنشأ هو الإباحة، إلاّ أن يأتي دليل خاص بغير ذلك(٢).

ولما لم يرد مثل هذا الدليل فينظر إلى استخدام هذه الخلايا في العلاج ومدى تأثر هذه الضروريات الخمس بها سلباً وإيجاباً فإن كانت هذه المعالجة تمثل خطراً على حياة الفرد المعالج أو حتى ضرراً يفوق المصلحة المبتغاة فإنه يحرم استخدام هذه الأنواع من المعالجة وذلك امتثالاً لقوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)(٣).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) القواعد الفقهية والصولية ومقاصد الشريعة ذات الصلة ببحوث الخلايا الجذعية: ص ٢٥٠.

(٣) سنن الدارقطني [٣ / ٧٧] برقم (٢٨٨)، مسند أحمد [٥ / ٥٥] برقم (٢٨٦٥) تعليق =

وهذا دليل القاعدة الفقهية المشهورة (الضرر يزال)[1] والتي يتفرع منها قاعدة تبينها خير بيان وهي قاعدة (الضرر لا يزال بالضرر)[2] ولا يمكن التحقق من ذلك إلاّ بعد إجراء التجارب على الحيوان والتأكد من سلامة التجارب ومنفعتها.

ومما يجدر العناية به حفاظاً على النفس حفظ كل ما يلحق بها من الضرر وإن كان في نظر البعض يسيراً كالحصول على بعض الخلايا الجذعية من شخص دون علمه أو بغير موافقته[3].

لأن الحصول على مثل هذه الخلايا لا يكون دائماً لغرض يسير فقد تستخدم هذه الخلايا في ما لا يحل، ولذا لا يجوز الحصول على هذه الخلايا من الشخص إلاّ برضا صريح معتبر، وإلاّ أصبح هناك تعدٍ على شيء من مشتملات ذلك الفرد.

كما أن هذا الفعل يتنافى مع قاعدة احترام الملكية والاختصاص، والتي

شعيب الأرناؤوط: حديث حسن، الموطأ للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ مصر: [٢ / ٧٤٥] برقم (١٤٢٩)، مسند الشافعي: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت: [ص ٢٢٤] برقم (١٠٩٦)، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [٦ / ٦٩] برقم (١١١٦٦).

(١) الأشباه والنظائر ـ للإمام العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م [١ / ٤١]، قواعد الفقه: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي دار النشر ـ الصدف ـ ببلشرز: ص: ٨٧.

(٢) الأشباه والنظائر ـ السبكى [١ / ٤١]، المنثور في القواعد: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ: [٢ / ٣٢١].

(٣) الخلايا الجذعية والقضايا الأخلاقية والفقهية: ص: ٣٥.

يقصد بها، أن ما كان مملوكاً للآخرين أو كان لهم حق الاختصاص بالتصرف فيه فإنه لا يجوز لغيرهم أن يتصرف فيه إلاّ بإذنهم[1].

ودليل هذه القاعدة من الكتاب قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا[2]﴾.

ولا يتصور أن هناك ضرراً على الدين أو العقل جراء استخدام هذه الخلايا في العلاج.

وأما ما يتعلق بحفظ النسل فإذا استخدمت تقنية استنساخ الخلايا الجذعية للحصول على خلايا جنسية مثلا لعلاج حالة من حالات العقم للغير فإن هذا لا يجوز لأن الأصل في الإبضاع التحريم[3] فكما لا يجوز أن يسقى الرجل ماء غيره لا يجوز تلقيح المرأة بحيمن مأخوذ من خلية أجنبية.

وينبغي التحرز في حفظ الأموال فإذا أدى استخدام هذه التقنيات إلى تبديد الأموال وإضاعتها دون تحقيق نتائج تفوق مصلحة ما أنفق عليها فإنه لا ينبغي المضي في تلك الأبحاث كما أنه يحرم الإتجار بهذه الخلايا وجعلها سلعة من السلع لما تقود إليه من امتهان الإنسان وجعله ألعوبة بأيدي سماسرة الإتجار بالأعضاء ويتبين مما سبق أن هذه المعالجات ينبغي أن لا يصدر فيها حكم شامل بل لا بد أن تعالج كل مسألة فيها على حدة.

---

(١) القواعد الفقهية والأصولية ومقاصد الشريعة ذات الصلة ببحوث الخلايا الجذعية، الدكتور سعد بن ناصر: ص: ٢٥١.

(٢) سورة النساء/ الآية: ٢٩.

(٣) المنثور: [١ / ١٧٧]، قواعد الفقه ـ للبركتي: ص: ٥٨.

فلا يجوز في الشريعة الإسلامية استنساخ الأجنة الآدمية ـ ولو في مرحلة مبكرة ـ من أجل الحصول على خلايا المنشأ ثم تدميرها لما في ذلك من امتهان لكرامة الإنسان واعتداء على حياة الجنين ـ وإن لم يتخلق ـ بغير وجه حق.

ولا يجوز تلقيح بويضة أنثى بحيوان منوي ثم قتله من أجل إيجاد تلك الخلايا، فعلاوة على هذا العبث العلمي فإنه لا توجد ضرورة أو حاجة ملجئة تبرر مثل هذه الأفعال وخصوصاً مع إمكانية الحصول على هذه الخلايا من مصادر متعددة.

ومما نصت عليه المادة الثامنة من نظام وحدات الإخصاب والأجنة وعلاج العقم السعودي من عدم جواز التدخل في الخلايا الجنسية أو الجينات الوراثية إلاّ لمعالجة أمراض وراثية أو جينية يمكن أن تصيب الجنين ويمكن تعديلها بعلاج الجينات الوراثية، على أن تجيزها لجنة الإشراف قبل ذلك، فتبين أن أي تدخل في تلك الخلايا بغير غرض العلاج يكون محرماً، وقد جاء قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته السابعة عشر المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من ١٩ ـ ٢٣/ ١٠/ ١٤٢٤ هـ والخاص بالخلايا الجذعية بما يلي:

أولاً: يجوز الحصول على الخلايا الجذعية وتنميتها واستخدامها بهدف العلاج أو لإجراء الأبحاث العلمية المباحة، إذا كان مصدرها مباحاً، ومن ذلك على سبيل المثال: المصادر الآتية:

١ ـ البالغون إذا أذنوا ولم يكن في ذلك ضرر عليهم.

٢ ـ الأطفال إذا أذن أولياؤهم لمصلحة شرعية وبدون ضرر.

٣ ـ المشيمة أو الحبل السري وبإذن الوالدين.

٤ ـ الجنين السقط تلقائياً يجيزه الشرع وبإذن الوالدين.

٥ ـ اللقائح الفائضة من مشاريع أطفال الأنابيب إذا وجدت وتبرع بها الوالدان مع التأكيد على أنه لا يجوز استخدامها في حمل غير مشروع.

ثانياً: لا يجوز الحصول على الخلايا الجذعية واستخدامها إذا كان مصدرها محرماً ومن ذلك على سبيل المثال:

١ ـ الجنين المسقط تعمداً بدون سبب طبي يجيزه الشرع.

٢ ـ التلقيح المتعمد بين بييضة وحيوان منوي من متبرعين.

٣ ـ الاستنساخ العلاجي[١].

ومن هنا يتبين يسر الشريعة وحرصها على مصالح الناس وتجاوبها مع كافة المستجدات المعاصرة مما يجعل الأطباء المسلمين يؤدون أعمالهم في اطمئنان تام من مشروعية هذه الأبحاث التي أصبحت أمراً ملحاً تفرضه طبيعة الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، لكن لانتشار الاعتقاد بأن الخلايا الجذعية الجنينية تتضاعف بشكل أفضل من الخلايا البالغة، آثر العلماء استخدامها في أبحاثهم رغم كونها تثير إشكاليات أخلاقية في العلاج؛ لأنها تتضمن تدمير الأجنة المستخدمة، إلاّ أن العلماء بثوا الأمل أن تتربع الخلايا البالغة على عرش العلاجات بعدد من الاكتشافات التي توالت في الفترة الأخيرة، وتوجت بإعلان إنشاء مستشفى ضخم للعلاج بالخلايا الجذعية البالغة فقط[٢].

---

(١) مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد السابع عشر، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م، ص: ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

(٢) ينظر: الخلايا الجذعية.. علاجٌ أخلاقي يبدأ غداً، ريم مهنا، الموضوع نقلاً عن

ففي بحث فريد قد يحدث تغيراً جذرياً في النظر إلى الخلايا الجذعية البالغة، اكتشف علماء بمستشفى الأطفال ببيتسبرج بالولايات المتحدة أن للخلايا الجذعية البالغة قدرة على التضاعف تماثل قدرة الخلايا الجذعية الجنينية؛ وهو ما يختلف عن الاعتقاد الشائع قبل ذلك بأن الخلايا البالغة تشيخ وتموت بشكل أسرع من نظيراتها الجنينية، ولكن وبحسب دراسة وردت في عدد شهر يوليو ٢٠٠٥ من مجلة البيولوجيا الجزيئية للخلية فإن ثمة أدلة على أن شكوك العلماء حول قدرة الخلايا الجنينية البالغة لا مبرر لها(١).

وإضافة إلى كون هذا المنحى لا يؤدي إلى إشكاليات أخلاقية حول استخدام الخلايا الجذعية علاجيا، فإنه يمثل أيضاً حلاً لمشكلة رفض جهاز المناعة للخلايا الجنينية الغريبة؛ حيث يمكن استخراج الخلايا الجذعية البالغة من المريض نفسه(٢).

فهذا أفق جديد من العلاج يعتمد على الخلايا الجذعية البالغة، ويصحبه أفول محتمل للعلاج التقليدي بالأدوية، خاصة للأمراض التي لم تُجدِ معها الأدوية نفعا، وتخفت معه كذلك الخلافات المحتدة حول الاستخدامات العلاجية للخلايا الجذعية الجنينية(٣).

مجلة العربي الكويتية، الملحق العلمي، العدد الثامن، ديسمبر ٢٠٠٥ عن موقع إسلام أون لاين .http://www.islamonlineÛnet/arabic/science/article06.shtml

(١) ينظر: الخلايا الجذعية.. علاجٌ أخلاقي يبدأ غداً، ريم مهنا، الموضوع نقلاً عن مجلة العربي الكويتية، الملحق العلمي، العدد الثامن، ديسمبر ٢٠٠٥ عن موقع إسلام أون لاين .http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

الفصل الثاني:

الهندسة الوراثية والاستنساخ

وفيه مبحثان:

* المبحث الأول: الهندسة الوراثية

* المبحث الثاني: الهندسة الوراثية والاستنساخ النباتي والحيواني

المبحث الأول:

الهندسة الوراثية

وفيه ثمانية مطالب

* **المطلب الأول: التعريف بالهندسة الوراثية:**
* **المطلب الثاني: الموقف الشرعي من الهندسة الوراثية .**
* **المطلب الثالث: التعريف بالاستنساخ**
* **المطلب الرابع: الاستنساخ البشري الكامل**
* **المطلب الخامس: الاستنساخ التوالدي:**
* **المطلب السادس:الاستنساخ العلاجي:**
* **المطلب السابع: نقل وزراعة الأعضاء تبرعاً او بيعاً**
* **المطلب الثامن: الموقف الشرعي من الاستنساخ**

المطلب الأول:

التعريف بالهندسة الوراثية

الهندسة الوراثية: تعني التدخل في الكيان المورثي (الجينوم) أو البنية الوراثية في نواة الخلية الحية بطريقة من طرق أربع: إمّا بالحذف أو الإضافة أو بإعادة الترتيب أو بالدمج ـ أي دمج مادة وراثية من خلية كائن حي من نوع معين في المادة الوراثية بخلية كائن حي آخر من نوع آخر(١).

فالهندسة الوراثية: هي التقنية التي تتعامل مع الجينات أو الوحدات الوراثية المتواجدة على الكروموزومات فصلاً ووصلاً وإدخالاً لأجزاء منها من كائن إلى آخر بغرض إحداث حالة تمكن العلماء من معرفة وظيفة (الجين) أو بهدف الحصول على طبعات كثيرة من نواتجه أو بهدف استكمال ما نقص منه في خلية مستهدفة(٢).

---

(١) ينظر: الاستنساخ قنبلة العصر: د. صبري الدمرداش: ص ٥٢.

(٢) أضواء على الهندسة الوراثية بقلم الدكتور حسين اللبيدي موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.55a.net).

ويعرفها العالم المصري الدكتور أحمد مستجير بقوله الهندسه الوراثية هي فن التلاعب بمادة الحياة أو فن التلاعب بالمادة الوراثية للكائنات ونقلها من كائن إلى آخر بغرض نقل الصفات المرغوبة الموجودة في كائن آخر(١).

بعد أن عرف العلماء طبيعة ووظيفة الصبغيات أو الكروموزومات وهي أجسام صغيرة جداً لا ترى بالعين وتوجد داخل كل خلية، وهي مكونة من أشرطة مسجل عليها صفات الكائن المادية، وهذه الأشرطة تسمى بـ (الجينات)، وتقدم العلم فاكتشف أن هذه المورثات أو حاملات الصفات ما هي إلاّ سلم مزدوج من مادة تسمى D.N.A الحمض النووي المعروف الآن بحامل الشفرة الوراثية(٢).

فمصطلح الهندسة الوراثية يتكون من كلمتين: الهندسة، وهي تعني هنا التحكم في وضع المورثات (الجينات) وترتيب صيغها الكيمائية فكاً ـ أي: قطع الجينات عن بعضها البعض ـ، ووصلاً ـ أي: وصل المادة الوراثية المضيفة بالجينات المتبرع بها ـ باستخدام الطرق المعملية، والكلمة الثانية (الوراثية) وهي مادة الاستخدام الكيميائية التي يتكون منها الكائن الحي، والجينات هي دلائل صفات التكوين والسلوك لدى الكائن الحي(٣).

---

(١) الهندسة الوراثية ما هي؟ مجلة الأهرام المصرية العدد ٤٣١١٨ السنة ٢٥/ ديسمبر / ٢٠٠٤.

(٢) أضواء على الهندسة الوراثية بقلم الدكتور حسين اللبيدي موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة (www.55a.net).

(٣) حيثيات الأحكام الشرعية لبعض المسائل الطبية، ندوة في أول ربيع الأول ١٤٢٥ هـ ـ الكويت أطفال الأنابيب: ٦٧.

وتعود فكرة الهندسة الوراثية إلى أفلاطون[١] الذي نادى بتكوين وتربية أناس أفضل عن طريق قوانين تحدد النسل وتنظمه بين مجموعات من البشر يحملون صفات محددة وكان هدفه إنتاج جيل قوي متكامل الصفات يشكل منه مدينته الفاضله ثم تتالت البحوث بعد اكتشاف أحد الرهبان ويدعي جريجوي (مندل Mendel ١٨٦٦ م) لبعض الصفات الوراثية لنبات بازلاء الزهور حتى وصلت إلى التحكم في لون الثمار وأحداث التهجين وزيادة المحاصيل[٢].

فعلم الوراثة هو دراسة الآليات التي تحكم انتقال الخصائص البيولوجية من المخلوق الحي إلى نسله، ولم تصبح الوراثة علماً بالمعنى المتعارف عليه للعلم إلاّ منذ أواخر القرن التاسع عشر مع العالم (مندل Mendel ١٨٦٦ م) وهو أول من كشف عن المبادئ الأساسية الوضعية لعلم الوراثة، ثم اكتشف العلماء بوفاري (Bovari) ومورغن (Morgan) وفليمنغ (Flemming) وغيرهم الثروة الوراثية في الخلية الحية، وهي مؤلفة من الصبغيات (الكروموسومات) حاملة المورثات (الجينات) وفي سنة ١٩٥٥ م اكتشف (كريك Crick) و(وطسن Watson) التركيب الكيميائي للصبغيات

---

(١) أفلاطون (وتعني: واسع الأفق) ولد في أثينا (٤٢٧ ـ ٤٢٨ ق.م / ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب عدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو، وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم. كان تلميذاً لسقراط، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم. نبوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية (نحو ثلاثين محاورة) التي تتناول مواضيع فلسفية مختلفة: المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزقياء، الأخلاق والسياسة. ينظر: موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة /ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) ينظر: الهندسة الوراثية ما هي؟ مجلة الأهرام المصرية العدد ٤٣١١٨ في ٢٥/ ديسمبر / ٢٠٠٤ م.

وانقسامها ونالا جائزة نوبل على ذلك، وفي سنة ١٩٦١م اكتشف (جاكوب Jacob) و(مونو Momod) كيفية عمل المورثات عند الأحياء، ونالا جائزة نوبل لذلك أيضاً، ورغم عشرات الملايين التي تصرف سنوياً على الأبحاث في علم الوراثة فالإنسان لا يزال يكشف الجديد والمزيد في حقل هذا العلم الصعب والممتع(١).

لقد وضع الخالق ـ جلت قدرته ـ في كل خلية من خلايا الأحياء من أبسطها أي من المخلوقات ذوات الخلية الواحدة كالمكروبات وغيرها إلى الإنسان شيفرة كيميائية خاصة بكل نوع هي ثروته الوراثية التي تؤمن له تخلقه ونوعيته واستمراريته، وبالرغم من مرور ما يقرب من مائة سنة على ولادة علم الوراثة الوضعي يقول علماء الأحياء والوراثة وعلماء الكيمياء العضوية أنهم في بداية الطريق وأنهم لم يكتشفوا إلاّ القليل من أسرار هذه الشيفرة الكيميائية بالرغم من بساطة الذرات والعناصر التي تتألف منها (وهي واحدة في كل الأحياء) وفي هذا دليل منطقي علمي على أن الصانع واحد قادر(٢).

قدر بعض علماء الوراثة أن الثروة الوراثية للإنسانية جمعاء يمكن احتواؤها بالشكل الذي وضعها فيه المولى في الخلية أي الشكل اللولبي في مكعب حجمه سنتيمتر مكعب فقط، ولو فردت بشكل خط مستقيم جميع شرائط الثروة الوراثية الملفوفة بشكل لولبي في نوايا خلايا الجسم الإنساني الواحد (مساحته تقريباً متر وستون سنتيمتراً مربعاً) لبلغ طولها المسافة التي بين الأرض والشمس تقريباً أي (١٥٠) مليون كلم تقريباً،

---

(١) من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم، الدكتور عدنان الشريف، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م: ص ١١٥.
(٢) من علم الطب القرآني: ص ١١٦.

وهنا نردد بخشوع ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ[1]، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ[2]﴾.

ولعل الخيال لا يذهب بنا بعيداً إذا قلنا ـ والله أعلم ـ إنه يسجل على هذا الشريط الكيميائي العجيب وكذلك على بقية أجزاء الخلية في جسم الإنسان كل ما يعمله في حياته الدنيا شهادة باقية وناطقة يوم الدين عن أعماله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ[3]، [4]﴾.

وهذه الكروموسومات هي التي تعطي الصفات الرئيسية للكائن الحي وتحدد نوعه وهي التي تحمل جميع التعليمات الخاصة بالصفات الوراثية للنوع الواحد فطول القامة أو قصرها ولون الشعر والعيون إلى غير ذلك من الصفات ترجع كلها إلى ما تحدده التعليمات المنقوشة على هذه الكروموسومات وأي تغيير في تركيب هذه الكروموسومات الكيميائي لا بد وأن يترتب عليه تغير ما في الصفات العامة للكائن الحي[5].

ويمكن للإنسان أن يقوم بقطع ووصل، وحذف وإضافة جينات معينة وهو ما يسمى بـ (الهندسة الوراثية)، وهناك وسائل إيضاح شاهدها العلماء في واقع الحياة حيث لاحظوا أن هناك كائنات تحدث لها طفرات أو تغيرات تؤدي إلى حذف أو قطع أو إضافة جينات (صفات) تخرجها من فطرتها المفطورة عليها إلى حالة مخالفة، ولقد لاحظ العلماء أن أغلب

---

(١) سورة النمل/ الآية: ٨٨.

(٢) سورة الشورى/ الآية: ٥٠.

(٣) سورة يس/ الآية: ٦٥.

(٤) ينظر: من علم الطب القرآني: ص ١٢١.

(٥) ينظر: لغة الكيمياء: ص ١١٢.

هذه التغيرات إما قاتلة مدمرة للكائن أو ممرضة له بدرجة لا حل لها، والتغير في الخلق المفطور عليه الكائن مخرب أو مدمر أو ممرض حتى ولو بعد حين، أما عملية التهجين في السلالات الحيوانية والنباتية مثلاً فلا تدخل ضمن قضية التغير والتبديل، لأن التهجين لا تغيير فيه بل تبقى الصفات في مكانها وعلى هيئتها ولكن يتم مزاوجة صفات من كائن بصفات من كائن من نوعه كما يتم تزاوج مورث يحمل صفة الطول (مثلاً) مع مورث لا يحملها ليكون الناتج حاملاً لصفة الطول وقس على ذلك[١].

ويحمل الإنسان بذرة فنائه في مورثاته، وبقدر الله يتحدد عمره وساعة موته معا،ولقد ثبت بان هناك مورثات تلعب دورا أساسيا في إصابة المرء بالأمراض السرطانية، كما أن هناك مورثات اخرى تزيد من مناعة الجسم ضد الأمراض،ومورثات اخرى تثبط المناعة وتجعل الإنسان ضعيفا لا يستطيع مقاومة الافات البيئية مثل تلك التي تحدث عند الإصابة بمرض نقص المناعة المكتسبة والمعروف باسم (الايدز) وأكتشفت مورثات تقاوم الإصابة بالحمى الروماتزمية والروماتويد واخرى تقاوم الإصابة بالاوبئة الجرثومية أو الفيروسية أو حتى الأمراض الطفيلية مثل البلهارسيا وإصابة الكبد والجهاز البولي التناسلي وهناك مورثات تقاوم الإشعاع وأخرى تقاوم السموم والكيماويات ومورثات لها علاقة مباشرة بأمراض الشرايين وداء البول السكري،وذلك يفسر إصابة بعض أفراد الأسرة الواحدة بينما ينجو الآخرون بقدرة الله رغم تعرضهم جميعا لنفس الظروف العائلية والحياتية[٢].

(١) ينظر: أضواء على الهندسة الوراثية بقلم الدكتور حسين اللبيدي موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.55a.ne)

(٢) ينظر: المدخل الإسلامي للهندسة الوراثية صفحة ٥ من ٦.

المطلب الثاني:

الموقف الشرعي من الهندسة الوراثية:

إن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة عشرة المنعقدة في مكة المكرمة التي بدأت يوم السبت ١١ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٩٨ م قد نظر في موضوع استفادة المسلمين من علم الهندسة الوراثية التي تحتل اليوم مكانة مهمة في مجال العلوم وتثار حول استخدامها أسئلة كثيرة وقد تبين للمجلس أن محور علم الهندسة الوراثية هو التعرف على الجينات (المورثات) وعلى تركيبها والتحكم فيها في أثناء حذف بعضها ـ لمرض أو غيره ـ أو إضافتها أو دمجها بعضها مع بعض لتغيير الصفات الوراثية الخلقية.

وبعد النظر والتدارس والمناقشة فيما كتب عنها وفي بعض القرارات والتوصيات التي تمخضت عنها المؤتمرات والندوات العلمية يقرر المجلس ما يلي:

أولاً: تأكيد القرار الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بشأن الاستنساخ برقم ١٠٠/ ٢/ د/ ١٠ في الدورة

العاشرة المنعقدة بجدة في الفترة من ٢٣/٢٨/ صفر ١٤١٨ هـ.

ثانياً: الاستفادة من علم الهندسة الوراثية في الوقاية من المرض أو علاجه أو تخفيف ضرره بشرط أن لا يترتب على ذلك ضرر أكبر.

ثالثاً: لا يجوز استخدام أي من أدوات الهندسة الوراثية ووسائله في الأغراض الشريرة والعدوانية وفي كل ما يحرم شرعاً.

رابعاً: لا يجوز استخدام أي من أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله للعبث بشخصية الإنسان ومسؤوليته الفردية أو التدخل في بنية المورثات (الجينات) بدعوى تحسين السلالة البشرية.

خامساً: لا يجوز إجراء أي بحث أو القيام بأية معالجة أو تشخيص يتعلق بمورثات إنسان ما إلاّ بعد إجراء تقويم دقيق وسابق للأخطار والفوائد المحتملة المرتبطة بهذه الأنشطة وبعد الحصول على الموافقة المقبولة شرعاً مع الحفاظ على السرية الكاملة للنتائج ورعاية أحكام الشريعة الإسلامية الغراء القاضية باحترام حقوق الإنسان وكرامته.

سادساً: يجوز استخدام أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله في حقل الزراعة وتربية الحيوان شريطة الأخذ بكل الاحتياطات لمنع حدوث أي ضرر ـ ولو على المدى البعيد ـ بالإنسان أو الحيوان أو البيئة.

سابعاً: يدعو المجلس الشركات والمصانع المنتجة للمواد الغذائية والطبية وغيرها من المواد المستفيدة من علم الهندسة الوراثية إلى لابيان عن تركيب هذه المواد ليتم التعامل والاستعمال عن بينة حذراً مما يضر أو يحرم شرعاً.

ثامناً: يوصي المجلس الأطباء وأصحاب المعامل والمختبرات بتقوى

الله تعالى واستشعار رقابته والبعد عن الإضرار بالفرد والمجتمع والبيئة[١].

وللهندسة الوراثية جانبان مثلها مثل كل العلوم الأخرى: جانب إيجابي وآخر سلبي، أمّا الجانب الإيجابي فهو الأهداف والغايات السامية التي يسعى إليها هذا العلم كتخليص البشرية من أمراضها الوراثية عن طريق تغيير الشفرات الوراثية الموجودة في الأجنة كذلك التوصل إلى أنواع العلاج المختلفة لأمراض مستعصية كالسرطان وغيرها من الخدمات في مجال الزراعة والتغذية والصناعة[٢].

وأما الجانب السلبي فهو التطبيقات التي يحلم أن يصل إليها بعض العلماء كتغيير طبيعة البشر عن طريق تغيير تركيبهم الوراثي مما قد يفقد الإنسان صفاته التي تشكل إنسانيته ويلغي حريته وإرادته كذلك قد يحاول البعض الخلط بين الأجناس المختلفة من حيوان ونبات بهدف استخدامها لأغراض متعددة كأن يتم الخلط بين الإنسان والنبات بهدف تخليق كائن يعيش على البناء الضوئي وهو ما سماه د عبد المحسن صالح باسم الإنسان الأخضر وغيرها من المحاولات التي قد تمس الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر[٣].

فما هو موقف الشرع تجاه هذين الجانبين؟

يحاول الدكتور عبد الستار أبو غدة أن يعرف في البداية الهندسة الوراثية

---

(١) مجلة المجمع الفقهي الإسلامي السنة العاشرة العدد (١٢) ص ١٥٧ ـ ١٥٨، القرار الأول الصادر عن الدورة الخامسة عشرة المنعقدة عام ١٤١٩ هـ بشأن استفادة المسلمين من علم الهندسة الوراثية.

(٢) الهندسة الوراثية والأخلاق: ١٨١ ـ ١٨٢.

(٣) الهندسة الوراثية والأخلاق: ١٨١ ـ ١٨٢.

تعريفاً يتفق مع المفاهيم الفقهية فيقول: الاستبدال كلمة تصلح للتعبير عما تتطلع إليه المحاولات في مجال الوراثة بإيجاد ما يعتبر بدائل عن الوضع الأصلي من خصائص وخصال في الإنسان كانت ستظل معه لولا التدخل باستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير في الواقع وإن كان الغرض متجها إلى عكس ذلك أيضاً. . فإذا كان القصد من هذا الاستبدال العلاج متجهاً البشرية من أمراض وراثية فإنه مما يندرج في التصرفات المشروعة إن لم يكن على سبيل الوجوب فعلى سبيل الندب أو الإباحة لأنه من جنس المأمور به في نصوص الشريعة الداعية إلى التداوي وإزالة الضرر ودرء المفسدة وتحصيل النفع والحرص عليه[1].

ولكن ما حكم الشرع في الجانب السلبي وهو محاولة تغيير الخلقة وتبديل فطرة الإنسان والعبث بتركيبه الوراثي بحيث يمكن السيطرة عليه وتسخيره من أجل تحقيق أهداف شريرة؟ إن هذا كله مخالف للسنن الإلٰهية ولفطرة الله التي فطرنا عليها إذ يقول الله جلّ وعلا إن أي محاولة لتغيير خلق الله ما هي إلاّ استجابة لما يأمرنا به الشيطان قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا[2]﴾.

ولذلك رفض الفقهاء الجانب السلبي في الهندسة الوراثية على أساس أنها محاولات لتغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها[3].

---

(١) الهندسة الوراثية والأخلاق: ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) سورة النساء/ الآية: ١١٧ ـ ١١٩.

(٣) الهندسة الوراثية والأخلاق: ١٨٢.

وعلى هذا الأساس وضعت لجنة مؤتمر الإنجاب في ضوء الإسلام التوصية التالية: الاتفاق على جواز تطبيق التكاثر على مستوى الكائنات الدقيقة باستخدام خصائص الحامض النووي معاود الالتحام في مجال إنتاج مواد علاجية وفيرة مع الحرص على استعمال الحامض المذكور في كل ما ينفع الأمة ويدفع عنها الضرر[١].

---

(١) الهندسة الوراثية والأخلاق: ١٨٣.

المطلب الثالث:

التعريف بالاستنساخ

الاستنساخ في لغة العرب:

ورد لفظ الاستنساخ في اللغة العربية بعدة معان منها:

١ ـ **الإزالة**، نسخ الشيء نسخاً أي أزاله. والعرب تقول نسَخَت الشمسُ الظلّ وانتسخته أزالته والمعنى أذهبت الظلّ وحلّت محله[١].

٢ ـ **الإبطال**: قال ابن منظور والنَّسْخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه وفي التنزيل ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ[٢]﴾ والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة.

٣ ـ **النقل**: جاء في لسان العرب النَّسْخ اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً

(١) الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ). دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة: الرابعة ـ يناير ١٩٩٠ م: [٢ / ٤٥٥]، لسان العرب [٣ / ٦١].

(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٠٦.

بحرف... وفي التنزيل ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[1]﴾ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله[2].

ويظهر تقارب المعنى اللغوي الثالث أي النقل بالمعنى الاصطلاحي للاستنساخ التكاثري، وهذا المعنى هو المختار.

وقد ذهب البعض إلى أن التنسيل هو المعنى الأدق لعلمليات النقل النووي للخلايا وهو ما يعرف بالاستنساخ .

والتنسيل أصله: النسل والنسل في اللغة يعني الخلق كما يطلق على الولد والذرية والجمع أنسال وتناسل بنو فلان إذا كثر أولادهم وتناسلوا أي ولد بعضهم بعضا[3]، وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ[4]﴾.

المعنى العلمي للاستنساخ:

تقدم في المعنى اللغوي المختار للاستنساخ أنه النقل، وهو يوافق إحدى تقنيات الاستنساخ والتي يطلق عليها (تقنية النقل النووي للخلايا) وهي تقوم على أساس أن هناك نوعين من الخلايا يتكون منهما جسم الإنسان: الخلايا الجسدية، والخلايا الجنسية.

النوع الأول: الخلايا الجسدية: Somatic Cells وقد تدعى الخلايا الجسمية وتوجد في جسم الكائن الحي: نبات أو حيوان أو إنسان، وهي

---

(١) سورة الجاثية/ الآية: ٢٩.

(٢) لسان العرب [٣ / ٦١].

(٣) ينظر: لسان العرب [١١ / ٦٦٠].

(٤) سورة البقرة / الآية: ٢٠٥.

خلايا مكتملة النمو تحتوي على البصمة الوراثية الكاملة للكائن الحي، وتتميز بكونها في حالة إشباع أو استقرار وراثي[1].

النوع الثاني: الخلايا الجنسية: **Reproductive Cells** هي خلايا الحيوانات المنوية عند الذكر وخلايا البويضات لدى الأنثى وهذه الخلايا تكون في حالة غير إشباع وغير مستقرة وراثياً، ولذا فهي بحاجة للمرور بمراحل تكوين أخرى، ولا تحصل على الإشباع والاستقرار الوراثي إلاّ بعد أن يخترق الحيوان المنوي جدار البييضة ويتحد معها فيكونان خلية مخصبة تسمى اللقيحة (Zygote) فتأخذ اللقيحة نصف صفاتها من الكروموسومات (الصبغيات) بمقدار ٢٣ كرموسوماً من الحيوان المنوي ومثلها من البويضة وبعد الاتحاد مباشرة تتحول الخلايا من حالة عدم الإشباع إلى حالة الاشباع فتكتمل صفاتها الوراثية تماماً[2].

(١) ينظر: الاستنساخ قنبلة العصر: ص: ٣١ ـ ٣٢.
(٢)المصدر نفسه.

المطلب الرابع:

الاستنساخ البشري الكامل

حفل المجتمع العلمي مؤخراً بحدث علميٍ خطير هو الاستنساخ الجيني قال عنه أحد علماء الفيزياء النووية: (جوزيف روتيلان): إن إطلاق العنان له بدون ضوابط قد يقود إلى عواقب ومخاطر تفوق أخطار الأسلحة النووية[1].

وبعد نجاح تجربة النعجة دوللي أقدم العلماء على تطبيق هذه النظرية على الاستنساخ البشري وذلك بأخذ نواة خلية جسدية بالغة من أي مكان في الجسم بها ٤٦ كروموزوم. ثم تؤخذ بويضة جنينية منزوعة النواة من امرأة ـ ثم توضع النواة الأولى بجانب البويضة ويسلط عليهما محفز إندماج (كهربائي أو كيماوي) ليحدث إندماجهما. ثم تزرع الخلية المندمجة في رحم امرأة، وتقضي فترة الحمل ثم يولد الجنين بشراً وحتى

---

(١) الاستنساخ. . حقيقته وما وراءه د. محمد بن عبد الله الشباني مجلة البيان، العدد ١١٧ صفحة (٧٦).

الآن لم ينجح الباحثون في استنساخ إنسان ولكن المحاولات مستمرة رغم تحريمها وتجريمها دولياً[1].

وتنتقل الصفات الوراثية من الأباء والأجداد عن طريق الكروموزومات والموروثات إلى الأنباء والأحفاد من جانب الأب والأم بعد لقائهما الجنسي، كما تنتقل الصفات الوراثية عن طريق المؤثرات البيئية التي يعيش فيها الإنسان مثل (المتغيرات الطقسية والإشعاعات الكونية والطعام والشراب والثقافة والدين والمهارات المكتسبة والمناعات المكتسبة. . . إلخ). مثلاً لو قدر للعلماء أن يستنسخوا بشراً فلن يكون الوليد مطابقاً لصاحب النواة الجسدية من الوالد ولن يصبح طبيباً إذا كان أبوه طبيباً ولكن يقتصر الشبه بينهما على المظهر الخارجي من حيث لون البشرة والعينين والشعر وتقاسيم الوجه والجسم فقط لا غير[2].

هناك أمر آخر في غاية الأهمية ألا وهي الروح التي تنفخ في الجنين فلا تنتقل الروح عن طريق الخلية أو عن أي طريق آخر لأن كل إنسان له روح مستقلة عن غيره من البشر ولا تناسخ في الأرواح والروح سر إلٰهي لا يدري كنهه إلاّ الله تعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا[3]﴾.

تمر الروح بالأطوار والحالات الست التالية: في عالم الذر ثم عالم الأصلاب ثم عالم الأجنة ثم عالم الحياة الدنيا ثم عالم البرزخ وأخيراً عالم الحياة الآخرة[4].

---

(١) الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: أ. د سالم نجم منتديات الجلفة، لكل الجزائريين والعرب، ٩/ ٢/ ٢٠١٠ م.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة الإسراء/الآية: ٨٥.

(٤) الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: أ. د سالم نجم منتديات الجلفة، لكل =

وينبغي لنا هنا التفريق بين الخلق والاستنساخ إذ الفرق كبير وهائل: فالخلق إيجاد أصل الشيء من لا شيء (من العدم) في حين أن الاكتشاف هو التعرف على خصائص ذلك الأصل وما ينجم عنه من فروع، وهذا هو دور العلم النافع الذي يهبه الله لمن يشاء من عباده ليستعين به في إعمار الأرض ومن عليها وما فيها وفقاً للسنن والقوانين الإلٰهية المبثوثة في الكون والتي لا تتبدل ولا تتغير[1].

مما سبق يتبين لنا أن د. ويلمون صاحب النعجة (دوللي) لم يخلق شيئاً من العدم فالنواة والبويضة والنعاج الثلاث والشحنة الكهربائية المحفزة والخلية والأمشاج المندمجة التي زرعت في رحم النعجة الثالثة واستوفت مراحل نمو الجنين فيها ثم ولادتها طبقاً للسنن الإلٰهية ثم حياتها بعد ذلك. جميع هذه المكونات من صنع الله تعالى وطبقاً لنواميس ربانية ثابتة تعطى كل من استخدمها بأصولها ثمرتها المرجوة منها، ولا فرق في ذلك بين باحث مسلم وآخر غير مسلم وسنة المولى تعالى أن من يجتهد يعطى أجره في هذه الحياة، وبناء على ما تقدم ذكره فإن تقنية الاستنساخ ليست خلقاً من عدم ولكن استخدمت مفردات العملية كلها من خلق الله وبمشيئة سبحانه وبجزء من العلم الذي وضعه الله في صلب آدم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2]، [3].

ما هو مفهوم الاستنساخ؟ هل هو إحياء للميت؟ أم هو نسخة ثانية تشبه

الجزائريين والعرب، ٩/ ٢/ ٢٠١٠ م.

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة البقرة / الآية: ٣١.

(٣) الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: أ. د سالم نجم منتديات الجلفة، لكل الجزائريين والعرب، ٩/ ٢/ ٢٠١٠ م.

الميت بكل صفاته إلاّ أنه غيره؟ سؤال مهم جداً؟ فكيف يُعرف الأصل من النسخ؟ ومن سوف يعذب: الأصل أم النسخ إذا ماتت هذه النسخ؟ فهل تجازى على أعمال من استنسخت منه؟ أم لا؟ وإذا بقيت حية وارتكبت آثاماً إضافية: فهل يجازى الأصل بما اقترفته النسخ أم لا يجازى؟

فقد نشرت جريدة الوطن الكويتية[1] خبراً أن العلماء قد دأبوا على أخذ عينات من الحامض النووي من الفراعنة، ويتساءلون: هل يمكن إعادة الفراعنة؟[2].

فهل من المممكن استنساخ الإنسان؟ أي هل من الممكن خلق توائم بشرية أعدادها بالمئات تحمل نفس الصفات الوراثية؟ لو نظرنا إلى عالم الحيوان فقد تحقق هذا التسائل وأصبح بالإمكان زيادة الثروة الحيوانية في الأبقار مثلاً بواسطة علم طفل الأنابيب عن طريق تقسيم البويضة المخصبة إلى قسمين فتنقسم ثم تقسيمها من جديد وهكذا زيدت عدد البويضات التي تم إرجاعها إلى رحم الأم في الوقت الواحد فتحصل على نفس النوعية بواسطة الاستنساخ وبذلك يزداد المردود المالي في الحصول على كميات

---

(١) في عددها (٧٥٧٢) بتاريخ ٧/ ١١/ ١٤١٧ هـ نسبته إلى شبكة (سي إن إن) (CNN).

(٢)نشرت مجلة (ستار ـ star) الأمريكية على لسان رئيس جمعية تبريد الأجسام في ولاية كاليفورنيا أنه قبل غزو العراق للكويت التقى بمندوبين عن الرئيس العراقي السابق صدام حسين وبحث معهم إمكانية تبريد حيواناته المنوية، وخلايا من جسم صدام حسين أو ربما جثة صدام حسين نفسها، لعل الطب في المستقبل يجد طريقة إعادة الحياة إليها، وقالت المجلة إن فريقاً من العلماء والأخصائيين ذهب بالفعل إلى بغداد وأحضر صندوقاً مثلجاً من حيوانات منوية وخلايا جسدية تابعة لصدام حسين لحفظها في أحد البنوك، وأضافت المجلة أن صدام يريد تخزين حيواناته المنوية وخلايا جسده ليستطيع الطب إنتاج ملايين الأشخاص المشابهين له بعد وفاته بفترة طويلة. ينظر: الهندسة الوراثية والأخلاق: ١٨٤ ـ ١٨٥.

كبيرة من اللحوم والألبان وذلك بزيادة عدد المواليد[1].

إننا نجد أن هناك تجربة تمت على الإنسان مستعملة نفس الأسلوب ونالت جائزة المؤتمر العلمي للإخصاب تحكي تفاصيلها مجلة الإخصاب والعقم عام ١٩٩٤ م. وتتحدث هذه التجربة عن إمكانية انقسام هذه الخلايا الجنينية والحصول على عدة توائم من هذه الخلايا الجنينية ولكن هذه التجربة هي مؤشر خطير بالتلاعب بالنفس البشرية وإن كانت هذه التجربة ما زالت في مرحلة المختبر وعلى كل حال هي مؤشر خطير[2].

فهل يمكن أن ينشأ مخلوق من خلية كبد أو جلد أو مخ أو معدة أو أي نسيج آخر في الجسم الحي؟

السر كله موجود في الأصول، فأصل كل هذه الخلايا المختلفة كان في الأساس واحداً، ألم تنشأ جميعاً من بويضة واحدة ملقحة أي من خلية واحدة اجتمعت فيها نسخة كاملة من صفات الأم في البويضة مع نسخة كاملة من صفات الأب في الحيوان المنوي؟ الجواب ـ بالتأكيد ـ نعم، والناموس نفسه يسري على كل المخلوقات، بمعنى أن أية نواة في أي خلية جسدية تحمل في طياتها كل الأصول الوراثية التي اشتقت من الخلية الملقحة[3].

يتكون جسم الإنسان من مليارت الخلايا ويوجد داخل كل خلية ما يربو على ثلاثين ألف جين وأي مساس بهذه الخلايا أو الجينات هو في حقيقة

---

(١) تقنيات الاستنساخ للخلايا والجينات الإنسانية لتشخيص وعلاج الأمراض الدكتور نجم عبد الله عبد الواحد ـ المستشفى الإسلامي ـ عمان ـ الأردن: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي السنة العاشرة العدد ١٢ ص: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان: ٤٩ ـ ٥٠.

الأمر مساس بالإنسان ولذا فمن الواضح أن الاستنساخ لا يقتصر على إنتاج كائن بشري فقط، بل يشمل كل ما يتكون منه الإنسان من جزئيات[1].

وتكون بداية استنساخ الإنسان باستنساخ الجينات البشرية (Gene Cloning) يقول راين الفورد إن عملية عزل الجينات أو الأجزاء الصغيرة من الحمض النووي التي تحتوي على الجينات وتناسخها هي نوع من الاستنساخ[2].

وتعتمد على تقطيع الدنا (DNA) بالأنزيمات القاطعة المناسبة وعزل الجينات المطلوب استنسالها ومن ثم إيلاجها في البكتيريا بطرق متعددة تنمو وتتكاثر في المحيط البكتيري الخصب أو استخدام بعض الحيوانات كالأبقار والخنازير وغيرها للحصول على نسخ عديدة من الجينات المعزولة[3].

استنساخ الخلايا: ويتم عن طريق فصل خلية ذات تركيب ووظيفة معروفة ويتم تنميتها في أوساط معينة للحصول على خطوط من الخلايا المتميزة ذات التركيب والوظيفة المتماثلة وتستخدم هذه الطريقة في العلاج.

ويأمل بعض العلماء في استنساخ الإنسان الكامل، أمّا عن طريق التؤامة (الاستتئام) شطر الأجنة، أو عن طريق الاستنساخ الجسدي (أي الاستنساخ الحيوي أو الاستنساخ النووي) بغرض إنتاج مواليد من خلايا جسدية مأخوذة من أفراد يافعة بالغة، ويولد المولود في هذا النوع حاملاً

(١) ينظر: الاستنساخ البشري بين الإباحة والتجريم في ضوء الشريعة: ٤٧.
(٢) علم الوراثة وصحتك، د. راين ألفورد: ص ٢٢٩.
(٣) ينظر: الاستنسال البايولوجي، د: إياد محمد علي العبيدي، عمان، الأردن، دار المسيرة، للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠١ م: ص ٢٤.

لجميع صفات الفرد المانح للخلية الجسدية وحده فقط، أي يولد المولود نسخة مطابقة لهذا الفرد وكأنه نسخة كربونية لإحدى صفحات الكتابة أو صورة فوتوكوبياً كما حدث في استنساخ النعجة دولي عام ١٩٩٦ م[١].

ومن الناحية القانونية فقد عرفت المادة ٣٠١ من القانون الأمريكي ـ والتي تحكم المساس باللقائح الآدمية الصادر في يوليو ٢٠٠١ م ـ الاستنساخ البشري بأنه: إعادة إنتاج الجنس أو الفصيل الآدمي عن طريق وضع نواة الخلية المستأصلة من شخص أو أكثر في البويضة الأنثوية مخصبة كانت أو غير مخصبة وذلك بعد انتزاع نواتها الأصلية أو تثبيطها بغرض إنتاج كائن عضوي حي في أي مرحلة من مراحل تطوره مطابقاً تماماً لكائن بشري موجود أو سبق وجوده[٢].

وبالرغم من دخول الجين البشري في المكانة التي تحظى بها اللقائح كونه جزء لا ينفك عنها إلاّ أنه يفوقها قدراً ومكانة لما يحويه من معلومات دقيقة ومفصلة عن ماضي وحاضر ومستقبل الإنسان صاحب الجين، ويمكن استقراء أهمية الجينات ومكانتها من خطورة المعلومات التي تحويها مما يتطلب قدراً كبيراً من الحماية الجنائية لها[٣].

وهذا يؤكد القيمة الشرعية والقانونية للجين البشري مما يحث على عدم المساس العبثي بهذا الموروث الجيني المهم.

---

(١) ينظر: الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، د كارم السيد غانم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط/١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م، ص: ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) ينظر: الحماية الجنائية للجسم البشري في ظل الاتجاهات الطبية الحديثة، د: مهند صلاح أحمد العزة، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٢ م: ص ٣٧٠.

(٣) ينظر: موقف الشرع إزاء ملكية الجينات البشرية، ورقة عمل ضمن سجل الأوراق العلمية لحلقة نقاش (من يملك الجينات؟) التي عقدتها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، بالرياض د. أمين كشميري، ص: ١٢٩ ـ ١٤٥.

المطلب الخامس:

الاستنساخ التوالدي:

التعريف:

ويقصد بالاستنساخ التوالدي: زيادة عدد الأفراد لكائن حي ما بتكوين أفراد جديدة بدءاً من هذا الكائن الحي[1].

أو هو: الحصول على نسخة أو أكثر من الإنسان تتشابه في الشكل والصفات الوراثية مع الأصل المستنسخ منه[2].

وهناك أربعة أنواع للاستنساخ التوالدي:

النوع الأول: الاستنساخ الجنيني أو الاستنساخ بواسطة الخلايا الجنسية ويهدف إلى استنساخ أجنة متعددة من أصل واحد عن طريق تشطير

---

(١) بيولوجيا الاستنساخ، د. هاني رزق، ضمن كتاب الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق: عبد الواحد علوان وآخرون، بيروت، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ١٠٠٢ م: ص: ٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

الخلية المخصبة أو حفزها على الانقسام ويسمى الاستنساخ الجنسي أو الجنيني.

النوع الثاني: الاستنساخ بواسطة الخلايا الجسدية والمراد به الحصول على عدد من النسخ طبق الأصل من نبات أو حيوان أو إنسان بدون حاجة إلى تلاقح خلايا جنسية ذكرية أو أنثوية[١].

ويهدف إلى استنساخ أجنة عن طريق نقل نواة الخلية وقد تم تطبيقه على عدد من الحيوانات أشهرها النعجة (دوللي) عام ١٩٩٧ م.

النوع الثالث: الاستنساخ بواسطة الكروماتين، والكروماتين هو المادة الوراثية الموجودة في داخل نواة الخلية[٢]، وهي مادة لها قابلية عالية للاصطباغ، منها تتكون حبيبات محمولة على شبكة تظهر في نواة الخلية، ومن تطبيقات هذا النوع استنساخ قطتين في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأميركية عام ٢٠٠٤ م[٣].

وتحتوي النواة في المرحلة البينية (الواقعة بين انقسامين متتاليين) على الكروماتين ويطلق على الأجسام الكبيرة من هذه المواد الكروماتينة المراكز الكروماتينية أو النويات الكروماتينية أو النويات غير الحقيقية لأنها تشبه من الناحية ـ الظاهرية ـ بعض النويات وتشاهد المواد الكروماتينية موزعة خلال العصارة النووية (بروتوبلازم النواة) والحبيبات الكروماتينية لا تستمر

---

(١) ينظر: استنساخ البشر د: حسان حتحوت، بحث ضمن ندوة رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة، الجزء الأول (الاستنساخ) عقد في الدار البيضاء، في الفترة ١٤ ـ ١٧/ يونيو/ ١٩٩٧: ص ٨١.

(٢) معجم مصطلحات البيولوجيا، شريف فهمي بدوي: ٦٨.

(٣) ينظر: القطتان المستنسختان «تبولة» و«بابا غنوج» موقع البي بي سي الإخباري، BBC.ARABIC.COM في ٢٢/ ٧/ ١٤٢٥ هـ.

طويلاً بل تختفي ويأخذ مكانها تراكيب مصبوغة باللون الأزرق تسمى الكروموزومات (الصبغيات) فهي إذاً مرحلة تسبق وجودج الكروموزومات[1].

النوع الرابع: الاستنساخ بطريقة التوالد العذري (التوالد البكري)[2] إذا كان المبدأ الأساسي لاستمرار الكائنات الحية على الأرض يقوم على التشارك بين الجنسين، وبخاصة في الحيوانات اللبونة التي اعتادت منذ الأزل على مشاركة الذكر والأنثى في عملية إنجاب الأطفال؛ فقد ألغيت هذه القاعدة الآن، وقد أنهى العلماء اليابانيون دور الذكر في عملية التكاثر وإنجاب الأطفال، وقاموا بتخليق فئران دون مشاركة من ذكر للمرة الأولى في التاريخ[3].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) التوالد البكري أو العذري (بالإنجليزية: **Parthenogenesis**) هو شكل من أشكال التكاثر اللاجنسي يوجد في الإناث يتطور فيها الجنين أو البذرة بدون إخصاب من الذكور. التوالد البكري يحصل طبيعيا في بعض الأنواع، بما في ذلك معظم النباتات الدنيا واللافقاريات (مثل برغوث الماء وبعض النحل وبعض أنواع العقرب، والزنابير الطفيلية) والفقاريات (مثل بعض الزواحف والسمك ونادراً جداً عند الطيور وأسماك القرش) وهذا النوع من الاستنساخ قد يحرض بشكل مصطنع في الأنواع الحية الأخرى، يجب تفريق هذا عن التوالد الخنثوي في بعض الأنواع التي تحوي الجهاز التناسلي للجنسين، وهناك أيضاً العديد من القصص في الثقافات الإنسانية عن التوالد العذري التي يعود تاريخها إلى أقدم ما دونته البشرية، بعض هذه القصص تتعلق بحيوانات لا يختلف ذكرها عن أنثاها. وفي أقدم كتابات القدماء المصريين لاحظوا حيوانات مثل الأسماك والأفاعي والعقبان البيضاء تتشابه بين الجنسين مما دفعهم إلى افتراض أن جميع أعضاء هذه الأنواع إناث وتتوالد عذرياً، ومن ثم يعتقد البعض أن تلك الأنواع الحيوانية مرتبطة بأشخاص أو آلهة ونقلت فكرة التوالد العذري إليها أيضاً. ينظر: التوالد البكري في موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، آخر تعديل في ٢٥/ يونيو/ ٢٠١٠ م ١٦:١٩.

(٢) ينظر: «كاجويا».. تنبئ بانقراض الذكور! د. طارق قابيل، موقع إسلام أون لاين،

ولقد اهتزت أرجاء العالم حال إعلان دورية نيتشر العلمية في (٢٢/ ٤/ ٢٠٠٤) نبأ نجاح علماء من جامعة طوكيو الزراعية باليابان في تخليق أنثى فأر بدون الحاجة إلى مشاركة فأر ذكر في أي جزء من العملية، وهو الاكتشاف الذي سيفتح طريقاً ثالثاً للتكاثر غير الاستنساخ والأسلوب التقليدي. ويشبه هذا الاختراق العلمي الثورة التي أحدثها استنساخ النعجة دوللي، وتبعاتها التي لم تنته حتى الآن[١].

يأتي هذا الحدث في وقت يشير فيه الخبراء إلى ظهور تقنيات عالية التطور تقود البشرية إلى الدخول في حقبة طبية جديدة، مبهمة الملامح، تبدو وكأنها حقول اختبارات على البشر، وقد تؤدي إلى تفكيك هيكلية المجتمع بأسره؛ حيث بات من المؤكد أن هذا الاختراق العلمي الجديد سوف يقلب كل الموازين المتعارف عليها في حال تطبيقه على الإنسان؛ لأنه سيهمّش دور الرجل في عملية الإنجاب، وإذا نجح هذا الاختبار فعلينا أن نتأهب لعالم جديد يحكمه جنس واحد من الإناث[٢].

وقال د. كونو إنه لا يعتقد أن الأسلوب نفسه سينجح مع البشر، وأضاف إنه أمر معقد للغاية، بالتالي فمن المستحيل إجراء تلك التجربة على البشر، كما أنه لا أريد أن أقوم بذلك[٣].

ويجزم العديد من الباحثين باستحالة الاستنساخ البشري لأن البويضة

= علوم وتكنولوجيا، هندسة وراثية: في ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٤ م.
http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml

(١)المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ينظر: تخليق جنين فأر دون الاستعانة بأب، بقلم بول رينكون، بي بي سي أونلاين علوم، الأربعاء ٢١/ أبريل/ ٢٠٠٤ م، ٢٠:٥٤ GMT. BBC.ARABIC.COM.

الحيوانية بعد إفراغها من النواة تحقن بنواة خلية جسمية ثم تدخل في الانقسام بأوامر السيتوبلازم إلى حدود الانقسام الخامس أي عدد (٣٢) خلية ثم يأتي دور النواة لتواصل الانقسام، أما البييضة البشرية فإنها تقف عند الانقسام الثاني أي عند (٤) خلايا وتترك المهمة للنواة وهذا الوقت القصير لا يسمح للنواة بأن تعمل، فيحصل الانقطاع وتفسد البويضة وهذا ما جعل بعض العلماء يجزم باستحالة الاستنساخ البشري لهذه الصعوبة القائمة والتي ستظل قائمة[(١)].

ويرى بعض العلماء أن هذا القول بدأ يتوارى مع التطورات الحديثة خاصة مع نجاح استنساخ القطط[(٢)].

ومن المشاكل الاجتماعية التي تعترض سبيل الاستنساخ مشكلة علاقة المستنسخ بنسيخه، وتبرز الإشكالية في تعدد مصادر النسيخ، فقد اختلف العلماء الشرعيون والأخلاقيون والبيولوجيون في نسبة ذلك النسيخ، ففي حالة الحصول على الخلية من الأب فلا تخرج علاقة النسيخ عن مصدره من ثلاث حالات أمّا أن يكون أباه أو نفسه أو تؤمه؟ والاحتمال الأول متعذر لكون الطفل الطبيعي عادة يتكون من ٤٦ كروموزوم ٢٣ من الأب و٢٣ من الأم وهنا جميع الصبغيات (الكروموزومات الـ ٤٦) من الأب فهو أقرب إلى الاحتمال الثاني وهو نفس الشخص وهو من الناحية

---

(١) ينظر: الاستنساخ في ضوء الأصول والمقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، الرياض، دار الزاحم للنشر والتوزيع، ط/١، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م، ص: ١٨٣، بيولوجيا الاستنساخ، د. هاني رزق: ٦٤.

(٢) ينظر: من يخاف استنساخ الإنسان، جريجوري أي بنس، ترجمة: د. أحمد مستجير، د. فاطمة نصر، القاهرة، مطابع لوتس بالفجالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م. ص: ٢٦ ـ ٥٥.

الكروموزومية صحيح إلاّ أن النسيخ لا يأتي مطابقاً لأصله في التفكير والتوجهات وتحمله لكافة المسؤوليات فهو شخص آخر بهذا الاعتبار فتبقى احتمال أن يكون تؤاماً لمصدره وهو الاحتمال الأقرب للواقع لكون الخلية المأخوذة من الأب تحتوي ٤٦ كروموزوماً مصدرها والدي الأب وما ورثه من أجداده على المدى البعيد وجسد الأب تكون عبر مراحل تخليقه من تلك الخلية الموروثة من الأجداد فأصبح المحتوى الوراثي واحد، وهما بلا شك شخصيتان منفصلتان وهنا تنشأ مشاكل لا حصر لها من إثبات تلك العلاقة وإسباغ صفة الشرعية عليها والاعتراف الكامل بها واستقرار العمل بذلك عليها ثم تأتي مسألة حقوقه في الميراث وفي النسب وعلاقته بأخوته الطبيعيين وأخوته النسائخ وعلاقته بالمرأة التي حملته لأنها تكون قد حملت شقيق زوجها[1].

لذلك أرى أن يترك هذا الموضوع، ولا نفتح له الباب في المجال التطبيقي البشري، لما يكتنفه من إشكالات أخلاقية كبيرة، ولا أرى حاجة ملحة تدعو إلى مثل هذا الاستنساخ خصوصاً للبشر، أمّا الحيوان والنبات فالأمر فيه متسع. والله أعلم.

(١) ينظر: من يخاف استنساخ الإنسان، جريجوري أي بنس: ص ١١٣.

المطلب السادس

الاستنساخ العلاجي

ويطلق على العلاج الجيني في اللغة العربية لفظ علاج المورثات أو علاج المورثة ويقصد به نقل جزء من حمض نووي إلى خلية أو عضو أو الجسم لتصحيح المورثة المعطوبة[١].

ومن الأمور اللازمة لنجاح العلاج الجيني كما يرى الدكتور عجيل النشمي أن هناك أمور يلزم إجراءها لضمان نجاح العلاج الجيني وهي:

١ ـ تحديد دقيق للمورث الذي يلزم تعديله أو استبداله.

٢ ـ معرفة تركيبه الكيمائي.

٣ ـ استنساخ المورث.

---

(١) ينظر: تطبيقات المجين الطبية والبحثية، د. زهير الحصان، حلقة نقاش (من يملك الجينات) الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعوم والتقنية، في ٥ شعبان، ١٤٢٥ هـ: ص ٣٥ ـ ٤٩.

٤ ـ إدخال المورث المستنسخ في خلايا الإنسان[1].

ويحاول علماء الوراثة اليوم من خلال الهندسة الوراثية، التبديل والتعديل في بعض المورثات المسببة للأمراض الوراثية عند الإنسان بهدف القضاء عليها[2].

ولقد كان التداوي من الأمراض مطلب الإنسان منذ الأزل، ولذا جاءت جميع التشريعات السماوية ثم القوانين الوضعية بمشروعية العلاج والتداوي بشروط معينة تحددها ثقافة كل مجتمع وتشترك أحياناً في أمور محددة تفرضها الطبيعة البشرية الموحدة.

ولقد حملت الحقبة الماضية تقدماً متسارعاً في الاكتشافات البيوتكنولجية (التقنية الحيوية) الحديثة، كان من أبرزها الكشف عن خريطة الجينوم البشري والتي استكملت عام ٢٠٠٣ م وتعرف العلماء من خلالها على مواقع الجينات (المورثات) على شريط (DNA) وتم الكشف عن بعض ما تحمله من معلومات مهمة وخطرة على حد سواء، وتم كذلك تحديد مسؤولية البعض منها فيما تحمله من صفات، مثل معرفة الجين المسؤول عن مرض التليف الكيسي أو الجين المسؤول عن تحديد لون البشرة أو العين وفي عام ١٩٧٠ م تم اكتشاف مواد لها طبيعة بروتينية جرى تنقيتها وعزلها من بعض الكائنات وحيدة الخلية (طليعيات النوى) وقد سميت الأنزيمات القاطعة أو المحددة، وتتميز هذه الأنزيمات بقدرتها

---

(١) ينظر: بحث الوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني، ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري رؤية إسلامية، التي نظمتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الفترة من ٢٣ ـ ٢٥/ جمادى الآخر / ١٤١٩ هـ الكويت، مطبوعات المنظمة الإسلامية للعوم الطبية: ١/ ٥٥٥.

(٢) من علم الطب القرآني: ص ١٦٣.

على كسر أو قطع حبال الـ (DNA) في أماكن محددة ومميزة على جزيئات الـ (DNA) وقد ساعد هذه الاكتشاف بشكل كبير على دراسة الـ (DNA) بطريقة سهلة ودقيقة وأسهم في دراسة المورثات كلاً على حده[1].

وذكر بعض الأطباء أن استنساخ عضو معين فقط دون استنساخ كل الجسم كاستنساخ القلب أو الكبد أو اليد أو الرجل بكل خواصه التي أودعها الله فيه غير ممكن علمياً، أمّا استنساخ الأنسجة فقط فيمكن كما حدث في الجلد ونسخها حينئذ يتم معملياً كما ذكرت د. صديقة العوضي من أنه إذا زرعت خلية كبد في وسط المعمل فإنها تنتج (كلون) مكوناً من صنف واحد من الخلايا الكبدية، وليس كبداً بكل أوصافه وأشكاله ووظائفه المختلفة، يرى بعض الفقهاء إن ما يحصل إليه العلم من استنساخ شيء من أنسجة الأعضاء منفصلاً عن استنساخ جسم الإنسان كله ـ كما هو الحال في الاستنساخ التقليدي ـ ليس فيه مانع شرعي ووضع لذلك قيوداً:

أولها: إنه خلية من خلايا الإنسان الذي كرمه الله تعالى وعصم دمه ومنع المساس به إلاّ بحق، وحرم ورود العقد عليه من بيع أو غيره وعلى أجزائه كذلك فهي بمنزلته في التكريم والعصمة فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ قَالَ: (أَيُّ يَوْمٍ هَذَا فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ

---

(١) ينظر: العصر الجينومي ـ استراتيجيات المستقبل البشري ـ د. موسى الخلف: ص ٢٤..

وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ)[1].

ثانياً: إن انتفاع الإنسان بنسيج من أنسجته لعلاج ما قد أصابه من مرض أو حادث كما يحدث في حال تآكل جلد من إصابته النار فاحترق بعض جلده جائز شرعاً.

ثالثاً: إن انتفاع الغير بذلك الأمر مشروط بالحاجة الملحة وقد تنزل الحاجة منزلة الضرورة، وبخاصة أن توافر الاستنساخ من نفسه لنفسه في وقت معين، قد يحتاج إيجاده إلى قوت بعيد مما قد يؤدي إلى الإضرار به، إلاّ أنه مع ذلك يجب الاطمئنان إلى عدم نقله مرضاً من الأمراض المعدية التي قد يكون صاحبه مصاباً بها وأن يأذن له به[2].

الاستنساخ العلاجي إمّا أن يكون لإنتاج عضو كامل أو يكون من أجل معالجة الخلايا ويوضح د. (ديفيد وايتهاوس) المحرر العلمي في محطة الـ (بي بي سي) البريطانية الاستنساخ العلاجي بقوله:

أن تؤخذ المادة الجينية (النواة) من خلية في جسم الإنسان البالغ، وتدمج بخلية بويضة فارغة وبوجود الحافز المناسب يمكن إقناع هذه الخلية بالتطور إلى جنين[3].

وفي هذا النوع الأول: يطمح العلماء إلى تثبيط عمل جميع الخلايا في

---

(١) صحيح البخاري: [١ / ٣٧] باب قول النبي ﷺ (ربما بلغ أوعى من سامع) برقم (٦٧).

(٢) أطفال الأنابيب: ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) الاستنساخ بين العلم والفقه، د. داود سلمان السعدي بيروت، دار الحرف العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م: ص ٣٤٠.

هذا النسيج الجنيني (الذي يسمونه في الغرب الجنين الباكر) باستثناء العضو المطلوب إنتاجه كالقلب أو الكبد.

وأمّا النوع الآخر: وهو معالجة الخلايا فيبدأ بتنمية بييضة مخصبة في المختبر إلى كتلة نسيج جنيني مبكر، ثم يغرز جين فعال في الخلايا الجنينية بواسطة فيروسات مصممة خصيصا لذلك أو بواسطة نواقل أخرى ويغرز تسلسل واسم يسم الجينات Marker Sequence يمكن التعرف من خلال هذه الواسمات على الخلايا التي التقطت الجين بكل صحيح ومن ثم يمكن غرس الـ (DNA) إحدى تلك الخلايا في بييضة جديدة تؤخذ من الأم نفسها لتبدأ الحمل من جديد. وفي الخطوة الأخيرة تحل عملياً نسخة Clone صحيحة من الجين نفسه محل الجين الأصل المعيب[1].

ويعتبر العلاج الجيني وأبحاث الخلايا الجذعية من أهم دعائم الاستنساخ العلاجي.

ويعرف الدكتور علي محيي الدين القرة داغي العلاج الجيني بقوله: العلاج الجيني يعني إصلاح الخلل في الجينات، أو تطويرها، أو استئصال الجين المسبب للمرض واستبدال جين سليم به، وذلك بإحدى الطريقتين التاليتين:

الطريقة الأولى: عن طريق الخلية العادية، وذلك بإدخال التعديلات المطلوبة وحقنها للمصاب، فإدخال الجين إلى الكروموسوم في الخلية يجب أن يكون في موقع محدد، لأن الإدخال العشوائي قد يترتب عليه أضرار كبيرة، ومن المعلوم أن توصيل الجينات يمكن أن يتم بطرق

---

(١) ينظر: www.islamset.com/arabic/anews/genet في ٢٩/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

كيميائية، أو فيزيائية، أو بالفيروسات، أما الطريقة الكيميائية فيتم دمج عدة نسخ من الـ (DNA) الحامل للجين السليم بمادة مثل فوسفات الكالسيوم، ثم يفرغ ذلك في الخلية المستقبلية حيث تعمل المادة الكيميائية على تحطيم غشاء الخلية، وتنقل بالتالي المادة الوراثية إلى الداخل، وهناك طريقة أخرى لتوصيل الجينات عن طريق الحقن المجهري حيث يتم دخول المادة الوراثية إلى السيتوبلازم، أو النواة[١].

وطريقة استخدام الفيروسات هي الأكثر قبولاً وتطبيقاً، وذلك باستخدام الفيروسات كنواقل أو عربات شحن في النقل الجيني، وهناك نوعان من الفيروسات، أحدهما مادته الوراثية DNA والنوع الآخر RNA، وعلى الرغم من أنهما مختلفان كيميائياً لكنهما يجمعهما أنهما من وحدات تُسمى نيوكيلوتيدة: التي تشمل شفرات منتظمة بالإضافة إلى تسلسل دقيق للقواعد النيتروجينية، فقد أثبتت التجارب العملية أن الجين المسؤول عن تكوين بيتاجلوبين البشري يمكن إدخاله في خلايا عظام الفأر بواسطة الفيروسات التراجعية كنواقل، وكانت النتيجة جيدة، واستخدم البعض الفيروسات التراجعية لإدخال جين مسؤول عن عامل النمو البشري إلى أرومات ليفية، وطبقت كذلك على أجنة التجارب بواسطة خلايا الكبد والعضلات[٢].

وبعد التجارب المعملية خرجت التطبيقات منها إلى الإنسان مباشرة حيث كانت التجربة الأولى على الطفلتين (**سبنتيا**) و(**أشانتي**) اللتين ولدتا وهما تعانيان من عيب وراثي وهو عدم إنتاج أنزيم أدينوزين ديمتاز يعمل

---

(١) ينظر: العلاج الجيني من منظور الفقه الإسلامي، التعريف بالعلاج الجيني وما يرتبط به، أ. د. علي محيي الدين القرة داغي ـ موقع أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة، في ٢٠١٠/٩/٢٨ م.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

نقصه على موت خلايا الدم التائية المسماة بالخلايا النائبة (T - Cells)؛ مما يؤدي إلى التأثير على جهاز المناعة، وفي سبتمبر ١٩٩٠ م بدأت رحلة العلاج الجيني بحقن الطفلة (أشانتي) بالخلايا المعالجة وراثيّاً، ثم أُخضعت الطفلة الثانية في عام ١٩٩١ م، وكانت نتيجة علاجهما جيدة[١].

الطريقة الثانية: عن طريق إدخال تعديلات مطلوبة على الحيوان المنوي، أو البويضة، وقد أُثيرت الشبهات حول الطريقتين، حيث أثيرت على الطريقة الأُولى شبهة أخلاقية، وهي: هل البصمة الوراثية لهذا الشخص ستكون مطابقة لابنه؟ كما أثيرت على الطريقة الثانية شبهة: تأثير إدخال التعديلات على الحيوان المنوي، أو البويضة؟، ولذلك لا بدّ من التأكيد على هذا الجانب الأخلاقي وهو أن العلاج في الحالتين لا بدَّ ألاَّ يؤدي بأي حال من الأحوال إلى التأثير في البنية الجينية، والسلالة الوراثية، ومن جانب آخر فإن للاسترشاد الوراثي والهندسة الوراثية دوراً رائداً في منع المرض وتطبيق قاعدة: الوقاية خير من العلاج.

والعلاج الجيني لا يقتصر دوره على الإنسان، بل له دوره الأكبر في عالم النبات والحيوان، مثل: تغيير وتعديل التركيب الوراثي للكائنات، أو ما يعرف بهندسة المورثات في الكائنات مثل التحور الجيني في النبات، والاستزراع الجيني في الكائنات الدقيقة مثل البكتريا، وهندسة الحيوانات وراثيّاً[٢].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: العلاج الجيني من منظور الفقه الإسلامي، التعريف بالعلاج الجيني وما يرتبط به، أ. د. علي محيي الدين القرة داغي ـ موقع أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة، في ٢٨/٩/٢٠١٠ م.

ويعلق مناصرو الاستنساخ آمالاً عريضة على الاستفادة من تقنية الاستنساخ في الجانب العلاجي حيث يرون أنه بالإمكان إيجاد نسخ متعددة من الأعضاء أو الأنسجة أو الجينات تزرع داخل أو بدل العضو المصاب بطرق فنية متخصصة كما يمثل العلاج الجيني أملاً واسعاً في معالجة الأمراض الوراثية[1].

ويهدف العلاج الجيني إلى نقل أو حذف أو تصحيح أو تثبيط أو بتر الجين المعيب وإيلاج جينات صحيحة مرغوبة تتفاعل مع محيطها الجديد فتعبر عن وضع صحي آمن.

---

(١) ينظر: الاستنساخ البشري بين الإباحة والتجريم في ضوء الشريعة ١١٣.

المطلب السابع:

نقل وزراعة الأعضاء تبرعاً أو بيعاً

إن نقل وزراعة الأعضاء من إنسان إلى غيره يشتمل على صور أربعة:

١ ـ الصورة الأولى: النقل من إنسان حي إلى إنسان حي.

٢ ـ الصورة الثانية: النقل من إنسان ميت إلى إنسان حي.

٣ ـ الصورة الثالثة: نقل الأعضاء بيعاً.

٤ ـ الصورة الرابعة: نقل الأعضاء هبةً.

وقبل الخوض في حكم كل نوع لا بد من بيان أن الأعضاء المراد نقلها أمّا أن تكون شفعية أو وترية فالشفعية كالكليتان، والخصيتان، والرئتان، والوترية مثل القلب حيث يحرم على الإنسان أن يتبرع بهذا النوع من الأعضاء لشخص آخر حتى ولو كان الشخص الآخر مهدداً بالوفاة إذا لم يتم إسعافه بذلك العضو الفردي كما يحرم على الطبيب الجراح ومساعديه أن يقوموا بفعل هذا النوع من النقل[١].

---

(١) أحكام الجراحة الطبية: ٣٣٨.

واستدلوا بما يلي:

١ ـ قوله تعالى ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[1]﴾.

وجه الدلالة: حرم الله على الإنسان أن يتعاطى ما يوجب له الهلاك والتبرع بهذه الأعضاء الفردية مفض إلى الهلاك لا محالة لذا حرم عليه فعله.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا[2]﴾.

وجه الدلالة: دلت الآية على حرمة إقدام الإنسان على قتل نفسه ونقل الأعضاء الفردية من إنسان حي إلى إنسان آخر هو قتل للنفس وإهلاك لها.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[3]﴾.

وجه الدلالة: إن القيام بنقل عضو تتوقف عليه حياة إنسان إلى إنسان آخر هو تعاون على الإثم والعدوان من جهة المتبرع حيث سيفقد حياته،

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٩٥.

(٢) سورة النساء/ الآية: ٢٩.

(٣) سورة المائدة/ الآية: ٢.

وهي أيضاً تعاون على البر والتقوى من جهة المتبَرع له حيث سيتمكن من استئناف حياة جديدة، لكن هنا وحسب القاعدة الشرعية (دَرْءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ)[1].

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام: (الشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلاّ خيراً يحثك عليه أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابهما في بعض الأحكام من المفاسد حثاً على اجتناب المفاسد وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح)[2].

فدفع مضرة الموت المحقق في المتبرع أو الواهب مقدم على جلب مصلحة الحياة المضنونة في الموهب له.

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام: (وكذلك الأطباء يدفعون أعظم المرضين بالتزام بقاء أدناهما، ويجلبون أعلى السلامتين والصحتين ولا يبالون بفوات أدناهما، ويتوقف ونعد الحيرة في التساوي والتفاوت؛ فإن الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام، ولدرء ما أمكن درؤه من ذلك، ولجلب ما أمكن جلبه من ذلك. فإن تعذر درء الجميع أو جلب الجميع فإن تساوت الرتب تخير، وإن تفاوتت استعمل الترجيح عند عرفانه والتوقف عند الجهل به.

---

(١) الأشباه والنظائر ـ السبكي [١ / ١٠٥]، شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى: ٩٧٢ هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م: ٣ / ٣٩).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام [١ / ١٢].

والذي وضع الشرع والذي وضع الطب، فإن كل واحد منهما موضوع لجلب مصالح ودرء مفاسدهم. وكما لا يحل الإقدام للمتوقف في الرجحان في المصالح الدينية حتى يظهر لها لراجح، فكذلك لا يحلل لطبيب الإقدام مع التوقف في الرجحان إلى أن يظهر له)[1].

ونبدأ الآن ببيان الصورة الأربعة في نقل الأعضاء وزراعتها:

الصورة الأولى: النقل من إنسان حي إلى إنسان حي.

الصورة الثانية: النقل من إنسان ميت إلى إنسان حي.

ونظراً لكون العلماء قد بحثوا كلا الصورتين في مسألة واحدة يصعب فصلهما وتكرار أدلتهما، لذا سنشرع في بيان الصورة الثانية وبها يتم الاستدلال على الصورة الأولى.

الصورة الثانية: النقل من إنسان ميت إلى إنسان حي.

يتم في هذه الحالة نقل الأعضاء من الإنسان الميت سواء كانت وفاته حقيقة أو محتملة (موت الدماغ) حيث تؤخذ هذه الأعضاء التي يراد نقلها من الإنسان الميت ثم تحفظ بطريقة خاصة تمنع من تلفها إلى حين زرعها في جسم الشخص المحتاج إليها[2].

وقبل الخوض في بيان الحكم الشرعي لهذه الصورة لا بد من بيان مسألة مهمة جداً وهي: هل يعتبر موت جذع الدماغ موجباً للحكم بموت الإنسان أو لا؟

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ـ (١ / ٤).

(٢) ينظر: أحكام الجراحة الطبية: ٣٤١.

تعتبر هذه المسألة من المسائل المهمة النازلة الحديثة في المجال الطبي والشرعي وقد ثار حولها خلاف كبير وجدال مستفيض بين الفقهاء والأطباء على حد سواء ولا زال الخلاف قائماً في الأوساط الطبية الدولية حول هذه المسألة.

وصلة هذه المسألة بحكم نقل الأعضاء وحكم النقل والزرع من إنسان ميت إلى إنسان حي تظهر من جهة أن نقل الأعضاء لا بد أن يتم في أغلب الحالات والقلب لا يزال يضخ الدم والدورة الدموية لا تزال باقية وقد بين ذلك أحد الأطباء المختصين بقوله نقل الأعضاء لا بد أن يتم في أغلب الحالات والقلب لا يزال يضخ الدم، والدورة الدموية لا تزال تعمل، وذلك يرجع إلى سبب بسيط جداً، وهو أن توقف القلب والدورة الدموية عن هذه الأعضاء يؤدي إلى موتها، وإلى عدم صلاحيتها للعمل، فلا بد أن تنقل هذه الأعضاء وهي حية، وتسمى الفترة التي يمكن أن يبقى فيها أن يتلف تلفاً لا رجعة فيه فترة نقص التروية الدافئة[1].

إذا قيل إن موت جذع الدماغ لا يعد موتاً حقيقياً كان استئصال الأعضاء من ذلك الإنسان يعتبر بحكم قتله كأخذها حال حياته الطبيعية، أما إذا قيل ين موت جذع الدماغ يعد موتاً حقيقياً انتفى الإشكال وتقرر بحث الخلاف.

وقد اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذه المسألة (هل يعتبر موت الدماغ دون القلب موتاً؟) وذلك على قولين:

القول الأول: لا يعد موت الدماغ دون القلب موتاً بل لا بد من توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان، وهذا القول لطائفة من

---

(١) أحكام الجراحة الطبية: ص ٣٤٣.

العلماء الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد والشيخ عبد الله البسام والدكتور توفيق الواعي والشيخ محمد المختار السلامي والشيخ بدر المتولي عبد الباسط والشيخ عبد القادر محمد العمادي، وبه أفتت لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية[١].

القول الثاني: يعتبر موت دماغ الشخص دون قلبه موتاً حقيقياً ولا يشترط توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان، وهذا القول لبعض العلماء والباحثين منهم: الدكتور عمر سليمان الأشقر، والدكتور محمد سليمان الأشقر، والدكتور محمد نعيم ياسين، والدكتور أحمد شرف الدين، وبه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي[٢].

الأدلة:

استدل القائلون بعدم موت الدماغ وحده موجباً لحكم بموت صاحبه بما يلي:

١ ـ قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا[٣]﴾.

وجه الدلالة: قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ يعني بالعبث إيقاظهم من رقدتهم[٤]

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٤٥.

(٣) سورة الكهف / الآية: ٨ ـ ١٢.

(٤) تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن

هذه الآيات فيها دليل واضح على أن مجرد فقد الإحساس والشعور لا يعتبر دليلاً كافياً للحكم بكون الإنسان ميتاً.

لأن هؤلاء النفر فقدوا الإحساس والشعور لم يعتبروا أمواتاً والحكم باعتبار موت الدماغ موتاً مبني على فقد المريض للإحساس والشعور، وهذا وحده لا يعتبر كافياً للحكم بالموت[1].

٢ ـ قاعدة (الْيَقِين لَا يُزَال بِالشَّكِّ)[2].

وجه الدلالة: أن اليقين في هذه الحالة المختلف فيها هو حياة المريض وشككنا هل هو ميت لأن دماغه ميت أم هو حي لأن قلبه ينبض؟

فوجب علينا اليقين الموجب للحكم بحياته، حتى نجد يقيناً مثله يوجب علينا الحكم بموته[3].

٣ ـ قاعدة (الْأَصْلُ بَقَاءُ مَا كَانَ عَلَى مَا كَانَ)[4].

وجه الدلالة: الأصل بقاء الروح وعدم خروجها فالإبقاء على الأصل واعتباره أولى من إهماله.

ولا شك في أن الحكم باعتبار المريض في هذه الحالة حياً فيه محافظة

= أبي بكر السيوطي، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ٥ / ١٥١، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر ـ بيروت / لبنان ـ ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م: [٤ / ٢٠٣]، تفسير الماوردي، المسمى بالنكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان: [٣ / ٢٨٨].

(١) أحكام الجارحة الطبية: ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٢) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان: ١/ ٨.

(٣) أحكام الجراحة الطبية: ٣٤٧.

(٤) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ـ : ١/ ٣٩٢.

على النفس وذلك يتفق مع المقصد العظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية والعكس بالعكس[1].

وقد ذكر الفقهاء علامات معتبرة للحكم بموت الإنسان كما نصوا على أنه إذا شك في أمر الشخص هل مات أو لا أنه لا بد من التحري والانتظار لحين الجزم والتيقن من موته.

قال ابن قدامة[2]: وإن اشتبه أمر الميت اعتبر بظهور أمارات الموت من استرخاء رجليه وانفصال كفيه وميل أنفه وامتداد جلد وجهه وانخساف صدغيه، وإن مات فجأة كالمصعوق أو خائفاً من حرب أو سبع أو تردى من جبل انتظر بهذه العلامات حتى يتيقن موته قال الحسن في المصعوق: ينتظر به ثلاثاً قال أحمد[3] رحمهالله: إنه ربما تغير في الصيف في اليوم والليلة قيل فكيف تقول قال: يترك بقدر ما يعلم أنه ميت قيل هل: من

---

(١) أحكام الجراحة الطبية: ٣٤٨.

(٢) ابن قدامة (٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ = ١١٤٦ ـ ١٢٢٣ م) عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين: فقيه، من أكابر الحنابلة، له تصانيف، منها «المغني» ولد في جماعيل (من قرى نابلس بفلسطين) وتعلم في دمشق، ورحل إلى بغداد سنة ٥٦١ هـ، فأقام نحو أربع سنين، وعاد إلى دمشق، وفيها وفاته. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٤٢ / ١٧٤]، العبر في خبر من غبر [٥ / ٧٩] الأعلام للزركلي [٤ / ٦٧].

(٣) الإمام ابن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ = ٧٨٠ ـ ٨٥٥ م) أحمد محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس وولد ببغداد، فنشأ منكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة وصنف (المسند) يحتوي على ثلاثين ألف حديث، وكان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء، وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن فامتنع وضرب وسجن. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٢١/ ٢١٢]، صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري ـ د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة ـ بيروت، لطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م: [٢ / ٣٣٦]، الأعلام للزركلي [١ / ٢٠٣].

غدوة إلى الليل قال: نعم[1].

ويستحب المبادرة إلى الغسل والتجهيز عند تحقق الموت وذلك بأن يكون به علة وتظهر أمارات الموت مثل أن تسترخي قدماه فلا ينتصبا أو يميل أنفه أو ينخسف صدغاه أو تمتد جلدة وجهه أو ينخلع كفه من ذراعه أو تتقلص خصيتاه إلى فوق مع تدلي الجلدة وعند الشك يتأنى إلى حصول اليقين وموضعه أن لا يكون به علة ويجوز أن يكون ما أصابه سكتة أو ظهرت أمارة فزع واحتمل أنه عرض ما عرض لذلك فيتوقف إلى حصول اليقين بتغير الرائحة وغيره[2].

ومتى شك في موته وجب تأخيره إلى اليقين، بتغير ريح ونحوه فذكرهم العلامات الكثيرة له إنما تفيد، حيث لم يكن هناك شك[3].

وحالة موت الدماغ تعتبر من جنس الحالات المشكوك فيها نظراً لبقاء القلب نابضاً والجسم يقبل التغذية ولم يتغير لونه فهذا أمر موجب للشك وحينئذ ينبغي الانتظار إلى توقف القلب عن النبض بالكلية[4].

دليل القول الثاني:

استدل القائلون باعتبار موت جذع الدماغ موجباً للحكم بوفاة صاحبه بما يلي:

---

(١) المغني ـ: ٤ / ٣٦١.

(٢) العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، تأليف الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي الشافعي (ت ٦٢٣ هـ)، تحقيق: وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م: ٥ / ١١٤.

(٣) فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للشيخ زين الدين بن عبد العزيز المليباري الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م:٢ / ١٢٦.

(٤) أحكام الجراحة الطبية: ص ٣٥٠.

أولاً: إن العلماء قرروا أن حياة الإنسان تنتهي عندما يغدوا الجسد الإنساني عاجزاً عن خدمة الروح والانفعال لها.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ عند بيانه لمفارقة الروح الجسد: معنى مفارقة الروح للجسد انقطاع تصرفها من الجسد بخروج الجسد عن طاعتها، فإن الأعضاء آلات الروح وتستعملها حتى إنها لتبطش باليد، وتسمع بالأذن، وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بنفسها،... وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء، وقد استعصى عليها بعضها، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها، وكل الأعضاء آلات، والروح هي المستعملة لها، ومعنى الموت انقطاع تصرفها عن البدن وخروج البدن عن أن تكون آلة له، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة، فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها[١].

وبهذا يتبين اعتبارهم لعجز الأعضاء عن خدمة الروح والانفعال لها دليل على مفارقة الروح للجسد.

قالوا: وهذا موجود في موت الدماغ فإن الأعضاء لا تستجيب لتصرفات الروح والحركة الموجودة في بعض الأحيان إنما هي حركة اضطرارية لا علاقة لها بالروح وليست ناشئة عنها[٢].

الترجيح:

الذي يترجح هو القول بعدم اعتبار الإنسان ميتاً بمجرد موت دماغه

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت: [٤ / ٤٩٤].

(٢) ينظر: حكام الجراحة الطبية: ٣٥٢.

وتلفه وذلك لما يأتي:

١ ـ لصحة ما ذكره أصحاب هذا القول من الأدلة النقلية والعقلية.

٢ ـ ولأن الأصل في الإنسان أنه حي حتى يتيقن خلاف ذلك والقول بموت الدماغ خلاف ذلك إذ هو غلبة الظن وليس اليقين وذلك لما ثبت في حوادث مختلفة من إثبات الأطباء لموت الدماغ وحكمهم بوفاة المريض ثم يعود إلى الحياة ثانية[١].

ثم نأتي إلى الصورة التي نحن بصدد الحكم فيها وهي هل يجوز نقل الأعضاء من الشخص الميت أو الحي وزرعها في الإنسان الحي، علماً أن ما يخصنا في البحث تحديداً هو نقل وزرع الخصية والمبيض لأن الحكم فيهما فرع عن الحكم بزرع ونقل الأعضاء.

اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: لا يجوز نقل الأعضاء الآدمية.

وهو قول الشيخ الشعرواي[٢] والغماري[٣] والسنبهلي[٤] والشيخ حسن

---

(١) يقول الدكتور الشيخ بكر أبو زيد «حكم جمع من الأطباء على شخصية مرموقة بالوفاة لموت جذع الدماغ لديه وأوشكوا على انتزاع بعض الأعضاء منه، لكن ورثته منعوا ذلك ثم كتب الله له الحياة وما زال حياً الى تاريخه أ. هـ ينظر: أحكام الجراحة الطبية: ٣٥٣.

(٢) (الإنسان لا يملك جسده فكيف يتبرع بأجزائه أو يبيعها)، مقال للشيخ الشعراوي في جريدة اللواء الإسلامي العدد ٢٢٦ تاريخ الخميس ٢٧/ جمادى الآخرة / ١٤٠٧ هـ.

(٣) في كتابه (تعريف أهل الإسلام بأن نقل العضو حرام، ومعه أجوبه هامة في الطب، تأليف: أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني، تحقيق وتعليق: الأستاذ صفوت جودة أحمد، مكتبة القاهرة، مصر، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م).

(٤) هو الشيخ محمد برهان الدين مؤلف معاصر ينظر قوله في مؤلفه: قضايا فقهية معاصره: ٦٧.

السقاف[1] والدكتور عبد السلام عبد الرحيم السكري[2] والدكتور حسن علي الشاذلي[3].

القول الثاني: يجوز نقل الأعضاء الآدمية:

وهذا القول صدرت به الفتوى في عدد من المؤتمرات والمجامع والهيئات واللجان منها: المؤتمر الإسلامي الدولي المنعقد بماليزيا[4]، ومجمع الفقه الإسلامي[5]، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية[6]، ولجنة الفتوى في كل من المملكة الأردنية الهاشمية[7] والكويت[8] ومصر[9] والجزائر[10].

---

(١) في مؤلفه (الإمتاع والاستقصاء لأدلة تحريم نقل الاعضاء: حسن بن علي السقاف، دار الرازي، عمان).

(٢) أستاذ بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر له كتاب بعنوان (نقل وزراعة الأعضاء الآدمية من منظور إسلامي) خلص فيه الى تحريم نقل الأعضاء مطلقاً.

(٣) أستاذ وعميد كلية الشريعة والقانون بالأزهر ينظر بحثه (انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً) من بحوث مجمع الفقه الإسلامي.

(٤) انعقد في أبريل ١٩٦٩ م ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ـ مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة، تأليف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء العدد ٢٢/ عام ١٤٠٩ هـ الموقع: http://www.alifta.com.

(٥) في دورته الثامنة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ٢٨/ربيع الآخر/إلى ٧/ جمادى الأولى/عام ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩ ـ ٢٨ يناير ١٩٨٥ قرر القول بجواز النقل بشروط أربعة.

(٦) قرار رقم ٩٩ بتاريخ ٦/ ١١/ ١٤٠٢ هـ.

(٧) ينظر نص الفتوى في (انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً كان أو ميتاً) د. عبد السلام داود العبادي ص: ٨ من بحوث مجمع الفقه الإسلامي.

(٨) برقم ٩٧ ع/ ٨٤ في ٢٢ / ربيع الآخر عام ١٤٠٥هـ

(٩) لجنة الفتوى بالأزهر رقم ٤٩١، جريدة الشرق الأوسط العدد ٣٧٢٥ الأربعاء ٨/ ٢/ ١٩٨٩م حيث نقلت قول مفتي الجمهورية بالجواز.

(١٠) صدرت عن لجنة الإفتاء للمجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر بتاريخ ٦/ربيع الأول عام ١٣٩٢ هـ (٢٠/ أبريل/ ١٩٧٢ م).

وهو قول طائفة من العلماء والباحثين: منهم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي والشيخ إبراهيم اليعقوبي[1] والشيخ جاد الحق[2] واختاره الدكتور أحمد شرف الدين[3] والدكتور رؤوف شلبي[4] والدكتور عبد الجليل شلبي[5] والدكتور محمود على السرطاوي[6] والدكتور هاشم جميل عبد الله[7].

الأدلة:

أولاً: أدلة أصحاب القول الأول القائلين بعدم الجواز:

من الكتاب:

١ ـ قوله تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ[8]﴾.

---

(١) في رسالته (شفاء التباريح والأدوات في حكم التشريح ونقل الأعضاء) خلص فيه القول بالجواز بستة عشر شرطاً.
(٢) شيخ الأزهر له مقال في المسألة بعنوان (نقل الأعضاء من إنسان لآخر) نشر في مجلة الأزهر الجزء التاسع عدد رمضان ١٤٠٣ هـ.
(٣) ينظر قوله في كتابه (الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، أحمد شرف الدين، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م) ص: ١٢٨.
(٤) جريدة الشرق الأوسط العدد ٣٧٢٥ الأربعاء ٨/ ٢/ ١٩٨٩ م.
(٥) جريدة الشرق الأوسط العدد ٣٧٢٥ الأربعاء ٨/ ٢/ ١٩٨٩ م.
(٦) في بحثه الموسوم (زرع الأعضاء في الشريعة الإسلامية) نشر في مجلة (دراسات) الصادرة عن الجامعة الأردنية المجلد ١٢ العدد ٣ جمادى الآخرة عام ١٤٠٥ هـ.
(٧) في بحث له نشر في مجلة الرسالة الإسلامية، مجلة فكرية إسلامية، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية العدد ٢١٢ ص: ٦٩.
(٨) سورة البقرة / الآية: ١٩٥.

وجه الدلالة:

نهانا الله تعالى أن نلقي بأنفسنا إلى التهلكة وإقدام الشخص على التبرع بجزء من جسده هو سعي لإهلاك النفس وذلك ليس مطلوباً منه ولفظ التهلكة عام يشمل كل طريق يؤدي إليها وقطع العضو من نفسه موجب للهلكة المنهي عنها إذ (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[1].

٢ ـ قوله تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا[2]﴾.

وجه الدلالة:

إن نقل الأعضاء فيه تغيير في خلق الله فهو داخل في عموم هذه الآية الكريمة ويعتبر من المحرمات لذلك[3].

٣ ـ قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا[4]﴾.

وجه الدلالة:

إن الله تعالى قد نهى الإنسان عن قتل نفسه أو قتل غيره والتبرع بجزء من

---

(١) الإتقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت ١٩/ ٥/ ٩١١ هـ) تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م، بيروت ـ لبنان: [١/ ١١٠].

(٢) سورة النساء/ الآية: ١١٩.

(٣) ينظر: الإمتاع والاستقصاء للسقاف: ١٥ ـ ١٦.

(٤) سورة النساء/ الآية: ٢٩ ـ ٣٠.

الجسد هو قتل للنفس وفعل ذلك دخول في الوعيد الذي ذكرته الآية الثانية.

واستدلوا من السنة النبوية الشريفة:

عَنْ جَابِرٍ: (أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ قَالَ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلأَنْصَارِ فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ فَمَرِضَ فَجَزِعَ فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ وَرَآهُ مُغَطِّياً يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ فَقَالَ غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّياً يَدَيْكَ قَالَ قِيلَ لِي لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ)[1].

وجه الدلالة:

يقول الامام النووي: وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي فإن هذا عوقب في يديه[2].

ويقول ابن الجوزي: وقد كان يمكن أن تعمها المغفرة فتصلح ليعلم قدر هذا الذنب محذراً السامع للحالم نمثله[3].

---

(١) صحيح مسلم: [١ /١٠٨]، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، برقم (١٨٤)، مسند أحمد [٢٣/ ٢٣١] برقم (١٤٩٨٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ: [٢/ ١٣٢].

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن،الرياض - ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م: [ص ٧٤٧].

وإن من تصرف في عضو منه بتبرع أو غيره فإنه يبعث يوم القيامة ناقصاً منه ذلك العضو عقوبة له وذلك دليل التحريم.

٣ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)[١].

وجه الدلالة:

إن الضرر متحقق عند قطع الشخص لعضو من أعضائه ليتبرع به لشخص آخر فيكون داخلاً في عموم النهي المحرم.

وهل بين اللفظين أعني الضر والضرار فرق أملاً فمنه ممن قال هما بمعنى واحد على وجه التأكيد والمشهور أن بينهما فرقاً ثم قيل إن الضرر هو الاسم والضرار الفعل فالمعنى أن الضرر نفسه من نفي الشرع وإدخال الضرر بغير حق كذلك وقيل الضرر أن يدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به والضرار أن يدخل على غيره ضرراً بلا منفعة له به كمن منع ما لا يضر هو يتضرر به الممنوع ورجح هذا القول طائفة منهما بن عبد البر وابن الصلاح وقيل الضرر أن يضر به من لا يضر هو الضرار أن يضر بمن قد أضر به على وجه غير جائز وبكل حال فالنبي ﷺ إنما نفى الضرر والضرار بغير حق[٢].

كما استدلوا بالعقل أيضاً:

فقالوا إن من شروط صحة التبرع أن يكون الإنسان مالكاً للشيء المتبرع به أو مفوضاً في ذلك، والإنسان ليس مالكاً لجسده ولا مفوضاً فيه لأن التفويض يستدعي الإذن بالتبرع، وذلك غير موجود[٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) جامع العلوم والحكم، دار المعرفة ـ بيروت [ص ٣٠٤].

(٣) ينظر: أحكام الجرحة الطبية: ٣٦٤.

ومن القواعد الفقهية التي تؤكد هذا المعنى:

١ ـ الضَّرَرُ لَا يُزَالُ بِالضَّرَرِ[1].

٢ ـ الضَّرَرُ لَا يُزَالُ بِمِثْلِهِ[2].

وجه الدلالة:

إن هاتين القاعدتين تتضمنان المنع من إزالة الضرر بمثله، وذلك موجود في مسألتنا حيث يزال الضرر عن الشخص المنقول إليه بضرر آخر يلحق الشخص المتبرع[3].

ثانياً: أدلة أصحاب القول الثاني القائلين بالجواز.

استدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[4]﴾.

٢ ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ[5]﴾.

وجه الدلالة:

قد اتفقت الآيات الكريمة على استثناء حالة الضرورة من حكم التحريم

---

(١) الأشباه والنظائر ـ السبكي [١ / ٥١]، المنثور [٢ / ٣٢١].

(٢) قواعد الفقه ـ للبركتي: ص: ٨٧.

(٣) ينظر: أحكام الجراحة الطبية: ٣٦٥.

(٤) سورة البقرة/ الآية: ١٧٣.

(٥) سورة الأنعام/ الآية: ١١٩.

المنصوص عليه والإنسان المريض عند احتياجه لنقل عضو فإنه سيكون في حكم المضطر لأن حياته مهددة بالموت.

٣ ـ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ[(١)]﴾.

وجه الدلالة:

في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ هو أنه حكم عام يشمل كل تهلكة.

وعليه فإنه يدخل فيه من تبرع لأخيه بعضو من أعضائه لكي ينقذه من الهلاك أو يعيد إليه بصره الذي فقد نوره[(٢)].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[(٣)]﴾.

وجه الدلالة:

دلت الآية على أن مقصود الشرع التيسير على العباد لا التعسير عليهم

---

(١) سورة المائدة/الآية: ٣٢.

(٢) فتوى لجنة الإفتاء بالمجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر بتاريخ ٦/٣/١٣٩٢ هـ، مجلة البحوث الإسلامية عدد٢٢ صفحة ٤٧.

(٣) سورة البقرة/ الآية: ١٨٥.

وفي إجازة نقل الأعضاء الآدمية تيسير على العباد ورحمة بالمصابين والمنكوبين وتخفيفاً للآلم وكل ذلك موافق لمقصود الشرع[1].

واستدلوا بالقواعد الفقهية:

١ ـ الضَّرَر يُزَال[2].

٢ ـ الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ الْمَحْظُورَاتِ[3].

٣ ـ إِذَا ضَاقَ الْأَمْرُ اتَّسَعَ[4].

وجه الدلالة:

دلت هذه القواعد المستنبطة من نصوص الشريعة على الترخيص للمتضرر بإزالة الضرر ولو بالمحظور.

الترجيح:

والذي أراه راجحاً من القولين هو القول الثاني وذلك لقوة ما أستدل به، وما استدل به أصحاب القول الأول يمكن توجيهه على النحو الآتي:

٤ ـ أما الآية التي استدلوا بها وهي قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ

---

(١) ينظر: أحكام الجراحة الطبية: ٣٧٤.

(٢) الأشباه والنظائر ـ: ١/٨.

(٣) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ـ: ٢/٨٨.

(٤) المنثور في القواعد ـ: ١/٥٨.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ[1]﴾.

فلا تشمل حالة الإنقاذ لروح بشرية محتاجة لما يمكن للإنسان أن يجود به دون أن يتعرض لخطر الموت، وهذا الأمر مشاهد مجرب، ولا ينظر إلى الاستثناءات بل ينظر إلى الأعم الأغلب شرط أن تكون الغاية هي الإنقاذ والتبرع وليس البيع والمتاجرة، وإلاّ فيحرم.

١ ـ وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا[2]﴾ فليس فيه وجه دلالة جازم إذ الآية عامة، والكلام حول أمر إحياء نفس متوقفة على التبرع بعضو يمكن العيش من دونة بالنسبة للمتبرع أو الواهب.

٢ ـ وأما حديث الطفيل بن عمرو فلا دلالة فيه وذلك لأن ذلك الرجل أراد الطب لنفسه دون معرفة أساس التطبيب، وما تعرض له كان اجتهاداً منه في ذلك ولا يمكن قياس هذه الواقعة على ما يحمله الطب اليوم من إمكانات هائلة في إنقاذ أرواح آلاف الناس بتبرعات آخرين.

٣ ـ واما حديث (لا ضرر ولا ضرار) فهو وإن تحقق الضرر في المتبرع فإنه ضرر أخف من ضرر هلاك النفس التي أمرنا الله بإحيائها فالضرر الأكبر يزال بالضرر الأخف كما جاء في القاعدة المشهورة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف)[3] والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة /الآية: ١٩٥.

(٢) سورة النساء/ الآية: ١١٩.

(٣) قواعد الفقه ـ للبركتي ص: ٨٧.

الصورة الثالثة: نقل الأعضاء بيعاً

هل يجوز بيع الأعضاء الآدمية؟ سواء أخذت منه حال حياته أو بعد مماته فهل يعد هذا البيع صحيحاً أم لا؟

إن من شروط صحة البيع أن يكون الشيء المبيع ملكاً للبائع ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه نهى عن بيع ما لا يملكه الإنسان(١)، وأجمع أهل العلم ـ رحمهم الله ـ على أن الإنسان لو باع ما لا يملكه ولم يجز مالكه البيع أن بيعه باطل(٢).

جاء في حاشية رد المحتار قوله: أَنَّ بَيْعَ مَا لا يَمْلِكُ بَاطِلٌ(٣)، ومعلوم أن أعضاء الإنسان ليست ملكاً للإنسان ولم يؤذن ببيعها شرعاً فكان بيعها داخلاً في بيع الإنسان لما لا يملكه(٤).

---

(١) سنن أبي داود: [٣ / ٣٠٢] باب في الرجل يبيع ما ليس عنده برقم (٣٥٠٥)، سنن الترمذي [٣ / ٥٣٤] باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك برقم (١٢٣٢)، سنن النسائي [٧ / ٢٨٩] بيع ما ليس عند البائع برقم (٤٦١٣)، سنن ابن ماجة [٢ / ٧٣٧] باب النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن، برقم (٢١٨٧)، مسند أحمد [٢٤ / ٢٥-٢٦] برقم (١٥٣١١)، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [٥ / ٢٦٧] برقم (١٠٢٠٢)، المعجم الكبير [٣ / ١٩٤] برقم (٣٠٩٧)، المعجم الصغير للطبراني [٢ / ٥٥] برقم (٧٧٠)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ) تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م: [٦ / ٤٤٨] وهو حديث صحيح.

(٢) أحكام الجراحة الطبية: ٥٩١.

(٣) حاشية ابن عابدين: [٥ / ١٨٥].

(٤) أحكام الجراحة الطبية: ٥٩١.

الصورة الرابعة: نقل الأعضاء تبرعاً وهبة:

قرر مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بشأن زراعة الأعضاء الإنسانية في جسم الإنسان رقم (٩٩) تاريخ ٦/١١/١٤٠٢ هـ بجواز نقل عضو أو جزئه من إنسان ميت إلى مسلم إذا اضطر إلى ذلك وأمنت الفتنة في نزعه ممن أخذ منه، وغلب على الظن نجاح زرعه فيمن سيزرع فيه.

وجواز تبرع الإنسان الحي بنقل عضو منه أو جزئه إلى مسلم مضطر إلى ذلك[١].

ونأتي على الحكم في مسألة زرع ونقل الخصيتين أو المبيض: هذه المسألة متفرعة على القول بجواز نقل الأعضاء الآدمية وتعتبر نازلة من نوازل العصر الحديثة.

اختلف العلماء في هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يجوز نقل الخصيتين مطلقاً وبه قال: الدكتور محمد طيب النجار[٢] والدكتور عبد الجليل شلبي[٣] والشيخ أحمد حسن مسلم[٤] والشيخ محمد أحمد جمال[٥].

---

(١) قرار مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بشأن زراعة الأعضاء الإنسانية في جسم الإنسان رقم (٩٩) تاريخ ٦/١١/١٤٠٢هـ ينظر: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي السنة الأولى العدد الأول: ص: ٧٣.

(٢) رئيس المركز الدولي للسيرة والسنة النبوية بمصر. ينظر: مجلة (المسلمون) مجلة العالم الإسلامي، شهرية، يصدرها المركز الإسلامي: عدد (٢٠٥).

(٣) عضو لجنة الفتوى بالأزهر، وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية سابقاً. ينظر: المسلمون عدد (٢٠٥).

(٤) عضو لجنة الفتوى بالأزهر. ينظر: المسلمون العدد (٢٠٥).

(٥) ينظر: أحكام الجراحة الطبية: ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

القول الثاني: يجوز نقل الخصيتين مطلقاً وهو قول الشيخ سيد سابق[1]

القول الثالث: التفصيل يجوز نقل إحدى الخصيتين من الحي إلى الحي وبه أفتت مشيخة الأزهر[2].

دليل القول الأول:

استدل القائلون بحرمة نقل الخصيتين مطلقاً بما يلي:

أولاً: إن نقل الخصيتين يعتبر تشويهاً لخلقة الإنسان المنقول منه وهذا أمر محرم شرعاً[3].

ثانياً: إن نقل الخصيتين من الحي يؤدي إلى حرمانه من النسل وهو أمر محرم شرعاً[4].

ثالثاً: إن هذا النقل لا توجد فيه الضرورة كما يعلل القائلون بجواز من يرى ذلك[5].

رابعاً: إن جوازها يؤدي إلى اختلاط الأنساب وهو أمر محرم شرعاً[6].

خامساً: إننا لو قلنا بجوازها فإنه سيتذرع بذلك إلى جواز نقل المبيضين

---

(١) أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ينظر: المسلمون العدد (٢٠٣).

(٢) ونصت الفتوى على أن الأفضل عدم النقل مطلقاً، ينظر: المسلمون عدد (٢٠٥) من السنة الرابعة عام ١٤٠٩ هـ.

(٣) المسلمون عدد (٢٠٥).

(٤) المسلمون عدد (٢٠٥).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

لأنهما في حكم الخصيتين وذلك يؤدي إلى ضياع الأنساب واختلاط المحارم فوجب القول بالحرمة سداً لهذه الذريعة المحرمة[1].

سادساً: إن المعتبر قوله في هذه المسائل من الناحية الطبية هم أهل الاختصاص والمعرفة من الأطباء، وقد شهدوا بأن نقل الخصيتين يوجب انتقال الصفات الوراثية الموجودة في الشخص المنقولة منه إلى أبناء الشخص المنقولة إليه الخصية، وهذه شبهة موجبة للتحريم[2].

دليل القول الثاني:

استدل القائلون بجواز نقل الخصيتين مطلقاً بما يلي:

أولاً: إن الحيوانات المنوية خارجة في الأصل من الرجل الثاني المنقولة إليه الخصية وأن الخصية ليست إلاّ مجرد آلة منظمة تلك الحيوانات فلا وجه للشبهة في عملية نقلها.

ثانياً: إن الشخص الثاني، المنقولة إليه الخصية، قد ملك تلك الخصية، بعد تبرع الشخص الأول بها إليه وزرعها في جسمه وحينئذ لا ينبغي علينا النظر إلى الأصل بعد انتقال الملكية إلى الشخص الثاني، بل نقول إنها خصية الرجل الثاني سواء أدى ذلك إلى انتقال الصفات أم لم يؤد اليه.

ثالثاً: إنه لا تأثير للجينات الوراثية ولا خوف من تطابقها بدليل أن الأخوين ينجب أحدهما الأنثى وينجب الآخر الذكر وكلا الأخوين من أصل واحد انتقلت إليهما صفات وراثية واحدة ومع ذلك لم يحرم زواج

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

ابن أحدهما بابنة الآخر فدل هذا على عدم تأثير تطابق الصفات الوراثية[1].

دليل القول الثالث: التفصيل

١ ـ إن نقل الخصيتين يؤدي إلى قطع نسل المتبرع، بخلاف نقل إحداهما وترك الأخرى.

٢ ـ يجوز نقل إحدى الخصيتين وترك الأخرى كما يجوز نقل إحدى الكليتين والرئتين بجامع الحاجة في كلٍ[2].

الترجيح:

الذي يترجح في نظري هو القول بحرمة نقل الخصية مطلقاً وذلك لما يأتي:

* أولاً: لصحة ما ذكره أصحاب هذا القول في تعليلهم.

* ثانياً: إن شهادة الأطباء بكون الخصية مؤثرة في الصفات الوراثية هو المعتمد بناء على ما تقرر من وجوب الرجوع في كل أمر إلى أهله الذي لهم العلم والمعرفة به، وإذا تقرر بشهادة الأطباء تأثير الخصية في الصفات كان ذلك شبهة مؤثرة توجب الحكم بعدم جواز النقل، خاصة وأن العقيم يصير بالنقل منجباً.

* ثالثاً: إن الأصل يقتضي عدم جواز تغيير الخلقة ونقل الأعضاء إلاّ بعد وجود الإذن الشرعي بذلك وعليه فإن الأصل في هذا النوع من النقل

---

(١) المسلمون الأعداد (٢٠٣ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٢) أحكام الجراحة الطبية: ٣٩٥.

إنه محرم والحاجة الداعية إلى النقل مدفوعة بالشبهة المؤثرة، وبما أشار إليه بعض الأطباء المختصين من وجود البديل الذي يمكن بواسطته علاج المصابين بتلف الخصية الذي يمنع من إنجابهم[1].

* رابعاً: أما استدلال أصحاب القول الثاني فيجاب عنه بما يلي:

ـ **الوجه الأول**: يجاب عنه بأن إلغاء تأثير ما تقوم به الخصية من تنظيم للماء غير مسلم لأنه قائم على الدعوى المختلف فيها .

وإنما يصح إلغاء ذلك لو كانت الخصية غير مؤثرة في الماء نفسه لكن لما وجد إنه يوجب الشبهة الداعية إلى التوقف عن الحكم بجواز عملية نقل الخصية.

ـ **الوجه الثاني**: إن ملكية الشخص الثاني للخصية يشترط في اعتبارها إذن الشرع حتى يصح القول بانتقال ملكيتها للغير والإذن الشرعي غير موجود هنا فانتفى القول بصحة الملكية ومن ثم ينتفي ما تركب عليها من عدم الالتفات للأصل الأول، ومن ثم نقول: إن الأصل في الخصية إنها ملك للشخص الأول، والتبرع مشكوك في تأثيره فوجب الرجوع إلى اليقين والأصل الموجب للحكم بكونها للشخص الأول.

ـ **الوجه الثالث**: يجاب عنه من وجهين:

= **الوجه الأول**:

لا نسلم صحة القياس لأنه قياس مع الفارق.

---

(١) أشار الى هذا البديل الدكتور حسين الأنصاري مدير المركز الطبي للأمراض التناسلية بمصر، ينظر: جريدة المسلمون عدد ٢٠٥ وهو يرى عدم الموافقة على عملية النقل وذكر البديل الطبي عنها.

ووجه ذلك:

إن الأصل لم يحكم فيه بتأثير اتحاد الصفات لأن انتقالها لم يكن ناشئاً من عامل واحد بل من عاملين كل واحد منهما متعلق بأحد الأخوين بخلاف الفرع فإن اتحاد الصفات ناشئ من عامل واحد وخصية واحدة .

= **الوجه الثاني**:

إن هذا القياس مبني على إلغاء تأثير التشابه في الصفة، وهذا ليس محل النزاع، بل محل النزاع في شرعية المصدر الموجب لاتحاد الصفات.

* خامساً: وأما استدلال أصحاب القول الثالث فيجاب عنه بما يلي:

أما الوجه الأول: فمسلم لكونه موافقاً للقول بالتحريم في الحالة التي يرى أصحاب هذا القول حرمة نقل الخصية فيها..

وأما الوجه الثاني: فيجاب عنه بأنه قياس مع الفارق لأن الأصل لا شبهة فيه، بخلاف الفرع فان الشبهة موجودة فيه فجاز الأصل ولم يجز الفرع، فلم يصح الإلحاق.

* سادساً: إن نقل الخصيتين أو إحداهما يؤدي إلى استباحة النظر إلى العورة وتكرار ذلك، والأصل يقتضي حرمة النظر إلى العورة[1]، وليست هناك حاجة معتبرة توجب استثناء عملية النقل من الأصل نظراً لمكان الشبهة الموجودة فيها.

---

(١) أجمع العلماء ـ رحمهم الله ـ على حرمة كشف العورة والنظر إليها من غير ضرورة، ينظر: قوانين الأحكام الفقهية، لأبي القاسم بن جزي، الطبعة ألأولى، دار الفكر العربي، ١٩٩٨ م: ٦٩، مراتب الإجماع لابن حزم الظاهري الأندلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة ألأولى، بيروت، ١٩٨٣ م: ص١٥٧.

* سابعاً: إن الخصية إذا نقلت من الحي أو الميت لا بد من بقاء قدر من الحيوانات المنوية فيها، ومن ثم يختلط الماء القديم والماء الجديد وعند جماع الرجل الثاني وإنزاله لا ندري أي الماءين أنزل ونحن على يقين باشتراكهما ولا يدرى بعد ذلك هل الحمل متخلق من ماء الأول أم من ماء الثاني، وهذا خلط للأنساب ظاهر فوجب تحريمه والمنع فيه(١).

فلا يجوز استنساخ الخصية والمبيض لغير صاحبيهما لكونهما يحملان ويفرزان الصفات الوراثية للمنقول منه حتى بعد زرعهما في متلق جديد(٢).

لهذا كله فإن الذي يترجح في نظري هو القول بعدم جواز نقل الخصية والمبيض مطلقاً، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر أحكام الجراحة الطبية: ٣٩٥ ـ ٣٩٨.

(٢) ينظر: المقاصد الشرعية والقضايا البيولوجية، د: مصدق حسن، رسالة دكتوراه، تونس جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين ١٤٢٠ هـ ١٤٢١ هـ ص: ١١٨.

المطلب الثامن:

الموقف الشرعي من الاستنساخ

نحاول في هذا المطلب أن نسلط الضوء على فتاوى علماء الإسلام المعاصرين في مجال الاستنساخ ومن خلال تلك الفتاوى يمكن لنا أن نستخلص الموقف الشرعي للاستنساخ بوجه عام.

يقول الشيخ عبد الله البسام[1]: (إن استنساخ البشر محرم شرعاً ولا يجوز بأي حال إذ إنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب وهذه الأفعال تؤدي إلى ضياع الأمم وزوالها بسبب سوء أخلاقها ومعاصيها لله سبحانه ولا بد من قتل هذه التجارب في مهدها قبل أن تستفحل)[2].

ويقول الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله يقول: (إذا تمت الاستجابة

---

(١) عضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ينظر: الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: أ. د سالم نجم، المؤتمر العالمي السابع للاعجاز العلمي في القرآن والسنة، الهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرآن والسنة: ص ٨.

(٢) المصدر نفسه.

لأهواء الناس وجرى تسخير الطب لما تشتهي الأهواء فإن هذا نذير بهلاك العالم. إن اللعب في الجينات والتجارب على الأجنة تعد تغيير في خلق الله وهو عمل محرم وأناشد العالم الذي يجري وراء الهندسة الوراثية أن يتقن هندسة الأخلاق)[1].

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي: نرحب بالعلم في خدمة الإيمان والأخلاق والقيم وبما يفيد البشرية ولا يتسبب في إفسادها ولا يدمر ويخرب كما حدث مع الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية ولا مانع من الاستفادة من هذه التقنية بما يعود على البشرية بالنفع وتشخيص الأمراض والوقاية منها وعلاجها، والقاعدة الشرعية (سد الذرائع)[2] وهو ترك المباح خوفاً من أن يؤدي إلى أمور منكرة ومفاسد للناس، والأسرة أساس المجتمع وجعل الله الزواج أساس لحياة المجتمع الإنساني والاستنساخ يؤدي إلى اختفاء الأسرة وإفساد المجتمع ويصبح الناس حيوانات في ظل غياب الأسرة وغياب الأبوة والأمومة والله تعالى خلق الكون كله أزواجاً ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[3]﴾ ويتساءل أين يتربى الطفل المستنسخ في غير عالم الأسرة أبوة وأمومة وحنان ورعاية وخاصة أن الطفولة البشرية هي أطول أنواع الطفولة في الحيوانات، وهل تستطيع دور الأيتام والمحاضن القيام بهذه المهام؟ ويقوم الأب والأم بمهمة تعليم الأطفال اللغة والتوحيد والسلوكيات القويمة ويغرسان فيه

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأشباه والنظائر ـ السبكي [١/ ١٣٥]، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق ـ كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي بيروت: [٢ / ١٩٣].

(٣) سورة الذاريات/الآية: ٤٩.

حب الوطن والولاء لله ولأمه... إلخ فمن غير الوالدين من يقوم بذلك في جو الأسرة والعشيرة والأخوة والأخوان والأعمام والأخوال والعمات والخالات[1]؟

ويقول الشيخ نصر فريد وأصل: مفتي جمهورية مصرية العربية: الاستنساخ البشري منهي عنه شرعاً إذ إنه يؤدي إلى اختفاء الأسر واختفاء العلاقات الاجتماعية والفردية وضياع الحقوق والواجبات والإخلال بالعلاقات الإنسانية من حيث الأب والأم والزوج والزوجة والأخ والأخت وصلة الأرحام في عمومها حيث تنشأ وتنمو المشاعر الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، ويجب أن يكون الإنجاب بالطرق الطبيعية والعلاقة المشروعة بين الذكر والأنثى سنة إلٰهية وخلق الله تعالى من كل زوجين إثنين حتى في الحيوان والنبات والجماد. وغير ذلك هو كفر واضح وصريح وتغيير في خلق الله تعالى ويجب أن نغلق الباب أمام الاستنساخ البشري[2].

ويقول الدكتور إبراهيم يحيى الشهابي من دمشق:

الإنسان لم يخلق شيئاً غير أن الله سبحانه يسر له اكتشاف القانون الإلٰهي واستخدمه. والواجب أن يستخدمه للإعمار والبناء انطلاقاً من إيمانه بالله وتنفيذ مهمة استخلافه في الأرض، ومن يفعل غير ذلك فهو يخرب البيئة ويدمر نفسه وبيئته وربما الكون من حوله، إن تفجير الذرة (النواة) أوصل الإنسان إلى العلوم النووية ولكنه استخدمها في تدمير مدن بأكملها، وكذلك الاستنساخ يمكن استخدامه للتخلص من الأمراض لخدمة البشرية وهذا ما يشجع عليه الدين وتحث عليه الأخلاق التزاماً

---

(١) الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: ص ٨.
(٢) المصدر نفسه.

بمهمة الأعمار التي كلف الله بها الإنسان تعزيزاً لإقامة مجتمع إنساني حضاري تربطه المحبة والوئام ويسوده الأمن والسلام[1].

ولا يمكن الجزم بالحل أو بالحرمة بهذه العمومية بل لا بد من تحديد الضوابط والتي يمكن من خلالها العلمل بتلك الأبحاث العلمية:

ويمكن تقسيم البحث في هذه المسألة إلى قسمين:

القسم الأول: الأبحاث الجائزة شرعاً:

١ ـ تحسين تقنيات الإنجاب والكشف عن الأمراض الوراثية وغيرها وعلاجها جينياً أثناء الحمل وبعد الولادة.

٢ ـ التعرف قبل الولادة على العيوب الخلقية وأسبابها والوقاية منها.

٣ ـ استنساخ أنسجة وأعضاء بشرية عن طريق الخلايا الجذعية المأخوذة من المرض أنفسهم بقية تعويض التالف من أعضائهم.

٤ ـ استنساخ جينات تساهم في صناعة هرمونات وأجسام مضادة وأمصال للوقاية من الأمراض وحماء ضد التخثرات الدموية أو أنسجة عصبية لعلاج أمراض الجهاز العصبي المركزي أو الطرفي والشلل والرعاش والشلل النصفي. . . إلخ.

٥ ـ أطفال الأنابيب بشرط أن تكون البويضة من الزوجة والحيوان المنوي من الزوج وفي حالة استمرارية الزوج وأثناء حياة الزوج، ويحظر تجميد خلاياهم أو الاحتفاظ بها للمستقبل.

---

(١) المصدر نفسه: ص ٩.

٦ ـ الأبحاث التي توصف بالعلم النافع للإنسان وتقديس العقيدة ومبادئ الأخلاق واحترام كرامة الإنسان[١].

القسم الثاني: الأبحاث المحرمة شرعاً

١ ـ كل التجارب التي قد تؤدي إلى تشوهات أو أمراض جسدية أو نفسية.

٢ ـ كل التجارب التي تحدث خللاً التوازن البيئي.

٣ ـ كل التجارب التي قد تؤدي إلى إلغاء دور الأسرة ومؤسسة الزواج والمتمثل في الزوجين الذكر والأنثى، واحترام قانون ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[٢]﴾.

٤ ـ كافة بنوك البويضات الملقحة وغير الملقحة والحيوانات المنوية من أي مصدر مجمدة وغير مجمدة.

٥ ـ كل الأبحاث التي تعالج بالجينات البشرية وتنتج لحوماً أو أليافاً أو غير ذلك ممن يدخل تحت قائمة الاستهلاك البشري مثل اللحوم البقرية البشرية وما شابهها.

٦ ـ كافة تقنيات أطفال الأنابيب التي تخالف ما ذكر في رقم ٥ في الأبحاث الجائزة شرعياً.

٧ ـ الأبحاث التي تنتج أنسجة الاستنساخ بقصد المتاجرة وجني الأرباح.

---

(١) المصدر السابق: ص ١١.

(٢) سورة الذاريات/ الآية: ٤٩.

٨ ـ أو تلك التي تؤدي إلى قتل الأجنة بعد استخدام أنسجته لأغراض طبية أو غير ذلك.

٩ ـ أو تلك الأبحاث التي تمتهن كرامة الإنسان وحقوقه وتمس العقيدة الإسلامية أو الأخلاق الفاضلة أو اغتيال المبادئ المهنية.

١٠ ـ الأبحاث التي تؤدي إلى تلوث البيئة واختلال التوازن البيئي والأضرار بالمخلوقات البشرية والحيوانية والنباتية بل والجمادية أو المساس بالجمال الفطري والبيئة النقية[(١)].

ومن الناحية الدينية اتفقت كل المؤسسات الدينية والمجامع الفقهية والمرجعيات الدينية الإسلامية على الفتوى بالتحريم القاطع للاستنساخ البشري، حتى أن مجمع البحوث الإسلامية أوصى بتطبيق حد الحرابة على مَن يطبقون تقنيات الاستنساخ على البشر، وتكاد هذه الفتوى أن تكون مستقرة في أنحاء العالم الإسلامي، ويناظرها في العالم المسيحي فتاوى من الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية تحمل نفس المعنى، وتسير في هذا الاتجاه[(٢)].

وتأكيداً لذلك أصدر مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف يوم السبت ٢٨ ـ ١٢ ـ ٢٠٠٢ فتوى أكد فيها أن استنساخ الإنسان حرام، ويجب التصدي له ومنعه بكل الوسائل. وأكد نص الفتوى أن الاستنساخ يعرض الإنسان الذي كرّمه الله لأن يكون مجالاً للعبث والتجربة، وإيجاد أشكال مشوهة وممسوخة.

(١) الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: ص ١٢.

(٢) ينظر: الاستنساخ البشري مرفوض دينياً وأخلاقياً وضد الفطرة الإنسانية، موقع العالم الإسلامي الصفحة السادسة، متابعات العدد ١٧٧٧ ـ الجمعة ١٤ ذو القعدة ١٤٢٣ هـ إسلامية أسبوعية جامعة.

وشددت الفتوى على أن الإسلام لا يعارض العلم النافع بل يشجعه ويحث عليه ويكرم أهله، أما العلم الضار الذي لا نفع فيه، أو الذي يغلب ضرره على نفعه فإن الإسلام يحرّمه ليحمي البشر من أضراره.

كما أوضحت الفتوى أنه يجب التفريق بين ذلك واستخدام الهندسة الوراثية في النبات والحيوان لإنتاج سلالات ذات قيمة ونافعة للبشر، وكذلك في علاج الأمراض، ومحاصرة توارث الأمراض. وقد تزامنت إدانة الأزهر الذي يعد أكبر المؤسسات الإسلامية في العالم للاستنساخ مع رفض الڤاتيكان أكبر هيئة كاثوليكية لهذه الفكرة ؛ باعتبار الإعلان عن ولادة طفلة مستنسخة تعبيراً عن فكرة ذهنية قاسية خالية من أي اعتبار أخلاقي وإنساني، ويعارض الڤاتيكان أي شكل من أشكال الاستنساخ، سواء كان لأغراض علاجية أو بهدف التكاثر[١].

وقد فرق العلماء بين الاستنساخ البشري وبين الاستنساخ النباتي والحيواني إذ يؤكد الدكتور يوسف القرضاوي أن الاستنساخ في النبات والحيوان لا بأس به، بل قد يكون مطلوباً، لأنه تحسين للسلالة، أما الاستنساخ في البشر فممنوع شرعاً، لأن الله تعالى خلق الحياة على أساس الزوجية، فكل شيء فيه زوج، كما أن في الاستنساخ البشري مفاسد عديدة، وهو تغيير لخلق الله تعالى، وذلك إذا كان الاستنساخ لبشر كامل، أما إن كان استنساخ لبعض الأعضاء كالقلب أو الكبد فلا بأس به، على أن الاستنساخ ليس إحياء ولا خلقاً جديداً، فهو يأخذ مادة الحياة التي خلقها الله تعالى ويصنع شبيهاً لها. ويؤكد القرضاوي أنه بفضل تقدم العلم الذي علمه الله للإنسان ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ[٢]﴾ حتى أضحى

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة العلق/ الآية: ٥.

الإنسان يشق أغوار الفضاء، وينزل على سطح القمر، ويطمح للوصول إلى الكواكب الأبعد. ولقد قدر لنا أن نشهد كثيراً من العجائب في حياتنا، ابتداء من المذياع والتلفاز، ثم الكومبيوتر وغزو الفضاء، وانتهاء بالإنترنت، ومروراً بالثورة البيولوجية الهائلة، ثورة الهندسة الوراثية، التي جربت بتوسع في عالم النبات، ثم بقدر أضيق في عالم الحيوان، ثم دخلت عالم الإنسان، وأصبح الكثير ممن يتخوفون من وثبات العلم إذا انطلق وحده بمعزل عن الإيمان والأخلاق، فقد يعود العلم عندئذ خطراً على الإنسان، بدل أن يكون نعمة له[1].

وبالنظر إلى الاستنساخ بوصفه طريق جديد للتكاثر فلم يرد في الشريعة نص يبيح أو يمنع هذا الاسلوب وقد يستنبط ذلك من أدلة عامة واردة في الكتاب والسنة نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا[2]﴾.

فالسبيل الذي اتبعته البشرية منذ بدء الخليقة هو التكاثر الجنسي أي عن طريق التزاوج ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجًا وَذُرِّيَّةًۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ[3]﴾.

والطريق جاء خلافه فإنما جاء على خلاف العادة والعادة في الشريعة محكمة كما تقول القاعدة الأصولية[4].

---

(١) ينظر: الاستنساخ البشري مرفوض دينياً وأخلاقياً وضد الفطرة الإنسانية، موقع العالم الإسلامي الصفحة السادسة، متابعات العدد ١٧٧٧ ـ الجمعة ١٤ ذوالقعدة ١٤٢٣ هـ إسلامية أسبوعية جامعة.

(٢) سورة النساء/ الآية: ١١٥.

(٣) سورة الرعد/ الآية: ٣٨.

(٤) قواعد الفقه ـ للبركتي ص: ٨٩، القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير: عبد

وقد ثبتت عادة التزاوج بين الناس منذ الخليقة بلا خلاف بين الأمم ولا يجوز الانتقال عن هذا الأصل إلاّ بدليل أو للضرورة أو لحاجة تنزل منزلة الضرورة، ولقد اختلف العلماء في عقم الرجل وعجزه عن الإنجاب هل يعتبر ذلك ضرورة أو حاجة ملجئة أم لا؟

وخلاصته أن علاج العقم يعتبر من الحاجات الملحة نظراً لحاجة المرء إلى الولد والنسل وهي خاصة تفيد الإنسان على المستوى الشخصي ولم ترتق هذه الآفة أن تكون حاجة اجتماعية أو حتى ظاهرة مرضية فالنسبة العالمية للعقم لا تتجاوز ١٦٪.

وعليه تصبح هذه المصلحة من المصالح التي تهدر نظراً لكثرة المفاسد المصاحبة لها، وتصبح من المصالح الملغاة لكثرة الأخطار التي تكتنف هذا النوع من المعالجات.

وقد أفتى مجمع الفقه الإسلامي بتحريم سائر التلقيح خارج إطار الزوجية وأن التلقيح الجائز يكون بين الزوجين حال حياتهما[1].

قال الإمام العز بن عبد السلام: إذا اجتمعت مصالح ومفاسد فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى بهما لقوله سبحانه وتعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[2]﴾. وإن تعذر الدرء والتحصيل: فان كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا

الرحمن بن صالح العبد اللطيف: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م: [١ / ٢٩٧].

(١) ينظر: قرار المجمع في الدورة الثامنة المنعقدة في مكة في الفترة من السبت ٢٨/ربيع ألآخرة / ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩ ـ ٢٨ يناير ١٩٨٥م القرار الثاني: ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) سورة التغابن/ الآية: ١٦.

نبالي بفوات المصلحة وإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة حصلنا المصلحة مع التزام المفسدة وإن استوت المصالح والمفاسد فقد يتخير بينهما وقد يتوقف فيهما[1].

ولبيان الحكم الشرعي الدقيق في ذلك يمكن تقسيم المسألة إلى:

أولاً: حكم الاستنساخ الجنيني (استنساخ الأجنة)

وبناء على ما تقدم فإن حكم الاستنساخ الجنيني غير جائز ولم يقل بجوازه من علماء المسلمين المعتمدين أحد.

وهنالك اجتهادات لبعض أهل العلم تجيز هذا النوع من الاستنساخ ومن أشهر من قال بذلك:

١ ـ د. محمد سليمان الأشقر، أوضح بأن الاستنساخ الجنيني يأخذ حكم أطفال الأنابيب[2].

٢ ـ د. عارف على عارف من الجامعة الإسلامية بماليزيا يرى جواز الاستنساخ الجنيني إذ يقول: فاستنساخ البويضة المخصبة يجوز في حالات الضرورة لمساعدة المصابين بالعقم، لعلاج بعض حالات عدم الإنجاب إذا تعين الاستنساخ والتؤامة طريقاً للإنجاب فيكون علاجاً لحالة مرضية[3]

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر، الإمام جلال الدين السيوطي: ص: ٨٩.

(٢) الاستنساخ في ميزان الشريعة الإسلامية، د. محمد سليمان الأشقر، بحث ضمن ندوة رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة عقد في الدار البيضاء، في الفترة ١٤ ـ ١٧/ يونيو/ ١٩٩٧، الجزء الثاني الاستنساخ، ص ٣٤٤.

(٣) قضايا فقهية في الجينات البشرية، د عارف علي عارف، بحث ضمن دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، الأردن، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م: ٢/ ٧٥٤.

ويرى البعض أن معالجة العقم بطريق الاستنساخ تعتبر حاجة ملحة (والحاجة تنزل منزلة الضرورة)[1] كما في القاعدة الأخرى وبأعمال القاعدة الأصولية (الضرورات تبيح المحضورات)[2] فالأصل قبول هذا النوع من المعالجات تمشيا مع قواعد الشريعة والتي تجعل المعالجة مجردة في دائرة المباح تحقيقا للقاعدة الأصولية (الأصل في الأشياء الإباحة)[3].

ثانياً: حكم الاستنساخ الجسدي

وهو الذي يتم عن طريق أخذ نواة من أي مكان من جسد الإنسان ثم تزرع في بويضة بعد أن تفرغ نواتها وبعد حدوث الانقسام وإعادة برمجتها داخل البييضة تزرع في رحم المرأة لتنمو وتنقسم حتى تصبح جنيناً ثم تلد مولوداً يتطابق في شكله وصفاته الوراثية مع صاحب الخلية الجسدية.

وقد اختلف العلماء والمجتهدون بإحكام الاستنساخ الجسدي إلى أربعة أقوال:

القول الأول: حرام بالجملة وهو قول أغلب العلماء المعاصرين وهو قول مجمع الفقه الإسلامي في دورته العاشرة لسنة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م[4].

القول الثاني: مباح إذا لم يدخل في العملية طرف ثالث بين الزوجين. . . فإذا تم التلقيح بين زوجين في ظل حياة زوجية قائمة كان

---

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم إبراهيم المعروف بابن نجيم الدمشقي (ت٩٧٠ هـ)، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣: ص ١٠٠.

(٢) المنثور [٢ /٣١٧]، القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير: [١/ ٥٠].

(٣) ينظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم: ص ٧٣.

(٤) مجلة المجمع الفقه الإسلامي، الدورة العاشرة، العدد العاشر، الجزء الثالث، ١٤١٨ هـ ص ٤٢١ ـ ٤٢٣.

جائزاً وبه قال: زيادة أحمد سلامة ـ الكلية العلمية الإسلامية، الأردن، والعالم الشيعي: محمد علي التسخيري ـ رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بإيران[1].

القول الثالث: جوازه بين الزوجين العقيمين اللذين لا يجدان سوى هذا الطريق وسيلة للإنجاب وهو قول الشيخ ناصر بن زيد الداود القاضي برئاسة المحاكم السعودية[2]، والدكتور على السرطاوي: كلية الشريعة بجامعة النجاح بنابلس، ود. عارف علي عارف أستاذ مساعد بقسم الفقة وأصوله بالجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا، حيث يقول إن تحقيق المصلحة الخاصة بالزوج العقيم بالانتفاع من عملية الاستنساخ مشروط بعدم الإضرار بمصلحة الأمة وعدم فتح باب المفسدة لها فإن كان فيه مضرو ومفسدة وخراب للمجتمع في الحال أو المآل فيحرم آنذاك لضرره العام وذلك استناداً إلى القاعدة الشرعية سد الذرائع ولا عبرة لما في ذلك من فوائد خاصة للزوج العقيم لأن هذه الفوائد والمصالح تكون مغلوبة المفاسد[3].

القول الرابع: التوقف في الطريقتين وهو رأي للدكتور محمد رأفت عثمان[4].

---

(١) ينظر: الاستنساخ في ميزان الإسلام: رياض أحمد الحوامدة، رسالة ماجستير، جامعة القدس، ٢٠٠١ م: ١٧٨ ـ ١٨٨.

(٢) الاستنساخ بالشروط الخمسة، مقال في جريدة «المسلمون» عدد ٦٤٤ غرة صفر، ١٤١٨ هـ في ٦/ يونيو/ ١٩٩٧ م، ص ٨.

(٣) ينظر: قضايا فقهية في الجينات البشرية: د. عارف علي عارف، بحث ضمن دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، الأردن، دار النفائس، ط/ ١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م: ٢/ ٧٧٧.

(٤) ينظر: الاستنساخ في ضوء القواعد الشرعية، د. محمد رأفت عثمان، بحث مقدم لمؤتمر القانون وتطور علوم البيولوجيا، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ٣٠/ سبتمبر / ١ أكتوبر سنة ٢٠٠٠ م.

وفيما يتعلق بنسب المستنسخ يعتبر الفقهاء شروطاً لإلحاق الولد بأبيه أهمها العقد وإمكان الوطء والعلوق[1]، فهل يمكن تحقيق هذين الشرطين في الاستنساخ التوالدي؟

والذي يظهر أن الاستتئام طريقة جديدة لعلاج العقم تشبه طريقة طفل الأنابيب في مراحلها الأولى، إلاّ أنه في أطفال الأنابيب يتم تلقيح البويضة في كل مرة بحيوان منوي ولا يتم حفز البويضة على الانقسام صناعياً لتعطي عدداً من البويضات الملقحة كما هو الحال في الاستتآم، فتبين أن أطفال الأنابيب يختلفون بيولوجيا عن أبناء الاستتآم إن جاز التعبير، وأطفال الاستتآم أقرب من الناحية البولوجية إلى التوائم المتطابقة لكون أصلهم بويضة ملقحة إلاّ أنه في الاستنساخ يتم حث هذه اللقائح على الانقسام للحصول على عدد من اللقائح أو عدد من البويضات قبل تلقيحها فهي طريقة آمنة كما يبدو، إلاّ أنه نتيجة لعدم ثبوت نجاح هذه التجربة في تخليق أجنة بشرية كاملة وعدم ثبات أمنها الصحي وفق هذه النتائج فإنني أميل إلى الرأي الأول الذي اتخذه مجمع الفقه الإسلامي وهو القول بالتحريم، والله أعلم.

حكم الاستنساخ الجسدي:

تبين من المناقشة السابقة لحجج المؤيدين كثرة المفاسد المترتبة على الاستنساخ الجسدي بطريقة نقل النواة، ولذا فإني أرى حرمة هذا النوع مطلقاً، وكذا يقال في الحكم الشرعي لطريقتي نقل الكروماتين والتكاثر العذري وتلحقان بما سبق من حيث الحرمة لاتحاد المقصد والهدف بل إن

---

(١) ينظر: الحاوي الكبير: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م: ١١/١٥٩ ـ ١٦٠.

طريقة التكاثر العذري تصبح أشد حرمة لأنه تفضي إلى الاستغناء عن الجنس الذكر من المخلوقات البشرية.

ويتحدث الدكتور أحمد عمر هاشم عن موقف الإسلام من الاستنساخ في البشر قائلاً: الاستنساخ البشري حرام ولا يصح لأنه مخالفه للإرادة الإلٰهية التي قدرت مجيء الإنسان عن طريق الزواج ومن أب وأم، أما الاستنساخ فهو طريقه عبثية ستكون لها أضرارها البالغة[1].

يرى الفقهاء المعاصرون أن الاستنساخ البشري غير جائز شرعاً وأدلتهم على ذلك ما يلي:

١ ـ ينطبق على الاستنساخ أنه تغيير لخلق الله تعالى وتغيير خلق الله محرم بقوله تعالى ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا[2]﴾ فتغيير خلق الله تعالى محرم لأنه مما يأمر به الشيطان وهو لا يأمر إلاّ بالفحشاء والمعاصي.

٢ ـ إن محاولة توليد المنسوخ بهذه الطريقة هو محاولة من البشر أن يخلقوا مثل خلق الله تعالى ومحاولة مثل ذلك ظلم وأي ظلم، لأنها لا تقع إلاّ ممن لا يقدر الله تعالى حق قدره فيدخل تحت قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً)[3].

---

(١) الأهرام ١٣ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٥/ديسمبر / ٢٠٠٤ م السنة ١٢٩ العدد ٤٣١١٨.

(٢) سورة النساء/ الآية: ١١٧.

(٣) صحيح البخاري: [٦ / ٢٧٤٧] باب قول الله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون﴾ برقم (٧١٢٠).

٣ ـ إنه معارض للآيات التي ذكرت التناسل من ذكر وأنثى بصفته طريقة التكاثر البشري نحو قول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ[١]﴾ ثم عددوا كثيرا من المفاسد والمحاذير في الاستنساخ[٢].

وقد جاء في توصيات ندوة رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة المنعقدة في الدار البيضاء ما يأتي:

وتأسيساً على هذه الاعتبارات التي أجمع عليها الحاضرون رأى البعض تحريم الاستنساخ البشري جملة وتفصيلاً، بينما رأى آخرون إبقاء فرصة لاستثناءات حاضرة أو مقبلة أن ثبتت لها فائدة واتسعت لها حدود الشريعة على أن تبحث كل حالة على حدة[٣].

ومن التوصيات منع الاستنساخ البشري العادي (نقل نواة جسدية لبويضة منزوعة النواة) فإن ظهرت مستقبلاً حالات استثنائية عرضت لبيان حكمها الشرعي من جهة الجواز أو المنع[٤].

(١) سورة النحل/ الآية: ٧٢.
(٢) أطفال الأنابيب ٤٩ ـ ٥٠.
(٣) أطفال الأنابيب: ٥٢.
(٤) أطفال الأنابيب: ٥٣.

المبحث الثاني:

الهندسة الوراثية والاستنساخ النباتي والحيواني

وفيه أربعة مطالب

- **المطلب الأول: الهندسة الوراثية النباتية**
- **المطلب الثاني: الهندسة الوراثية والثروة الحيوانية**
- **المطلب الثالث: الهندسة الوراثية والبيئة**
- **المطلب الرابع: الموقف الشرعي من الهندسة الوراثية النباتية والحيوانية**

المطلب الأول:

الهندسة الوراثية النباتية

تعتبر الزراعة من أقدم المكونات للاقتصاد العالمي، وقد تأثرت الزراعة كغيرها من النشاطات الأخرى بالتقدم التكنولوجى حيث بدأ الإنتاج الزراعي يتحول من إنتاج المواد الأولية الزراعية أو السلع الخام العادية إلى إنتاج سلع على درجة عالية من التخصص، ومن الجدير بالذكر أن الأغذية المعدلة وراثياً لم تخضع بعد لدراسات وتجارب تبين أثرها على صحة الإنسان وعلى البيئة على المدي البعيد، ومن جهة أخرى، لا يعلم المواطن المستهلك شيئاً عن ماهية هذه الأغذية ومن يقوم بإنتاجها وهل لها تأثير على صحة الإنسان وعلى البيئة بشكل عام؟ وما هو السبيل لتجنب آثارها الضارة[١]؟

فى الماضي، حاول العاملون فى مجال تربية النباتات نقل الجينات بين نباتين من نفس النوع لإنتاج جمل الصفات المرغوبة، وقد تم هذا التبادل

---

(١) أسئلة وأجوبة حول المحاصيل المعدلة وراثياً، مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية ـ مصر.

الجيني عن طريق نقل حبة لقاح مذكرة من نبات إلى العضو المؤنث فى نبات آخر، وهذا التلقيح الخلطي يقتصر على التبادل الجيني لنباتات ذات قرابة وراثية، ومن عيوب هذه الطريقة أنها تحتاج إلى وقت طويل، بالإضافة إلى أنه توجد صفات مرغوبة لا يمكن إيجادها فى أنواع ذات قرابة وراثية، ومن ثم لا يمكن إجراء تحسين للنبات أو نقل الصفة المرغوبة إليه[١].

وعلى عكس ذلك، نجد أن استخدام تكنولوجيا إنتاج النباتات المعدلة وراثياً تمكن مربي النباتات من تجميع العديد من الصفات المرغوبة فى نبات واحد، حيث تؤخذ تلك الصفات من نباتات متنوعة ولا تقتصر على الأنواع القريبة وراثياً للنبات المستهدف. وتتميز تلك الطريقة بالوصول إلى الهدف المرغوب فى وقت قصير مع الحصول على أصناف نباتية عالية الجودة، بالإضافة إلى زيادة إنتاجية المحصول بدرجة تفوق ما كان يتمناه مربوا النباتات[٢].

وقبل الخوض في الأراء المؤيدة أو المعارضة للهندسة الوراثية لا بد من بيان كيفية التعديل الوراثي للنبات لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره وما لم تكن الصورة واضحة فلا يمكن الجزم بالحكم الشرعي في ذلك.

فالنباتات المهندسة أو المعدلة وراثياً هي نباتات تحتوي على جين أو العديد من الجينات والتي تم إدخالها بطرق البيوتكنولوجيا الحديثة، وهذا الجين الذي تم إدخاله (الجين المنقول) يتم الحصول عليه من نبات ذو

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

قرابة وراثية أو يختلف تماماً عن النبات المراد تحسينه (النبات المستهدف)، ويطلق عليه نبات معدل وراثياً.

وفى الواقع أن كل المحاصيل تقريباً قد تم تعديلها وراثياً على مدى العصور الماضية من حالتها البرية الأصلية إلى ما هي عليه الآن أما بالانتخاب أو بطرق التربية التى يتحكم فيها الإنسان[١].

ولقد توصل العلماء إلى أساليب يستطيعون بواسطتها التصرف بالجينات من حيث فصلها وتركيبها وإعادة بناء سلسلة كما يشاءون ويصبح عندها الكائن الحى الذي تم تغير سلسلته الوراثية كائناً معدلاً وراثياً.

يتم إدخال جين معين إلى جينوم النبات بطريقتين أساسيتين:

* استخدام جهاز يسمى (قاذف الجين) حيث يحاط DNA بجزيئات دقيقة، ثم تقذف تلك الجزيئات إلى الخلايا النباتية المستهدفة.

* استخدام بكتيريا في إدخال DNA إلى الخلايا النباتية المستهدفة[٢].

وتعرف التقنية الحيوية (BIOTECH) على أنها استخدام وسائل الصناعات الحديثة كالتقنيات والآلات في مجال العلوم البيولوجية. أما الهندسة الوراثية التي تُعد إحدى تطبيقات BIOTECH فهي تشير إلى دخول نوع من معالجة جينات الـ DNA للكائن؛ فينشأ عن ذلك ظهور جينات

---

(١) أسئلة وأجوبة حول المحاصيل المعدلة وراثياً، مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية ـ مصر.

(٢) النباتات المعدلة وراثياً. . والبيئة، د. نهلة بركات، على الموقع: www.slidefinder.net/g/genetically...20plants...20environment/10694795

أسئلة وأجوبة حول المحاصيل المعدلة وراثياً، مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية ـ مصر.

جديدة لم تكن لتظهر في الطبيعة لولا تدخل الإنسان.

إن عملية نقل الجينات قد تحدث بين النوع الواحد، أو بين الأنواع المختلفة، أو حتى بين الممالك المختلفة؛ مثل نقل جين من الحيوان إلى النبات. ويشير الطعام المهندس وراثياً إلى أي منتج به مكونات من أي كائن آخر طور وراثياً.

وأول مرة تم فيها استنساخ خلية نباتية كانت عام ١٩٥٨ م على يد البيولوجي الإنجليزي فريدريك ستيوارد في جامعة كورنل ثم بمعزل عنه البيولوجي الألماني جاكوب راينرد الذي اكتشف طريقة لتنمية شتلات جزر كاملة من استنبات خلايا منفردة لجزرة واحدة وسرعان ما أمكن تعرف إمكان تحسين النبات وراثياً بهذه الطريقة[١].

أما عن الدول التي تقوم بزراعة المحاصيل المعدلة وراثياً فهي: الأرجنتين، أستراليا، بلغاريا، كندا، الصين، فرنسا، ألمانيا، المكسيك، رومانيا، إسبانيا، جنوب أفريقيا، أوكرانيا والولايات المتحدة الأمريكية[٢].

وقد ورد في الأحاديث الصحاح والآثار المروية ما يدل على وجود قفزة نوعية للنبات ففي صحيح مسلم حديث طويل عن علامات الساعة جاء فيه.. (ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ

---

(١) ضرورة العلم دراسات في العلم والعلماء، تأليف: ماكس بيروتي، ترجمة: وائل أتاسي، د. بسام معصراني، مراجعة: د. عدنان الحموي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٩٩٩ م: ٤٣.

(٢) أسئلة وأجوبة حول المحاصيل المعدلة وراثياً، مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية ـ مصر.

الْعِصَابَةُ[1] مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[2] حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ[3] مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ[4] مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ)[5].

يوضح هذا الحديث الصحيح أن الله تعالى سيسخر العلم لتحسين أنواع النبات والحيوان دون الإنسان، فعلى حين أن أكثر من عشرة رجال يستظلون من الشمس بقشرة رمانة والمئات من الناس يكفيهم رضيع البقرة ولم تتغير طبيعة الإنسان أو ربما صغر حجمه لكي تتناسب صفاته وأبعاده مع مضمون الحديث.

ولقد ظهرت بوادر هذا التقدم في الإنتاج النباتي والحيواني بالهندسة الوراثية حيث بلغ وزن حبة طماطم واحدة ووزن خيارة واحدة ما يقارب الثلاثين كيلو غراماً، وبلغ وزن بطيخة ثمانون كيلو غراماً كما بلغ وزن عجل البقر حوالى (٢٠٠٠) كيلو غراماً[6].

وقد استطاع العلماء استنبات محاصيل زراعية معدلة وراثياً عن طريق

---

(١) الْعِصَابَة الْجَمَاعَة. ينظر: شرح النووي على مسلم: ٩/ ٣٢٧.

(٢) الرِّسْل: بِكَسْرِ الرَّاء وَإِسْكَان السِّين هُوَ اللَّبَن شرح النووي على مسلم: ٩ / ٣٢٧.

(٣) اللِّقْحَة بِكَسْرِ اللَّام وَفَتْحهَا، لُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، وَالْكَسْر أَشْهَر، وَهِيَ الْقَرِيبَة الْعَهْد بِالْوِلَادَةِ، وَجَمْعهَا لِقَح بِكَسْرِ اللَّام وَفَتْح الْقَاف، كَبِرْكَةٍ وَبِرَك. وَاللَّقُوح ذَات اللَّبَن، وَجَمْعهَا لِقَاح. ينظر: شرح النووي على مسلم: [١٨ / ٧٠].

(٤) الْفِئَام بِكَسْرِ الْفَاء وَبَعْدهَا هَمْزَة مَمْدُودَة، وَهِيَ الْجَمَاعَة الْكَثِيرَة. ينظر: شرح النووي على مسلم [١٨ / ٧٠]، لسان العرب [١٢ / ٤٥٩] الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ لبنان، الطبعة الثانية: [١ /٢٨].

(٥) صحيح مسلم: [٤ / ٢٢٥٠] باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (١١٠).

(٦) المدخل الإسلامي للهندسة الوراثية البشرية: الدكتور سالم نجم، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي السنة الثامنة العدد العاشر: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

التحكم بالجينات الوراثية لهذه النباتات، وقد تمكنوا من إنتاج الذرة القادرة على مقاومة الحشرات وإنتاج القطن وفول الصويا القادرة على مقاومة المبيدات العشبية لأنها تحمل جينات دخيلة يمكنها إما مقاومة المبيدات أو أن تجعل خلاياها قادرة على إنتاج سم خاص يبيد الحشرات المهاجمة[١].

وبعد سنوات من الجهود المضنية هجَّن البروفسور بورلاوغ القمح المحلي مع أصناف قزمية يابانية لإنتاج نباتات يمكن أن تستفيد من مقادير أكبر من الأسمدة، وكانت النتيجة إكثار تلك الأصناف من القمح التي عُزي إليها الفضل في تفادي المجاعات الواسعة في العالم النامي في الستينات، والتي زُرعت على نطاق واسع في الهند وباكستان على وجه الخصوص، ومُنح البروفسور بورلاوغ جائزة نوبل للسلام عام١٩٧٠. غير أن علماء آخرين قاموا في الوقت ذاته بتوسيع مبادئ الإكثار الحديث للمحاصيل لتغطية محاصيل أساسية أخرى مثل الأرز، وهكذا انطلقت الثورة الخضراء[٢].

ففى عام ١٩٩٤ تم إنتاج أول نبات معدل وراثياً وهو نبات الطماطم، والذى يتميز بصفة تأخر عملية النضج، وقد تم إنتاجه واستهلاكه فى إحدى الدول المتقدمة، ومنذ ذلك الحين نجد أن الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً متوفرة في الأسواق، وتعد غذاءً آمناً في جميع أنحاء العالم، كما أن تواجد تلك الأغذية الجديدة في وجباتنا اليومية أدى إلى زيادة الاهتمام بإيجاد تشريعات تتعلق بسلامة تلك الأغذية[٣].

ونظراً لأن إنتاج المحاصيل المعدلة وراثياً يتم باستخدام التكنولوجيا

---

(١) العصر الجينومي استراتيجية المستقبل البشري: ص ١٨٨.

(٢) إكثار المحاصيل: الثورة الخضراء وآلاف السنين الماضية، موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، آذار ٢٠٠٣.

(٣) المصدر نفسه.

الحيوية الحديثة، فإن ذلك يدعو إلى مزيد من الاستفسار عما إذا كانت تلك المحاصيل آمنة كمثيلتها التي تنمو باستخدام الطرق التقليدية في الزراعة، وهناك تساؤلاً يفرض نفسه عن الفرق بين إنتاج النباتات بطريقة التربية التقليدية، وإنتاجها باستخدام التكنولوجيا الحيوية، والإجابة على ذلك هي أن الهدف واحد ومتشابه، وهو إنتاج أصناف نباتية متميزة ذات صفات محسنة، تجعلها تنمو بشكل أفضل وذات مذاق مرغوب، أما عن الفرق فينحصر في كيفية تحقيق ذلك الهدف[١].

ولدراسة الموضوع بحيادية لا بد من بيان رأي المؤيدين للهندسة الوراثية النباتية، والمعارضين لها ثم بيان الراجح من كلا الرأيين:

اولاً: راي المؤيدين

يرى المؤيدون للهندسة الوراثية النباتية أن الأبحاث الخاصة بالنباتات المعدلة وراثياً والمنتجات المشتقة منها والتي تم تطويرها وتسويقها حتى الآن وما تلاها من إجراءات معتادة لتقييم المخاطر المحتملة لإنتاجها، لم تظهر تلك الأبحاث أية مخاطر جديدة على صحة الإنسان والبيئة، بخلاف الشكوك المعتادة، مثلها في ذلك مثل النباتات المنتجة بطريقة التربية التقليدية، وفي الواقع، أن استخدام تكنولوجيا حديثة ودقيقة، بالإضافة إلى الفحص المستمر، يؤدي إلى الحصول على نباتات أكثر سلامة على الصحة، ربما أكثر من استخدام النباتات التقليدية. ونظراً لأنه لم تظهر أو تتضح حتى الآن أية مؤثرات على البيئة، لذا وجب أن نتحرى ذلك بواسطة وسائلنا الرقابية[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) «المفوضية الأوروبية ـ أكتوبر ٢٠٠١» «*October 2001, European Commission*»
ينظر: هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثيا آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

فمنذ زمن بعيد، ونحن نستهلك الحمض النووي DNA من خلال أنواع غذائية متعددة المصادر، مما يوضح أن هذا الاستهلاك لم يظهر أية أخطار على صحة الإنسان، كما أن تلك الإضافات للحمض النووي المعدل وراثياً لم تظهر أي تأثيرات ضارة[١].

إن الغذاء والمنتجات الغذائية التي تحتوي على الحمض النووي الجديد المعدل وراثياً لم تعد تمثل أي خطورة بيئية، ولا تتسبب في أي تأثيرات سمية غير متعمدة، بخلاف المتواجدة في النباتات المنتجة بطريقة التربية التقليدية[٢].

يرى بعض العلماء إنه لا يوجد سبب واضح في أن نفترض أن عملية إنتاج الغذاء باستخدام التكنولوجيا الحيوية تؤدي إلى مخاطر ذات طبيعة مختلفة عن تلك المخاطر المألوفة لعلماء السموم، أو عن التي يمكن أن تنشأ بسبب استخدام الطريقة التقليدية في تربية النباتات.

لقد تم إجراء اختبارات متعددة على الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً بصورة لم يسبق لهل مثيل، وذلك قبل أن تصل إلى الأسواق، حيث تم تقييم تلك النباتات وفقاً لمنهج إرشادي تم إصداره من عدة منظمات علمية دولية مثل منظمة الصحة العالمية، منظمة الأغذية والزراعة، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية[٣].

---

(١) «الجمعية الملكية ـ فبراير ٢٠٠٢» «*The Royal Society, February 2002*» ينظر: هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

(٢) «المعهد الأمريكي لعلماء تكنولوجيا التغذية ـ أكتوبر ٢٠٠١» «*USInstitute of foodTechnologists, October 2001*» ينظر: هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

(٣) بحث لجمعية علوم السموم ـ ٢٠٠٢ «*Societyof Toxicology Position Paper,*»

ومن القواعد الخاصة بتلك المناهج الارشادية هي كالتالى:

* أن تكون المنتجات الغذائية المعدلة وراثياً يمكن التحكم فيها بنفس الطريقة المتبعة مع الأغذية الأخرى التقليدية، وأن تكون المخاطر المحتملة لتلك الأغذية المحورة لها نفس طبيعة تلك الأغذية التقليدية.

* أن يتم إجراء اختبارات على تلك المنتجات المعدلة وراثياً، كل على حدة، من حيث الأمان، التسبب في الحساسية، السمية، القيمة الغذائية، فضلاً عن معرفة الطرق والتقنيات المستخدمة في إنتاج تلك المنتجات.

* أن تخضع أي مادة مضافة إلى الغذاء باستخدام التكنولوجيا الحيوية للرقابة، وأن يتم التصديق عليها قبل وصولها إلى الأسواق، مثلها في ذلك كالمواد المضافة لأي غذاء جديد مثل المواد الحافظة والألوان[1].

ويرى المؤيدون أن استخدام المحاصيل المعدلة وراثياً في العالم المتقدم قد أدى إلى الفوائد الآتية:

* الإنتاجية العالية للمحصول.

* خفض التكاليف الزراعية.

* زيادة أرباح المحصول.

* تحسن الظروف الصحية والبيئية.

2002، ينظر: هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

(١) بحث لجمعية علوم السموم ـ ٢٠٠٢ ,*Society of Toxicology Position Paper* *2002*. ينظر: هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

وقد أثبت الجيل الأول من المحاصيل المعدلة وراثياً قدرته على خفض التكاليف الزراعية، وحالياً تتجه الأبحاث إلى الجيل الثاني من تلك المحاصيل والتي سوف تتميز بزيادة القيمة الغذائية، فضلا عن فوائدها المباشرة على المستهلك، ومن أمثلة ذلك:

* إنتاج أرز غني بالحديد وفيتامين (أ).

* إنتاج بطاطس ذات محتوى مرتفع من النشا.

* إنتاج ذرة وبطاطس محتوية على تطعيمات تؤخذ عن طريق الفم.

* إنتاج ذرة لها قدرة على النمو في ظروف بيئية فقيرة.

* إنتاج زيوت آمنة على الصحة مستخلصة من فول الصويا وغيره[١].

* جعل المحاصيل مقاومة للأمراض والحشرات وبالتالي الحد من استخدام المبيدات وزيادة الإنتاجية.

* تعديل مكونات المحاصيل لكي تكون أفضل للاستخدام في الأغذية.

* التعديل في صفات النبات ليناسب الأساليب الزراعية الحديثة أو جعلها أكثر تحملاً للظروف البيئية الصعبة مثل الملوحة والجفاف والصقيع.

* تعديل صفات الثمار بحيث تصبح أكثر جودة وقدرة على تحمل عمليات النقل والتخزين.

---

(١) أسئلة وأجوبة حول المحاصيل المعدلة وراثياً، مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية ـ مصر.

* إزالة بعض الصفات السيئة من بعض المحاصيل.

* تحسين القيمة الغذائية للمحاصيل والثمار.

* جعل المحاصيل مقاومة لمبيدات الأعشاب[1].

ويؤكد المؤيدون للأطعمة المهندسة وراثياً أنه يتم تفحص جميع الأطعمة المعدلة وراثياً للتأكد من خلوها من السموم.. مع الوضع في الاعتبار أن الطعام العادي نفسه غير آمن ١٠٠٪، ولا نضمن سلامته من السموم ومسببات السرطانات، بل ومن خلال الهندسة الوراثية يمكن إزالة مسببات الحساسية من المنتجات المعروفة بذلك مثل: السوداني، الدقيق، اللبن، السمك والبيض... وغيرها، كما أنها تساعد على إعطاء الخضار والفاكهة حياة أطول وقدرة على تحمل النقل والمبردات الفريزر.

ومما يشيدون به ما أحدثته الهندسة الوراثية من ثورة بتطوير ما يُسمى بالنبات المصل، وفيه تعدل الفاكهة والخضر جينياً لإنتاج لقاحات لبعض الأمراض المستعصية في العالم الثالث والدول النامية. (مثل الموز الجيني المضاد للإسهال، الطماطم المضادة لداء الكلب، الأرز المضاد للعمى والتبغ المضاد للتسوس)[2].

ثانياً: رأي المعارضين

يقدر العلماء أن المزروعات المعدلة وراثياً ستكون أكثر مقاومة لمبيدات الأعشاب، وسيؤدي ذلك بالتالي إلى مضاعفة استخدام هذه المبيدات

---

(١) هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

(٢) الهندسة الوراثية.. تلهو بغذائك، نهى سلامة منتديات وهج، في ٢٥/١٢/٢٠٠٩.

العشبية، وهو ما يؤثر على البيئة تأثيراً شديداً ويؤثر بالسلب على صحة الإنسان، كما سيكون لهذه المحاصيل القدرة على إنتاج مبيداتها الحشرية الذاتية، وهو ما يؤدي لإدخال المزيد من المبيدات في غذائنا وحقولنا أكثر من أي وقت مضى، من الممكن أن تؤدي تقنيات التحوير الوراثي لحدوث طفرات غير متوقعة في الكائن المحور وراثياً قد تنطوي على تخلق مستويات جديدة وعالية من السموم في الغذاء، وقد تؤدي إلى استحداث حالات من الحساسية غير المعروفة، ولا يمكن التنبؤ بها لدى تناول مثل هذه الأغذية من الممكن في بعض الأحيان أن يحدث اضطراب في عمل الجينات فلا تعمل الجينات المتحولة المدمجة في النباتات بالصورة المتوقعة تماماً وهذا العبث الوراثي من شأنه أن يحمل للبشر خطراً كبيراً وكامناً يتوجب علينا أن نعيه بدقة وعناية من المتوقع أن تؤدي تقنيات الخلط الجيني إلى فوضى كبيرة شاملة فيما يتعلق بالقواعد الدينية المنظمة لتناول الطعام التي تحض عليها معظم الأديان السماوية يحذر المعارضون من أن هذه الفوضى الجينية من الممكن أن تقضي إلى أنواع أخرى من النباتات غير المحصولية تقضي بدورها على أمم أخرى من الحشرات لها دورها الذي تلعبه في التوازن البيولوجي(١).

يرى المعارضون أن هذه المنتجات الزراعية تضر بصحة الإنسان والبيئة وتؤثر على مستقبل البشرية، وأن الدول والشركات التي تتبنى هذه النوعية من الزراعة تضحى بصحة البشر في سبيل إنتاج فواكه وخضروات أكبر حجماً وأغزر محصولاً ولا يحركها سوى الجشع والسعي وراء الأرباح الخيالية اتهم وزير البيئة الفرنسي التقنيات الحديثة بأنها ستدمر صحة

(١) النباتات المعدلة وراثياً . . والبيئة، د. نهلة بركات، على الموقع: www.slidefinder.net/g/genetically...20plants...20environment/10694795.

الإنسان وأن عملية التلاعب بالهندسة الوراثية أخطر من القنبلة الذرية شنت جمعيات حماية المستهلك والدفاع عن الغذاء الطبيعي حملة ضد الأغذية المهجنة وطالبت سلاسل المحلات التجارية في بريطانيا بوقف بيع هذه الأغذية وقد دعا الأمير تشارلز ـ ولي عهد بريطانيا إلى نقاش حول هذه القضية(١).

هذا الخلاف أدى إلى زيادة مشكلات تحرير التجارة الدولية في السلع الزراعية إلى الحد الذي جعل البعض يتنبئون بحروب تجارية بين دول العالم بسبب هذه القضية، ويتوقعون خسائر كبيرة للدول المنتجة لهذه المنتجات الزراعية بسبب قيام المستهلكين باتخاذ مواقف مناهضة ومقاطعتهم لهذه السلع الزراعية(٢).

ويرى فريق المعارضين للنباتات المعدلة وراثياً أن هذه النباتات تعتبر من مسببات الحساسية (بروتين يتسبب في حدوث حساسية) والتي تتعلق بالنباتات المعدلة وراثياً، هي أكثر ما يثير مخاوف الناس كافة، حيث إن تلك المسببات يمكن أن تتواجد في المنتج الغذائي بمحض الصدفة.

فهذا مجمل ما قاله المعارضون للهندسة الوراثية النباتية، ويمكن القول إن الرأي الأول يتوافق مع ما حباه الله للإنسان من العلم والله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم، فإذا استطاع الإنسان بهذا العلم أن يحسن من إنتاج بعض المحاصيل الزراعية فلا مانع منه ما دام العمل لا يصادم الشرع ولا يضر بالإنسان، هذا وقد صدر قرار من مجمع الفقه الإسلامي في دورته

---

(١) النباتات المعدلة وراثياً.. والبيئة، د. نهلة بركات، على الموقع: www.slidefinder.net/g/genetically...20plants...20environment/10694795.

(٢) المصدر نفسه.

الخامسة بخصوص الهندسة الوراثية عموماً، ومن ضمن فقرات ذلك القرار الفقرة المتعلقة بالاستفادة من الهندسة الوراثية في الزراعة، جاء في الفقرة السادسة: يجوز استخدام أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله في حقل الزراعة وتربية الحيوان شريطة الأخذ بكل الاحتياطات لمنع حدوث أي ضرر ولو على المدى البعيد بالإنسان أو بالحيوان أو بالبيئة[١].

ومما يدعو إلى التفاؤل أن العلماء على علم بكل أنواع الطعام الذي يسبب الحساسية عند الكبار والأطفال. ويتضح ذلك في أن حوالى ٩٠٪ من الغذاء المسبب للحساسية يتحد مع ثمانية أغذية أو مجاميع غذائية تتمثل في:

المحار، البيض، السمك، اللبن، الفول السوداني، فول الصويا، أحد أنواع المكسرات، والقمح.

وتعتبر تلك الأغذية الثمانية وغيرها من الأغذية المسببة للحساسية معروفة ومحددة الصفات، ومن المستبعد تماماً أن تدخل تلك الأغذية ضمن الأغذية المعدلة وراثياً، ومن ناحية أخرى يعتبر حدوث الحساسية مؤشر هام لاختبارات سلامة الغذاء المعدل وراثياً، وذلك قبل أن يصل إلى الأسواق، وتتميز مسببات الحساسية بعدة خواص منها أنها تظل مستقرة أثناء عملية الهضم، وتتواجد بوفرة في الغذاء المسبب للحساسية[٢].

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية ـ بإشراف د. عبد الله الفقيه: ٨/٤٤٩٨) رقم الفتوى ٥٥٤٥٢، لا بأس باستخدام علم الهندسة الوراثية في المحاصيل الزراعية بضوابط، تاريخ الفتوى: ٢٥ رمضان ١٤٢٥.

(٢) هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

وجدير بالذكر أن البروتين الموجود في الأغذية المعدلة وراثياً والمتوافرة في الأسواق، لا يحمل تلك الصفات السابق ذكرها، كما أنه قد تم أخذه من مصادر معروف عنها عدم تسببها في حدوث حساسية أو سمية، ولهذا البروتين وظائف معروفة تماماً، ويتواجد بنسبة صغيرة في الغذاء المعدل وراثياً، كما أن نسبة تواجده تتضاءل في المعدة، وقد تم التأكد من سلامته في الدراسات التي أجريت عليه، أمّا بالنسبة للجينات ذاتها، فإن الحمض النووي DNA والذي يحمل المعلومات الوراثية، فهو يتواجد في كل أنواع الغذاء سواء كانت نباتية أو حيوانية، ولا يرتبط تناوله بأي أعراض مرضية[1].

لذا فإني أراى أن لا مانع من استخدام معطيات العلم الحديث كالهندسة الوراثية في النبات شرط أن تكون العملية آمنة دون أضرار متحققة أو محتملة، والله أعلم.

(١) المصدر نفسه.

المطلب الثاني:

الهندسة الوراثية والثروة الحيوانية

هناك حيوانات أولية كثيرة تستنسخ نفسها بأمر الله، مثل البمتريا والخميرة وكلاهما يتكاثر تكاثراً لا جنسياً أو لا تزاوجياً، ففي البكتيريا مثلاً تتكاثر الخلايا بطريقة تسمى الانشطار حيث تبدأ نواتها في الاستطالة مع الاختناق من الوسط ويرافق ذلك تخضر تدريجي لبقية مكونات الخلية البكتيرية كالسيتوبلازم والجدار إلى أن تنشطر الخلية الواحدة إلى خليتين متساويتين تشبهان الخلية الأصلية، وبعد ٢٠ دقيقة تبدأ كل من الخليتين الجديدتين بالانشطار مرة أخرى إلى أربع خلايا بكتيرية وهكذا يتضاعف العدد إلى ملايين الخلايا البكتيرية وهي نسخ طبق الأصل من الخلية الأولى، وهناك الاستنساخ المقصود الذي يتم بواسطة البشر(١).

ففي عام ١٩٩٦، تم إجراء عملية ناجحة لاستنساخ أول حيوان في العالم وهو عبارة عن نعجة أطلق عليها اسم دوللي، فقد تمكن العالم

---

(١) ينظر: الاستنساخ قنبلة العصر: د. صبري الدمرداش: ص ٨٠ .

الاسكتلندي البروفيسور يان فيلموت وفريقه البحثي في معهد روزلين في العاصمة الاسكتلندية أدنبرة من استنساخ النعجة دوللي بالطريقة اللاجنسية من خلية بالغة، وذلك بعد فشل أكثر من ٢٨٠ محاولة على مدى سنوات طويلة[١].

وأثارت عملية استنساخ (دوللي) من خلية بالغة ضجة إعلامية كبيرة في جميع أنحاء العالم، وبخاصة في الأوساط الطبية التي راح بعضها يتحدث عن ضرورة بدء تجارب استنساخ البشر، وهو ما أحدث بدوره نقاشاً حاداً حول ما إذا كانت عمليات استنساخ الكائنات الحية هذه تستند إلى أسس دينية وأخلاقية أو تتعارض معها[٢].

ولكن في الوقت الذي كان فيه هذا الجدل مستمراً دون أن يتم التوصل فيه إلى نتيجة واحدة، طالعتنا الصحف بهذا الخبر الأقرب منه إلى النعي، والذي يقول:

أعلن معهد روزلين في العاصمة الاسكتلندية أنه تم تنفيذ عملية القتل الرحيم بالنعجة المستنسخة دوللي بعد ست سنوات على ولادتها عبر عملية استنساخ، وذلك إثر معاناة طويلة مع البدانة المفرطة والشيخوخة المبكرة ثم من مرض رئوي عضال، ورئي في النهاية أن الحل الوحيد لمواجهته هو إنهاء معاناة النعجة وقتلها[٣].

وقد سبق استنساخ النعجة دوللي بطريقة النواة أو ما يسمى بالاستنساخ

---

(١) دوللي.. من الميلاد.. إلى القتل الرحيم، جريدة الأهرام، السبت، ١٣/ ذو القعدة/ ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٥/ ديسمبر/ ٢٠٠٤ م العدد ٤٣١١٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

الجسدي، العديد من التجارب بدأت منذ العام ١٩٥٢ م حسبما أورد بعض الباحثين عندما قام العالمان (روبرت بريجز وتوماس كنج) بنسخ أول ضفدع من خلايا شرغوف هو فرخ الضفدع ويسمى أيضاً أبو ذنيبة وكانت هذه أول محاولة للاستنساخ الجسدي[١].

يطلق على هذا النوع من الاستنساخ تسميات عدة منها: النسخ الجنيني ـ الاستنساخ الجنيني ـ استنساخ الأجنة ـ (تجزئية الأجنة)، توأمة الأجنة ـ الاستتآم ـ وكلها تسميات لتقنية واحدة يؤدي تطبيقها إلى إنتاج عدة أجنة من جنين واحد فقط، وفي روسيا أعلن عن قيام أحد المعامل التابعة لجهاز المخابرات الروسية (KGB) باستنساخ اثنين من الكلاب في منتصف السبعينات، وقد تم بهذه الطريق استنساخ ٤٧٠ عجل بقري عام ١٩٩٧ م من حيوان منوي واحد وبويضة واحدة على يد علماء جامعة (مينوس) في أستراليا وبطريقة مبتكرة أدخلوا كل خلية جنينية من اللقيحة في بيضة منزوعة النواة فأنتجت هذا العدد الوافر، كما قام الباحثون في ولاية (أريغون) الأمريكية باستنساخ قردين عن طريق الاستنساخ الجنيني عام ١٩٩٧ م[٢].

ليس الإكثار الاصطفائي بالبدعة الجديدة، فلقد شجع الإنسان على الدوام التزاوج بين الحيوانات الممتازة وكذلك بين السلالات المختلفة التي تتمتع بسمات فردية أراد الجمع بينها خدمة لأغراض الأغذية والزراعة، كما أن استخدام التكنولوجيا الإحيائية التناسلية في الإكثار الحيواني ليس بالأمر المستحدث أيضاً، فقد شاع استخدام التلقيح

---

(١) ينظر: الاستنساخ قنبلة العصر: د. صبري الدمرداش: ص ٨٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: الاستنسال البايولوجي: ص ١٠٨

الصناعي منذ نحو ٥٠ عاماً، وهناك أنماط قيد الاستخدام من التحكم الوراثي التي لا تشتمل على تعديلات مباشرة للمورّثات، وهو ما ينطبق على الحيوانات، والأسماك، والمحاصيل[١].

غير أن الهندسة الوراثية قد وصلت الآن إلى ميدان الإكثار الحيواني، ومن أوجه الاستخدام الواضحة المقبلة العمل على زيادة إنتاج اللبن، واللحم، والبيض، وتعزيز المناعة إزاء الأمراض، والاستعمال الكفوء للأعلاف، وتدعيم القدرة على تحمل البيئات القاسية، وفي الحقيقة فإن هذه هي بالضبط السمات التي التمسها المزارعون في حيواناتهم على مدى آلاف السنين[٢].

ولكن التطبيقات الأولى لهذه التقنيات قد تتعلق بالبنود غير الغذائية، وعلى سبيل المثال يجري العمل على إقحام مورّثة في النعاج تدفع ضروعها إلى إنتاج بروتين حريري يمكن تصنيع الحرير العنكبوتي منه، وهذا الحرير المتسم بالنعومة والمتانة بدرجة فائقة يمكن أن يُستخدم لأغراض مفيدة مثل الدرز الجراحي. كما قد يصبح بالمستطاع قريباً تعديل أعضاء الحيوانات بحيث يمكن زرعها في الإنسان. وقد تغدو الحيوانات قادرة على إنتاج المركَّبات الضرورية للتحصين والمعالجة[٣].

ومن المحتم أن تظل مسألة استخدام الهندسة الوراثية في تعديل الحيوانات مثاراً للجدل. وعلى وجه الخصوص فإن الآراء المتصلة

---

(١) الحيوانات منتجات غير متوقعة، صدر في مارس/آذار ٢٠٠٣ الموقع: منظمة الأغذية للأمم المتحدة.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

بالجوانب الأخلاقية وبأوضاع الحيوانات ستتسم بالحدة وستؤثر على المناصرين والمعارضين على حد سواء[1].

يمكن أن يؤدي التعديل الوراثي إلى جعل الإكثار الاصطفائي للأسماك مثلاً عملية ذات قدرة إنتاجية هائلة، إذ شهدت أنشطة تربية الأحياء المائية توسعاً هائلاً في السنوات الخمس والعشرين الماضية، مما وفر مصدراً جديداً رائعاً للبروتين، وقد تحقق الجانب الأعظم من التقدم في البلدان النامية، ويتركز قدر كبير من بحوث تعديل المورِّثات على أنواع الأسماك التي تربى على نطاق واسع في البلدان النامية مثل الشبوط[2].

ولقد شارف عهد الأسماك المعدَّلة وراثياً على الانطلاق، إذ تنظر إدارة الأغذية والعقاقير في الولايات المتحدة وإدارة الأسماك والمحيطات في كندا في أمر الموافقة على طرح أسماك السلمون سريعة النمو في الأسواق. وإلى جانب ذلك فإن العلماء الكنديين يجرون بحوثاً على أسماك التيلابيا لدفعها إلى إنتاج الأنسولين اللازم لمرضى السكري[3].

وفي الوقت ذاته فإن المورِّثات السمكية تجد طريقها إلى اليابسة. إذ يجري نقل مورِّثة بروتين منع التجمد من الأسماك المفلطة القطبية إلى المحاصيل الغذائية بعد أن كانت قد نُقلت إلى السلمون الكندي، وفي بريطانيا يجري نقل مورِّثة من مورِّثات أسماك السلمون التي تتحكم بفقد الكالسيوم إلى الأرانب، وما تزال هذه الجهود في نطاق الاختبارات، غير

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأسماك المجازفة عالية، صدر في مارس/آذار ٢٠٠٣ الموقع: منظمة الأغذية للأمم المتحدة.

(٣) المصدر نفسه.

أن من الواضح أن الأسماك تحتل موقعاً بارزاً في ثورة المورّثات[١].

وتنقل الدكتورة أميمة خفاجي ما توصلت إليه في دراستها التي استغرقت ٨ سنوات في الخارج على الأسماك فقط من ناحية مقاومة التلوث بشتى ألوانه والطرق العلمية لتحديد الجرعات الآمنة لأي مادة ملوثة وتقول: الأهم من هذا هو كيفية الحصول على أسماك محوره وراثياً لمقاومة ظروف البيئة المحيطة ونقل الجينات التي تساعد على سرعة نمو الأسماك مما يسهم في زيادة الإنتاج، وللعلم فإن نقل الجينات يستخدم الآن بشكل كبير في الأسماك للحصول على كائنات محورة وراثياً والتي ستصبح بدورها مفاعلات حيوية لإنتاج كميات كبيرة من البروتينات مما سيحدث تغييراً جوهرياً في الزراعة المائية، كما سيعطي الفرصة لاستخدام الأسماك كنماذج تجريبية في مجالات بيولوجيا التكاثر والسميات وبحوث السرطان ومقاومة الأمراض والظروف البيئية القاسية، ومن أهم الإنجازات التي تمت على نقل الجينات في الأسماك هو زيادة الوزن والإسراع من معدل النمو بالإضافة إلى مقاومة الأسماك لبعض الأمراض والظروف البيئية مثل الجفاف والتجمد والملوحة[٢].

إن تلك الكائنات الحيوانية والنباتية لا تدرك كما يدرك الإنسان ولهذا فالأمر عندها سيان أي أنها لا تستطيع أن تقيم وزناً بين التكاثر الجنسي والتكاثر اللاجنسي[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الثروة السمكية مهددة.. والهندسة الوراثية هي الحل، أحلام الزيدي، جريدة الأهرام، الأحد، ١٨/ جمادى الأولى/ ١٤٢٠هـ الموافق، ٢٩/أغسطس/١٩٩٩ م العدد: ٤١١٧٣.

(٣) التبؤ العلمي ومستقبل الإنسان: ٦٧.

وقد امتدت يد الهندسة الوراثية إلى الحيوانات خاصة الثديية منها بشكل غير طبيعي مما أدى إلى ظهور حيوانات تسمى الحيوانات الثديية (المهندسة) وراثياً ومن تطبيقات ذلك ما يلي:

١ ـ الحصول على أغنام وأبقار تحتوي الجين المسؤول عن إنتاج الحليب البشري.

٢ ـ وقد تم حديثاً استنساخ النعجة (بولي) المعدلة وراثياً تحمل جيناً بشرياً مفيداً من الناحية الطبية حيث تنتج بروتيناً في الدم يستخدم في علاج تليف المثانة.

٣ ـ وهناك محاولات لاستزراع بعض الجينات الخاصة ببعض الأنسجة والأعضاء البشرية ضمن التكوين الجيني لبعض الحيوانات الثديية خاصة والخنازير والأغنام ومن ثم استخدامها كقطع غيار في حالة زراعة الأعضاء في الإنسان(١).

وهناك أمثلة حية على أهمية استنسال بعض الكائنات لصفاتها النادرة من أمثلة ذلك الثور الممتاز المسمى (جو) الأبّهة أو المفخرة الذي بيع بمبلغ (٢،٠٠٠،٥٠٠) دولار واشتراه د. س. باسولو من كاليفورنيا من شركة بيفالو لتربية الماشية (البرتا ـ كندا) وكان ذلك يوم ٩/ سبتمبر/ ١٩٧٤ م وهذا المبلغ الخيالي لم يدفع هكذا جزافاً بل إن الثور له صفات وراثية ممتازة ولا يجاريه فيها أي ثور آخر، مثل هذا الثور (الكنز) يستحق البعث من جديد، ليس نسخة واحدة بل مئات والآف النسخ، إذ تكفي قطعة من نسيجه الحي، للحصول على مئات أو آلاف

---

(٤٩١) ينظر: اطفال الانابيب: ٧١-٧٢

النسخ من (جو) الأصيل، وبكل صفاته الممتازة[1].

وبقرة اسمها (بيتشرأرلندا الين) استطاعت أن تدر لبناً بحالة مستمرة حتى وصل ما درته إلى ٢٥ طناً! وبقرة أخرى واسمها (جولي هيل جانا الثانية) أنتجت في عام واحد ١٥٠ طناً من اللبن! كل هذه الحيوانات الممتازة التي قل أن يجود الزمان بمثلها وقل أن تأتي بنفس نقاوتها الوراثية عن طريق التكاثر الجنسي يجب أن تكون الهدف الذي تتركز عليه التجارب لتنشئ منها آلاف النسخ التي تشبه الأصل تماماً[2].

وهذا هو التفاؤل العلمي لدى العلماء ولكن إذا ما تصورنا إنتاج قطيع كبير من الأغنام أو الأبقار، فإن ردود أفعال القطيع بكامله تجاه تأثير ما (عوامل البيئة خاصة) سيكون واحداً وستصاب الأفراد كافة بالأمراض نفسها، أي أن القدر الطبيعي للقطيع بكامله سيكون واحداً، فيأتيه إما بالنفع أو بالضرر وغالباً ما يأتيه بالضرر، ولو كان غير ذلك لما أخفق التوالد اللاجنسي في الطبيعة التي هي الحقل الأول والأخير لاختبار الفعل البيولوجي[3].

(١) التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان: ٦٧ ـ ٦٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ينظر: بيولوجيا الاستنساخ، د. هاني رزق: ص ٧٩.

المطلب الثالث:

الهندسة الوراثية والبيئة

البيئة لفظة شائعة الاستخدام ويرتبط مدلوها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى، والبيت بيئة والمدرسة بيئة والحي بيئة والقطر بيئة والكرة الأرضية بيئة والكون كله بيئة، ويمكن أن ننظر إلى البيئة من خلال النشاطات البشرية المختلفة فنقول البيئة الزراعية والبيئة الصناعية والبيئة الثقافية والبيئة الصحية وهناك أيضاً البيئة الاجتماعية والبيئة الروحية والبيئة السياسية(١) . . .

ويمكن تعريف البيئة بأنها: الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر(٢).

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط: [١ / ٧٥]، البيئة ومشكلاتها، تأليف: رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٧٩ م برقم (٢٢): ص ١٤.

(٢) البيئة ومشكلاتها: ص ٢٤ ـ ٢٥.

يعتبر تزايد عدد السكان، وارتفاع درجة الحرارة في العالم، وتناقص التنوع الحيوي عوامل مؤثرة بشدة على البيئة. ومن المتوقع أن يصل عدد السكان على كوكب الأرض إلى ثمانية بليون شخص بحلول عام ٢٠٢٠، وهذا معناه أنه في خلال العشرين عاماً القادمة سيزيد عدد السكان بمقدار اثنين بليون شخص. ويتضح من ذلك أن إطعام هذا العدد من السكان يتطلب تغير هائل في الإنتاج والتوزيع وتوفير المنتجات الغذائية.

والمحاصيل المعدلة وراثياً هل تعد آمنة على البيئة؟ يمكن اعتبار تأثر البيئة بزراعة المحاصيل المعدلة وراثياً أمراً يصعب تقييمه حيث يوضع في الاعتبار عوامل كثيرة، فنجد أن بعض العلماء يوجهون اهتمامهم إلى المخاطر المحتملة للمحاصيل المعدلة وراثياً، بينما نجد الآخرين يركزون على فوائدها.

ولم يعد دافع الخوف اليوم مجرد التلوث البيولوجي مصدر التخمر أو العفن أوالتكاثر الميكروبي أو انتشار الأمراض المعدية فهذا التلوث الذي تحدثه الطبيعة يعالج نفسه بنفسه نظراً لأن التنقية الذاتية للمياه بفضل أشعة الشمس سرعان ما تضع حداً لتكاثر الجراثيم الممرضة، وعلى هذا فإن أشكال التلوث هذه تضل عموماً محصورة في أماكن نشوئها على مقربة من التجمعات البشرية[١].

أما اليوم فقد أصبح التلوث تلوثاً كيميائياً ولم يعد كما يلاحظ بحق ج. تيرنسيين مجرد أقذار موضعية بل أصبح تدنيساً عاماً للطبيعة من حيث إن

(١) عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، تأليف جان ماري بيلت، ترجمة: السيد محمد عثمان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٩٤ م، برقم (١٨٩): ٥٦ ـ ٥٧.

آثارها يتسع نطاقها على نحو لا يمكن التبؤء به أحياناً ذلك أن الأمر يتعلق بانتشار بطيء ومستتر ومتواصل في الهواء والماء والتربة لجزيئات شتى تنتج وتتوزع بمقادير متزايدة باطراد وتشكل هذه المواد أمّا نفايات لأنشطة صناعية نتيجة الاحتراق والنفايات النووية والمعادن الثقيلة أو جزيئات كيميائية يستخدمها الإنسان في كفاحه ضد أنواع أخرى ومساعدات كيميائية للزراعة بوجه خاص[1].

ودافع فنتر، الذي عرض خريطة جسمه الوراثية على الإنترنت، عن الهندسة الوراثية وقال إن خطرها على البشرية أقل من خطر تلوث البيئة والتحولات المناخية العاصفة، بل إنه تنبأ بإمكانية التهام غاز ثاني أوكسيد الكربون وذرات السخام، التي تطلقها السيارات بواسطة جراثيم معدلة وراثياً يعود الفضل في تحضيرها إلى الهندسة الوراثية، وقال فنتر أنه يستطيع تصور إمكانية تعديل العالمكله وراثياً في المستقبل إنقاذا للأحياء من الكوارث[2].

تشير أبحاث علمية جديدة إلى أن المحاصيل المنتجة بأساليب الهندسة الوراثية لا تشكل خطراً يذكر على البيئة، وقد ظل دعاة حماية البيئة لفترة طويلة يقولون إن النباتات المعدلة وراثياً قد تختلط مع أنواع أخرى من النباتات وتتحول إلى نباتات ضارة يصعب التحكم فيها وقد تؤدي إلى الإضرار بالبيئة[3].

---

(١) عودة الوفاق: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) عالم أميركي يتصور المستقبل عبر الهندسة الوراثية، إرسال البشر بواسطة البريد الإلكتروني.. ومكافحة التلوث بجراثيم معدلة: كولون (ألمانيا): ماجد الخطيب، الشرق الأوسط: الأربعاء ١٦ محرم ١٤٢٩ هـ ٢٣ يناير ٢٠٠٨ العدد ١٠٦٤٨.

(٣) المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة، موقع BBC.ARABIC.com في ٢/ ١/ ٢٠٠٧.

وهناك فوائد ومضار للنباتات المعدلة وراثياً ويمكن القول إن من الفوائد التي تعود على البيئة من زراعة المحاصيل المعدلة وراثياً ما يأتي:

١ ـ يعتبر الانخفاض الواضح في استخدام مبيدات الآفات احد أهم الفوائد التي تعود على البيئة من زراعة المحاصيل المعدلة وراثياً، مع خفض حجم التفاوت بين المحاصيل والصفات التي تم إدخالها، في عام ٢٠٠٠ تم تقييم الانخفاض في استخدام مبيدات الآفات عالمياً بمقدار ٢٢,٣ مليون كيلو جرام للمنتج النهائي وذلك بسبب استخدام نبات فول الصويا المعدل وراثياً والمقاوم لمبيدات الحشائش، ونبات الشلجم، وأنواع من القطن والذرة، والقطن المعدل وراثياً المقاوم للحشرات، كما أن انتشار الأصناف النباتية المحتوية على Bt والمقاومة للحشرات أدى إلى خفض في استخدام المبيدات الحشرية عالمياً بمقدار ١٤٪[١].

إن خفض استخدام مبيدات الآفات يقلل بشكل فعال من تأثيراتها على نوعية المياه وذلك من خلال تسرب أو ترشيح متبقيات تلك المبيدات على السطح أو وصولها إلى المياه الجوفية، فعلى سبيل المثال نجد أن المياه المتسربة من الحقول الأمريكية المنزرعة بالقطن المعدل وراثياً Bt تعتبر خالية تماماً من آثار المبيدات الحشرية، وذلك وفقاً لدراسة على مدى أربع سنوات لوزارة الزراعة الأمريكية[٢].

٢ ـ يمكن باستخدام المحاصيل المعدلة وراثياً الحصول على إنتاج وفير من أصغر مساحة زراعية، ففى عام ١٩٩٩ في الولايات المتحدة، تم حماية ٦٦ مليون مكيال من الذرة المعدلة وراثياً من الإصابة بحشرة ثاقبات الذرة.

---

(١) المحاصيل المعدلة وراثياً والبيئة. مركز معلومات التكنولوجيا العضوية ـ مصر K4.
(٢) المصدر نفسه.

كما يمكن تقييم المحاصيل المعدلة وراثياً ومدى تأثيرها على البيئة وذلك قبل وصولها إلى الأسواق، ويتم هذا التقييم من خلال الجهات المعنية والمختصة وفقاً لمبادئ ومقاييس وضعها خبراء البيئة من جميع أنحاء العالم. ويقوم بإجراءات تقييم المخاطر كل من المطورون للمحاصيل المعدلة وراثياً، والهيئات المنظمة، والعلماء الأكاديميين. وتتبع معظم الدول إجراءات متشابهة عند تقييم المخاطر المحتملة، مع مراعاة التفاعل بين المحاصيل المعدلة وراثياً والبيئة التي تنمو بها، ويتطلب ذلك معلومات عن الدور الذي يقوم به الجين المنقول ومدى التأثير الذي يحدثه داخل النبات المستهدف[١].

ومن التأثيرات غير المتعمدة للمحاصيل المعدلة وراثياً:

* احتمال التأثير على كائنات حية غير مستهدفة في البيئة.

* احتمال بقاء المحاصيل المعدلة وراثياً مدة أطول من المعتاد في البيئة، أو اقتحامها لبيئات جديدة.

* احتمال انتقال جين من المحاصيل المعدلة وراثياً إلى الاصناف الأخرى بطريقة غير متعمدة[٢].

كما أن الهندسة الوراثية للنبات لا تخلوا من مخاطر فمن المخاطر المحتملة.

١ ـ احتمال حدوث تهجين بين الجين المنقول ونباتات ذات قرابة بالحشائش الضارة، بالإضافة إلى احتمال إنتاج حشائش جديدة، والهجين

---

(١) المحاصيل المعدلة وراثياً والبيئة. مركز معلومات التكنولوجيا العضوية ـ مصر K4.
(٢) المصدر نفسه.

هو نتاج لعملية التربية غير المتعمدة بين المحصول المنزرع ونبات آخر ذو قرابة له[1].

وفي دراسة بدأت في عام ١٩٩٠ واستمرت لمدة عشر سنوات، أوضحت أنه لا يوجد زيادة في المخاطر المحتملة من ناحية غزو المحاصيل المعدلة وراثياً أو بقائها في البيئات البرية.

وقد علق الباحثون على تلك الدراسة بما يلي:

ـ إن تلك النتائج لا تعنى أن التعديل الوراثي لن يؤدي إلى زيادة الحشائش، أو أن النباتات لن تصاب بأي أضرار على الإطلاق، والواقع أنه لا يمكن ترك المحاصيل الإنتاجية دون أن يتم زراعتها، ولذلك فإنه من الأهمية ووفقاً لما تتطلبه الأنظمة، يجب أن يتم تقييم المحاصيل المعدلة وراثياً بشكل منفرد، أو ما يسمى بتقييم كل حالة على حدة.

٢ ـ قد توجد تأثيرات مباشرة على الكائنات الحية غير المستهدفة:

ففي عام ١٩٩٩، أوضح تقرير أن إحدى حبوب اللقاح من نبات الذرة المعدل وراثياً والمقاوم للحشرات، كان له تأثير سلبي على يرقات أبو دقيق Monarch butterfly larvae.

هذا التقرير أدى بدوره إلى ازدياد المخاوف والتساؤلات عن المخاطر المحتملة على يرقات أبو دقيق، وربما على كائنات أخرى غير مستهدفة.

ومن ناحية أخرى، وجه بعض العلماء تحذيراً من تفسير تلك الدراسة، لما تعكسه من أوضاع مختلفة عما هو موجود بالبيئة[2].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المحاصيل المعدلة وراثياً والبيئة. مركز معلومات التكنولوجيا العضوية ـ مصر K4.

وهناك تخوف آخر محتمل من استخدام المحاصيل المعدلة وراثياً، وهو أنها قد تؤدي إلى تطور في مقاومة الحشرة ذاتها للبروتين المستخدم في التعديل الوراثي Bt. وقد تم وضع خطط متطورة للتصدي لتلك الظاهرة، والتعامل معها من خلال الحكومة وقطاع الصناعة والعلماء. وتنفيذ تلك الخطط يتطلب أن يوجد في كل حقل تتم زراعته بالمحاصيل المعدلة وراثياً المقاومة للحشرات ـ مكان يتم فيه زراعة المحاصيل غير المعدلة وراثياً وغير مقاومة للحشرات، حتى تنمو الحشرة دون أن تختار الأصناف المقاومة للحشرات، وبذلك لا يحدث تطور في مقاومة الحشرات.

وهناك تجارب أخرى بشأن التصدي لتلك المقاومة، يتم إجراؤها وتطويرها بواسطة العلماء في جميع أنحاء العالم[١].

---

(١) المصدر نفسه.

المطلب الرابع:

الموقف الشرعي من الهندسة الوراثية النباتية والحيوانية

إن نصوص الشرع وقواعده تقرر حل جميع الأغذية والمطعومات، إلاّ ما استثني منها لخبث فيه، أو لنجاسته، أو لاشتماله على ضرر بمتناوله، أو لورود نصوص الشرع بتحريمه لعلة معينة، ومن النصوص الشرعية الدالة على ذلك، ما يلي:

أولاً: الكتاب الكريم: آيات منها:

١ ـ قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ[1]﴾.

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٤.

قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ[1]﴾.

٣ ـ وقوله جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[2]﴾.

٤ ـ وقوله عز من قائل: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[3]﴾.

٥ ـ وقوله جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ[4]﴾.

٦ ـ وقوله جل شأنه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[5]﴾.

وجه الدلالة من هذه الآيات:

أفادت هذه الآيات أن الله سبحانه أباح الطيب من الأطعمة والأغذية،

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٥.
(٢) سورة الأعراف/ الآية: ١٥٧.
(٣) سورة الأنعام/ الآية: ١٤٥.
(٤) سورة البقرة/ الآية: ٢٩.
(٥) سورة الجاثية/ الآية: ١٣.

وأما ما حرمه منها على هذه الأمة فلخبثه أو نجاسته، أو لأنه ذبح لغير الله تعالى، أو لإضراره بمتناوله، ومن ثم فإن هذه الآيات تدل على إباحة جميع الأطعمة والأغذية بحسب الأصل، إلاّ ما استثني من ذلك لمعنى اقتضى تحريمه[1].

يقول الفخر الرزاي: (إن العرب في الجاهلية كانوا يحرمون أشياء من الطيبات كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامض هم كانوا يحكمون بكونها طيبة إلاّ أنهم كانوا يحرمون أكلها لشبهات ضعيفة فذكر تعالى أن كلما يستطاب فهو حلال وأكد هذه الآية بقوله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[2]﴾، وبقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[3]﴾، واعلم أن الطيب في اللغة هو المستلذ والحلال المأذون فيه يسمى أيضاً طيباً تشبيهاً بما هو مستلذ لأنهما اجتمعا في انتفاء المضرة فلا يمكن أن يكون المراد بالطيبات ها هنا المحللات وإلاّ لصار تقدير الآية قل أحللكما لمحللات ومعلوم أن هذا ركيك فوجب حمل الطيبات على المستلذ المشتهى فصار التقدير أحللكم كلما يستلذ ويشتهى)[4].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي: [٢ / ٢٩٥]، تفسير ابن كثير: [٣ / ٣٢].

(٢) سورة الأعراف/ الآية: ٣٢.

(٣) سورة الأعراف/ الآية: ١٥٧.

(٤) تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب): الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة =

ثم قال: (اعلم أن العبرة في الاستلذاذ والاستطابة بأهل المروءة والأخلاق الجميلة فإن أهل البادية يستطيبون أكل جميع الحيوانات ويتأكد دلالة هذه الآيات بقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ[(١)]﴾ فهذا يقتضي التمكن من الانتفاع بكل ما في الأرض إلّا أنه أدخل التخصيص في ذلك العموم فقال ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[(٢)]﴾ ونصفي هذه الآيات الكثيرة على إباحة المستلذات والطيبات فصار هذا أصلاً كبيراً وقانون مرجوعاً إليه في معرفة ما يحل ويحرم من الأطعمة[(٣)].

ومعنى (خلق لكم) و(سخر لكم): أي من أجلكم ولنفعكم وذلك لأن أصل استعمال الأشياء فيما يراد له من أنواع الاستعمال هو الإباحة حتى يدل دليل على عدمها لأنه جعل ما في الأرض مخلوقاً لأجلنا وامتنب ذلك علينا[(٤)].

ثانياً: السنة النبوية المطهرة:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً

فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م: [١١ / ١١٣].

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعراف/ الآية: ١٥٧.

(٣) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب: [١١ / ١١٣].

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي: [١ / ٢٧١]، التحرير والتنوير [١ / ٣٧٥].

قط، كان إذا اشتهى شيئاً أكله، وإذا كرهه تركه[1].

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم[2].

ومعنى يخنز أي ينتن[3].

وجه الدلالة منهما:

أفاد الحديثان أن رسول الله ﷺ كان يأكل كل طعام قدم إليه، إذا كان يشتهيه ولم يكن محرماً عليه، وأن الأصل أن كل طعام مباح، إلاّ ما حرم الله تعالى على بني إسرائيل بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله تعالى.

ثالثاً: القواعد الفقهية، ومن هذه القواعد:

٣ ـ قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة[4].

٤ ـ يقول ابن القيم: (الأصل في الطعام والماء الحل)[5].

---

(١) صحيح البخاري: [٣ / ١٣٠٦] باب صفة النبي ﷺ برقم (٣٣٧٠)، صحيح مسلم: [٣ / ١٦٣٢]، باب لا يعيب الطعام برقم (١٨٧).

(٢) صحيح البخاري: [٣ / ١٢١٢] باب قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (سورة البقرة/ الآية: ٣٠، برقم (٣١٥٢)، صحيح مسلم: [٢ / ١٠٩٢]، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر برقم (٦٣).

(٣) الصحاح للجوهري: [٤ / ١٥]، تاج العروس من جواهر القاموس [١٥ / ١٤١].

(٤) قواعد الفقه ـ للبركتي [ص ٥٨]، أصول الفقه على منهج أهل الحديث، تصنيف زكريا بن غلام قادر الباكستاني: دار الخراز الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م: [ص ١١٦]، القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير: [١ / ١٤١].

(٥) أعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١ هـ، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م: [٢ / ٤٠٠].

ومقتضي إعمال هاتين القاعدتين: أن يكون كل طعام مباح، إلّا ما ورد نص شرعي بتحريمه لمعنى فيه اقتضى ذلك، فيحرم إعمالاً لهذا النص، وما سواه يبقى على أصل الإباحة.

والأصل في الأغذية المعدلة وراثياً، أنها أغذية أباح الشارع تناولها قبل هذا التحوير؛ لأنها عبارة عن محاصيل زراعية، مثل: الذرة والفول والبنجر والطماطم والبطاطس، ونحوها من البقوليات والنشويات والخضروات المختلفة، والبذور التي يستخرج منها الزيت، والفاكهة، ولم يقل أحد بحرمة تناولها، لورود نصوص الشرع بإباحتها، منها قول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ[1]﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ[2]﴾.

والفوم: وفقاً لبعض الأقوال[3] هو الحنطة وما يخبز من

---

(١) سورة الأنعام/ الآية: ١٤١.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ٦١.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا﴾ فيه ثلاثةُ تأويلاتٍ: أحدها: أنه الحنطة، وهو قول ابن عباسٍ، وقتادة، والسدي، وأنشد ابن عباسٍ مَنْ سأله عن الفوم، وأنه الحُنْطة قَوْلَ أحيحة بن الجُلاح: قَدْ كُنْتُ أَغْنَىَ النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُوم، والثاني: أنَّه الخُبز، وهو قول مجاهد، وابن زيد، وعطاء، والثالث: أنه الثومُ بالثاءَ،

الحبوب[1]، فقد أباح الشارع الأكل من الزروع والثمار عامة في الآية الأولى، وأباح في الثانية تناول البقل والخضر والحبوب التي تخبز كالذرة والقمح والشعير ونحوها، وهذا وغيره دليل على حل تناول هذه الأطعمة.

وتحوير هذه المزروعات وراثياً قد يكون بهدف تحقيق الوفرة في الغذاء، لغرض التصدير إلى البلاد التي تفتقر إلى هذه المنتجات، أو لتحقيق حد الكفاية من هذه الأغذية، بالنسبة لبعض البلاد التي تعاني من ندرة الموارد الطبيعية أو قلتها، مما لا تجد معه الوفاء بحاجة سكانها، أو للقضاء على المجاعات التي تكتنف بعض المناطق في العالم، بسبب نضوب الماء أو فقدان التربة الخصبة لزراعة المحاصيل غير المحورة، أو لوجود طبيعة قاسية لا تنمو فيها الزراعات بالوسائل التقليدية، وأياً ما كان الهدف من التحوير الوراثي لهذه المزروعات، فليس ثمة ما يمنع شرعاً من زراعتها وتناول ناتجها بعد فحصه، وتبين مدى صلاحيته لتناول الآدميين، وعما إذا كان يضر بصحتهم وأراضيهم وبيئتهم أم لا، فإذا تبين إضراره بذلك كان خبيثاً، فيحرم حينئذ استزراعه، وتناوله والإتجار أو التعامل فيه، لقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ

وذلك صريح في قراءة ابن مسعود، وهو قول الربيع بن أنس والكسائي ينظر: النكت والعيون: [١ / ١٢٨ ـ ١٢٩].

(١) تفسير ابن كثير: [١ / ٢٨٠]، تفسير البحر المحيط: العلامة أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان: [١ / ١٩٧]، الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م الطبعة: الأولى: [١ / ٢٠٥]، لسان العرب ٢/ ٤٦٠.

عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ[1]﴾، وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[2]، [3]﴾.

وهذه المزروعات المحورة لم يثبت حتى الآن من طرق موثوق بها، أنها ضارة بالإنسان أو الحيوان أو البيئة، أو مدى حجم الضرر الناشئ عنها، وإنما المنع والتحذير من هذه المزروعات قائم على مجرد توقع أن تضر بالإنسان أو الحيوان أو البيئة، وهذا التوقع وإن كان يقوم على أساس، إلاّ أنه لا يكفي للقول بحرمة استزراع أو تناول هذه المزروعات أو التعامل فيها؛ لأن القاعدة الشرعية تقضى بأن اليقين لا يزول بالشك، وهذه المزروعات قبل تحويرها ثبت باليقين إباحة تناولها شرعاً، ولم يثبت بعد تحويرها ما يقتضي تغيير حكم الإباحة إلى الحرمة، فبقيت على حكم الإباحة استصحاباً للأصل والله أعلم[4].

إن حكم العمل في الصفات الوراثية يرجع إلى نتائجه والمقصود منه، فإذا كان العمل في الصفات الوراثية للحيوان والنبات لتحسينها وزيادة إنتاجها، ولا يترتب على ذلك إفساد لها أو ضرر يلحق المستخدمين والمستهلكين فلا أرى مانعاً شرعياً في ذلك، لأن الله تعالى لما خلق الإنسان لعبادته وحده لا شريك له خلق له ما في الأرض ليكون في خدمته

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٤.

(٢) سورة الأعراف/ الآية: ١٥٧.

(٣) الأغذية المعدلة وراثياً من منظور إسلامي أ ـ د. عبد الفتاح محمود إدريس موقع الجندي المسلم، رقم العدد ١٢٦، في ١/ ١٢/ ٢٠٠٦ م.

(٤) المصدر نفسه.

وعونه على أداء هذه المهمة العظيمة، فقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ[1]﴾.

وأما إذا كان العمل في الصفات الوراثية لمجرد التلاعب والعبث بها أو إفسادها، أو ترتب عليه ضرر يعود على الإنسان أو البيئة، فإنه لا يجوز لما فيه من الفساد والضرر المحرمين شرعاً، قال الله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ[2]﴾، وقال ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)[3]. والله أعلم.

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ٢٠٥.

(٣) تقدم تخريجه.



الفصل الثالث:

البصمة الوراثية والمعالجة الجينية

وفيه ثلاثة مباحث

* **المبحث الأول: البصمة الوراثية وآثارها**
* **المبحث الثاني: المعالجة الجينية**
* **المبحث الثالث: التهجين الجيني**

المبحث الأول:

البصمة الوراثية وآثارها

وفيه ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول: التعريف بالبصمة الوراثية**
* **المطلب الثاني: البصمة الوراثية والنسب**
* **المطلب الثالث: الموقف الشرعي من إثبات النسب أو نفيه عن طريق البصمة الوراثية**

المطلب الأول:

التعريف بالبصمة الوراثية

البصمة لغة: مشتقة من البُصْم وهو: فوت ما بين طرف الخنصر إلى طرف البنصر يقال ما فارقتك شبراً، ولا فتراً، ولا عتباً، ولا رتباً، ولا بصماً. ورجل ذو بصم أي غليظ البصم، وبصم بصماً: إذا ختم بطرف إصبعه، والبصمة أثر الختم بالإصبع[1].

فالبصمة عند الإطلاق ينصرف مدلولها غلي بصمات الأصابع وهي: الانطباعات التي تتركها الأصابع عند ملامستها سطحها مصقولاً، وهي طبق الأصل لأشكال الخطوط الحلمية التي تكسو جلد الأصابع وهي لا تتشابه إطلاقاً حتى في أصابع الشخص الواحد.

وأما في الاصطلاح في عرف المجمع الفقهي البصمة الوراثية بأنها: (البنية الجينية (نسبة إلى الجينات، أي المورثات) التي تدل

---

(١) الصحاح للجوهري: [٦ / ١٥١]، لسان العرب [١٢ / ٥٠]، المعجم الوسيط: [١/ ٦٠].

على هوية كل إنسان بعينه)[1].

وبصمة الجينات هي اختلافات في التركيب الوراثي لمنطقة الإنترون، وينفرد بها كل شخص تماماً وتورث، أي أن الطفل يحصل على نصف هذه الاختلافات من الأم، وعلى النصف الآخر من الأب، ليكون مزيجاً وراثياً جديداً يجمع بين خصائص الوالدين، وخصائص مستودع وراثي متسع من قدامى الأسلاف. وقد وجد أيضاً أن بصمة الجينات تختلف باختلاف الأنماط الجغرافية للجينات في شعوب العالم، فعلى سبيل المثال، يختلف الآسيويون (الجنس الأصفر أو المغولي) عن الأفارقة[2].

ولم تُعرَف البصمة الوراثية حتى كان عام ١٩٨٤ حينما نشر د. آليك جيفريز عالم الوراثة بجامعة ليستر بلندن بحثاً أوضح فيه أن المادة الوراثية قد تتكرر عدة مرات، وتعيد نفسها في تتابعات عشوائية غير مفهومة، وواصل أبحاثه حتى توصل بعد عام واحد إلى أن هذه التتابعات مميِّزة لكل فرد، ولا يمكن أن تتشابه بين اثنين إلاّ في حالات التوائم المتماثلة فقط؛ بل إن احتمال تشابه بصمتين وراثيتين بين شخص وآخر هو واحد في الترليون، مما يجعل التشابه مستحيلاً؛ لأن سكان الأرض لا يتعدون المليارات الستة، وسجل الدكتور آليك براءة اكتشافه عام ١٩٨٥، وأطلق على هذه التتابعات اسم البصمة الوراثية للإنسان The DNA Fingerprint، وعرفت على أنها وسيلة من وسائل التعرف على الشخص عن طريق مقارنة مقاطع (DNA)، وتُسمَّى في

(١) مجلة المجمع الفقهي العدد ١٦/ ٢٩.

(٢) الأساليب الوراثية لإثبات النسب، موقع إسلام أون لاين الثلاثاء http:// www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml في مارس/ ٢٠٠٠ م.

بعض الأحيان الطبعة الوراثية DNA typing[1].

إن من أهم فوائد معرفة بصمات الأصابع الاستدلال بها على مرتكبي الجرائم من خلال ما ينطبع من بصماتهم على الأجسام المصقولة في محل الجريمة، فهي قرينة قوية في التعرف على الجناة، ولقد تجاوزت الاكتشافات الطبية الحديثة معرفة هذه الخاصية من جسم الإنسان إلى اكتشاف خواص كثيرة فيه وإدراك مدي تأثير تلك الخواص في الوراثة عن طريق أجزاء من جسم الإنسان من دم أو شعر أو مني، أو بول أو غير ذلك.

وقد أثبتت التجارب الطبية الحديثة بواسطة وسائل تقنية في غاية التطور والدقة: أن لكل إنسان جينوماً بشرياً يختص به دون سواه، لا يمكن أن يتشابه فيه مع غيره أشبه ما يكون ببصمة الأصابع في خصائصها بحيث لا يمكن تطابق الصفات الجينية بين شخص وآخر حتى وإن كانا توأمين.

ولهذا جري إطلاق عبارة (بصمة وراثية) للدلالة على تثبيت هوية الشخص أخذاً من عينة الحمض النووي المعروف بـ (DNA) الذي يحمله الإنسان بالوراثة عن أبيه وأمه[2].

---

(١) البصمة الوراثية تكشف المستور: نهى سلامة. مقال على موقع إسلام أون لاين على الرابط:
http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml في ١٨/ ١/ ٢٠٠١.

(٢) ويدل على ذلك قول الله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ سورة الإنسان: ٢، والأمشاج أي: أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة. ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م: [٢ / ٣٣٠].

وبهذا الاختلاط اكتسب صفة الاستقلالية عن كروموسومات أي من والديه مع بقاء التشابه معهما في بعض الوجوه، لكنه مع ذلك لا يتطابق مع أي من كروموسومات والديه، فضلاً عن غيرهما.

يقول الدكتور محمد باخطمة: (وتتكون كل بصمة من وحدات كيماوية ذات شقين، محمولة في المورثات وموزعة بطريقة مميزة تفرق بدقة بارعة كل فرد من الناس عن الآخر، وتتكون البصمة منذ فترة الانقسام في البويضة الملقحة وتبقي كما هي حتي بعد الموت، ويرث كل فرد أحد شقي البصمة من الأب والأخر من الأم بحيث يكون الشقان بصمة جديدة، ينقل الفرد أحد شقيها إلى أبنائه، وهكذا)[١].

ويقول الدكتور عبد الهادي مصباح: (الحمض النووي عبارة عن بصمة جينية لا تتكرر من إنسان إلى آخر بنفس التطابق، وهي تحمل كل ما سوف يكون عليه هذا الإنسان من صفات وخصائص، وأمراض وشيخوخة، وعمر، منذ التقاء الحيوان المنوي للأب ببويضة الأم وحدوث الحمل)[٢].

وعلماء الطب الحديث يرون أنهم يستطيعون إثبات الأبوة، أو البنوة لشخص ما أو نفيه عنه من خلال إجراءات الفحص على جيناته الوراثية حيث قد دلت الأبحاث الطبية التجريبية على أن نسبة النجاح في إثبات النسب أو نفيه عن طريق معرفة البصمات الوراثية يصل في حالة النفي إلى حد القطع أي بنسبة ١٠٠٪ أما في حالة الإثبات فإنه فأنه يصل إلى قريب من القطع وذلك بنسبة ٩٩ ٪ تقريباً[٣].

---

(١) مناقشات جلسة المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي عن البصمة الوراثية في دورته (١٥)، ص، ٢٥.

(٢) الاستنساخ بين العلم والدين. د. عبد الهادي مصباح: ص، ١٠٥.

(٣) ينظر: بصمة الوراثة (بصمة الدنا) للدكتور / شعبان العسولي، ضمن ثبت أعمال ندوة

وطريقة معرفة ذلك: أن يؤخذ عينة من أجزاء الإنسان بمقدار رأس الدبوس من البول، أو الدم، أو الشعر، أو المني، أو العظم أو اللعاب أو خلايا الكلية، أو غير ذلك من أجزاء جسم الإنسان وبعد أخذ هذه العينة يتم تحليلها، وفحص ما تحتوي عليه من كروموسومات ـ أي صبغيات ـ تحمل الصفات الوراثية، وهي الجينات، فبعد معرفة هذه الصفات الوراثية الخاصة بالابن وبوالديه يمكن بعد ذلك أن يثبت بعض هذه الصفات الوراثية في الابن موروثة له عن أبيه لاتفاقهما في بعض هذه الجينات الوراثية فيحكم عندئذ بأبوته له، أو يقطع بنفي أبوته له، وكذلك الحال بالنسبة للأم، وذلك لأن الابن ـ كما تقدم ـ يرث عن أبيه نصف مورثاته الجينية، بينما يرث عن أمه النصف الآخر، فإذا أثبتت التجارب الطبية والفحوصات المخبرية وجود التشابه في الجينات بين الابن وأبويه، ثبت طبياً بنوته لهما، وقد تثبت بنوته لأحد والديه بناء على التشابه الحاصل بينهما في المورثات الجينية بينما ينفي عن الآخر منهما، بناء على انتفاء التشابه بينهما في شتي المورثات الجينية[1].

يرى المختصون في المجال الطبي وخبراء البصمات أنه يمكن استخدام البصمات الوراثية في مجالات كثيرة، ترجع في مجملها إلى مجالين رئيسين هما:

= الوراثة والهندسة الوراثية: ١/ ٣٧٦، البصمة الوراثية وتأثيرها على النسب إثباتاً أو نفياً للدكتور نجم عبد الواحد: ص ٤، مناقشات جلسة المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي عن البصمة الوراثية في دورته (١٥): ص ٣.

(١) ينظر: بصمة الوراثة (بصمة الدنا) للدكتور / شعبان العسولي: ١/ ٣٧٦، البصمة الوراثية وتأثيرها على النسب إثباتاً أو نفياً للدكتور نجم عبد الواحد: ص ٤، مناقشات جلسة المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي عن البصمة الوراثية في دورته (١٥): ص ٣.

١ ـ المجال الجنائي: وهو مجال واسع يدخل ضمنه: الكشف عن هوية المجرمين في حالة ارتكاب جناية قتل، أو اعتداء، وفي حالات الاختطاف بأنواعها، وفي حالة انتحال شخصيات الآخرين ونحو هذه المجالات الجنائية[١].

٢ ـ مجال النسب: وذلك في حالة الحاجة إلى إثبات البنوة أو الأبوة لشخص، أو نفيه عنه، وفي حالة اتهام المرآة بالحمل من وطء شبة، أو زنا[٢].

---

(١) ينظر: البصمة الوراثية وتأثيرها على النسب إثباتاً ونفياً، ص ١٣، إثبات النسب بالبصمة الوراثية، ضمن ثبت أعمال الوراثة والهندسة الوراثية (١/ ٤٥٤) ملخص أعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية في إثبات النسب، الكويت، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٠ م: ص ١٩، الموسوعة العربية العالمية (٣/ ٢ ـ ٣٣٤)

(٢) المصدر نفسه.

المطلب الثاني:

البصمة الوراثية والنسب

النسب في اللغة: مصدر نسب، يقال: نسبته إلى أبيه نسباً: عزوته إليه، وانتسب إليه: اعتزى. والاسم: النسبة بالكسر، وقد تضم، قال ابن السكيت: يكون النسب من قبل الأب ومن قبل الأم[1].

والنسب والنسبة اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسب بين بني الإخوة وبني الأعمام وفلان نسيب فلان أي قريبه[2].

والنسب في الاصطلاح هو: القرابة وهي الاتصال بين إنسانين

---

(١) المخصص ـ لابن سيده: [١ / ٣٣١]، المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية: [ص ٣١٠].

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ـ بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ: (١/ ٦٩٦).

بالاشتراك في ولادة قريبة أو بعيدة[1].

وقد حاول بعض الباحثين المعاصرين تعريف النسب بمعناه الاصطلاحي الخاص، وهو القرابة من جهة الأب باعتبار أن الإنسان إنما ينسب لأبيه فقط إذ قال في تعريفه: (حالة حكمية إضافية بين شخص وآخر، من حيث أن الشخص انفصل عن رحم امرأة هي في عصمة زوج شرعي، أو ملك صحيح، ثابتين، أو مشبهين الثابت للذي يكون الحمل من مائه)[2].

وقد أولت الشريعة الإسلامية النسب مزيداً من العناية، وأحاطته ببالغ الرعاية، ولا أدل على ذلك من جعله في طليعة الضروريات الخمس التي اتفقت الشرائع السماوية على وجوب حفظها ورعايتها.

وإن من أجل مظاهر العناية بالنسب في الإسلام أن الله تعالى أمتن على عباده بأن جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، فقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[3]﴾ ولا يتحقق معرفة الشعوب والقبائل، وما يترتب على ذلك من تعارف وتألف إلاّ بمعرفة الأنساب وحفظها عن الاشتباه والاختلاط.

والنسب أقوى الدعائم التي تقوم عليها الأسرة، ويرتبط به أفرادها

(١) نيل المآرب بشرح دليل الطالب لنيل المطالب في الفقه الحنبلي: للامام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تأليف: عبد القادر بن عمر الشيباني، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، ٢٠٠٥ م: (٢/ ٤٠).

(٢) البصمة الوراثية للشيخ د عمر السبيل ـ بحث منشور ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد ١٥ السنة الثالثة عشرة صفحة (٣٩) لسنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

(٣) سورة الحجرات/الآية: ١٣.

برباط دائم من الصلة تقوم على أساس وحدة الدم والجزئية والبغيضة، فالولد جزء من أبيه، والأب بعض من ولده. ورابطة النسب هي نسيج الأسرة الذي لا تنفصم عراه، وهو نعمة عظمى أنعمها الله على الإنسان، إذ لولاها لتفككت أواصر الأسرة، وذابت الصلات بينها، ولما بقي أثر من حنان وعطف ورحمة بين أفرادها، لذا أمتن الله عز وجل على الإنسان بالنسب، فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا[1]﴾. ورعاية النسب أحد مقاصد الشريعة الخمسة[2].

ومن أجل ذلك عني الإسلام أيما عناية بتنظيم العلاقة بين الرجل والمرآة ضماناً لسلامة الأنساب، فحرم الإسلام كل اتصال جنسي يتم على أصول شرعية يحفظ لكل من الرجل والمرأة ما يترتب ما يترتب على هذا الاتصال من آثار، وما ينتج عنه من أولاد، وأبطل جميع أنواع العلاقات التي تعارفت عليها بعض الأمم والشعوب التي انحرفت عن شرائع الله السوية، ولم يبح الإسلام سوى العلاقة القائمة على النكاح الشرعي بشروطه المعتبرة، أو بملك اليمين الثابت، ولذا قال عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ[3]﴾.

ومن مظاهر عناية الإسلام بالنسب أنه شدد النكير، وبالغ في التهديد للآباء والأمهات حين يقدمون على إنكار نسب أولادهم الثابت ويتبرؤون منهم، أو حين ينسبون لأنفسهم أولاداً ليسوا منهم فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ

---

(١) سورة الفرقان/الآية: ٥٤.

(٢) الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ: أ. د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر ـ سوريَّة ـ دمشق، الطَّبعة الرَّابعة: (١٠ / ١) البَابُ الثَّالث: حقوق الأولاد.

(٣) سورة المؤمنون: ٥ ـ ٧.

سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ حِينَ نَزَلَتْ آيَةُ الْمُلاعَنَةِ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَا للهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللهُ فِي جَنَّتِهِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللهُ مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأَوَّلِين وَالآخِرِينَ)[1].

وحرم الإسلام الانتساب إلى غير الآباء حيث قال عليه الصلاة والسلام في معرض التحذير من ذلك، وبيان الوعيد الشديد على فاعله: (مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ)[2].

وأبطل الإسلام التبني وحرمه، بعد أن كان مألوفاً وشائعاً عند أهل الجاهلية وفي صدر الإسلام، يقول عز وجل ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا[3]﴾.

وإنما حرم الإسلام التبني لما يترتب عليه من مفاسد كثيرة لكون المتبني ابناً مزوراً في الحقيقة والواقع، وعنصراً غريباً عن الأسرة التي انضم إليها، ولا يحل له أن يطلع على محارمها، أو يشاركها في حقوقها،

---

(١) سنن أبي داود المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد:[١ /٦٨٨] باب التغليظ في الانتفاء برقم (٢٢٦٣)، مسند الشافعي [ص ٢٥٨] برقم (١٢٥٤)، صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط: [٩ /٤١٨] ذكرت في دخول الجنة عن المرأة الداخلة على قوم بولد ليس منهم برقم (٤١٠٨)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، المستدرك [٢ / ٢٢٠] برقم (٢٨١٤) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [٧ / ٤٠٣] برقم (١٥١١٠).

(٢) صحيح البخاري: [٤ / ١٥٧٢] باب غزوة الطائف، برقم (٤٠٧١)، صحيح مسلم: [١ / ٨٠] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، برقم (١١٥).

(٣) سورة الأحزاب/ الآية: ٥.

إضافة إلى أنه قد لا ينسجم مع أخلاقها، ولا يتلاءم مع طباعها، لإحساسه وإحساس الأسرة بأنه أجنبي عنها[١].

وأبطل الإسلام ما كان في الجاهلية من إلحاق الأولاد عن طريق الزنا، فقال ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»[٢] ومعناه أن الولد يلحق الأب الذي له زوجية صحيحة، علماً بأن الفراش هو المرأة في رأي الأكثر، وقد يعبر به عن حالة الافتراش، وأما الزنا فلا يصلح سبباً لإثبات النسب، وإنما يستحق الزاني العاهر الرجم أو الطرد بالحجارة.

وقد دل ظاهر الحديث على أن الولد إنما يلحق بالأب بعد ثبوت الفراش، وهو لا يثبت إلاّ بعد إمكان الوطء في الزواج الصحيح أو الفاسد، وهو رأي الجمهور، وروي عن أبي حنيفة[٣] أنه يثبت بمجرد العقد؛ لأن مجرد المظنة كافية. ورد بمنع حصولها بمجرد العقد، بل لا بد من إمكان الوطء[٤].

---

(١) ينظر: البصمة الوراثية ومدي مشروعية استخدامها في النسب والجناية تأليف عمر بن محمد السبيل ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) صحيح البخاري: [٢ / ٧٢٤] باب تفسير المشبهات برقم (١٩٤٨)، صحيح مسلم: [٢ / ١٠٨٠] باب الولد للفراش وتوقى الشبهات برقم (٣٦).

(٣) أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، قيل: أصله من أبناء فارس، ولد ونشأ بالكوفة، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثمان قطع للتدريس والإفتاء، وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقاً، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلاً لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته! وكان كريماً في أخلاقه، جواداً، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، توفي ببغداد وأخباره كثيرة. ينظر: سير أعلام النبلاء: [١١ / ٤٧٤]، شذرات الذهب ـ ابن العماد [١ / ٢٢١] الأعلام للزركلي [٨ / ٣٦].

(٤) ينظر: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، المؤلف: محمد =

ونبدأ ببيان الطرق الشرعية لإثبات النسب بياناً مجملاً، دون الدخول في تفاصيل آراء العلماء في بعض الشروط والصور المعتبرة في كل طريق من طرق إثبات النسب.

وطرق إثبات النسب خمسة، وهي: الفراش، الاستلحاق، والبينة، والقافة، والقرعة. فالثلاثة الأول محل اتفاق بين العلماء[1].

وأما الرابع فيه قال الجمهور، وأما الخامس فيه قال بعض أهل العلم، ونبدأ الكلام على كل واحد من هذه الطرق بشيء من الإيضاح على النحو التالي:

أولاً: الفراش:

أجمع العلماء رحمهم الله تعالى على إثبات النسب به بل هو أقوي الطرق كلها، قال العلامة ابن القيم: (فأما ثبوت النسب بالفراش فأجمعت عليه الأمة)[2].

بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية: ٦/ ٢٧٩ وما بعدها، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، تحقيق: ماجد الحموي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م: ٢/ ٣٥٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، (ت ٥٨٧ هـ)، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢ م، بيروت: ٣/ ٢١٢، شرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد، بيروت، دار التراث، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م: ٣/ ٣٠٠.

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت ـ الكويت، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م: ٥/ ٤١٠.

(٢) ينظر: زاد المعاد ٥/ ٤١٠.

والمراد بالفراش: فراش الزوجية الصحيح، أو ما يشبه الصحيح، فالصحيح هو عقد النكاح المعتبر شرعاً، حيث توفرت أركانه وشروطه، وانتفت موانعه، وأما ما يشبه الصحيح فهو عقد النكاح الفاسد، وهو المختلف في صحته، وكذا الوطء بشبهة على اختلاف أنواعها، فإن حكمه حكم الوطء بنكاح صحيح فيما يتعلق بثبوت نسب المولود الناتج عن ذلك الوطء.

فإذا أتت المرأة بولد ممن يمكن أن يولد لمثله لستة أشهر منذ الوطء، أو إن كان الوطء، فإن النسب يثبت لصاحب الفراش إذا ولد حال الزوجية حقيقة، أو حكماً كما في المعتدات، لقوله عليه الصلاة والسلام (الولد للفراش وللعاهر الهجر)[1]،[2].

ويدخل في الفراش عند جمهور العلماء الوطء بملك اليمين، وهو ما يعبر عنه بعض الفقهاء بالاستيلاد، فإذا كان لرجل سُرية يطؤها بملك اليمين، فإنها تعد فراشاً عند الجمهور[3]، أما الحنفية فيرون أن فراش الأمة فراش ضعيف، لا يلتحق الولد بصاحب الفراش إلاّ باستلحاقه له، على تفصيل عندهم في هذا[4].

ثانياً: الاستلحاق:

ويعبر عنه أيضاً بـ (الإقرار بالنسب) وغالباً ما يكون في أولاد الإماء والإقرار بالنسب على نوعين:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البصمة الوراثية: عمر سبيل: ١٥/ ٤٢.

(٣) ينظر: شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل: عبد الباقي يوسف الزرقاني المصري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م: (٤/ ١٨٧).

(٤) ينظر: حاشية ابن عابدين (٥/ ٢٣٠).

الأول: إقرار يحمله المقر على نفسه فقط كالإقرار بالبنوة، أو الأبوة.

الثاني: إقرار يحمله المقر على غيره وهو ما عدا الإقرار بالبنوة والأبوة كالإقرار بالأخوة، والعمومة.

وقد اشترط الفقهاء لصحة الإقرار بالنسب في كلا النوعين شروطاً لا بد من تحققها لصحة الإقرار وثبوت النسب بمقتضاه، فاشترطوا لصحة الإقرار بالنسب على النفس الشروط الآتية:

١ ـ أن يكون المقر بالنسب بالغاً، عاقلاً، فلا يصح إقرار الصغير، ولا المجنون، لعدم الاعتداد بقولهم لقصورهم عن حد التكليف.

٢ ـ أن يكون المقر له بالنسب ممن يمكن ثبوت نسبه من المقر، وذلك بأن يولد مثله لمثله، فلو أقر من عمره عشرون ببنوة من عمره خمسة عشر لم يقبل إقراره، لاستحالة ذلك عادة.

٣ ـ أن يكون المقر له مجهول النسب، لأن معلوم النسب لا يصح إبطال نسبه السابق بحال من الأحوال.

٤ ـ ألا يكذب المقرب المقر له المقر، إن كان أهلاً لقبول قوله، فإن كذبه فإنه لا يصح الإقرار عندئذ. ولا يثبت به النسب.

٥ ـ أن لا يصرح المقر بأن المقر له ولده من الزنا، فإن صرح بذلك فإنه لا يقبل إقراره، لأن الزنا لا يكون سبباً في ثبوت النسب لقول النبي ﷺ (الولد للفراش وللعاهر الحجر).

٦ ـ أن لا ينازع المقر بالنسب أحد، لأنه إذا نازعه غير فليس أحدهما أولى من الأخر بمجرد الدعوى، فلا بد من مرجح لأحدهما فإن لم يكن

فإنه يعرض على القافة، فيكون ثبوت النسب لأحدهما بالقيافة لا بالإقرار[1].

فإذا توفرت هذه الشروط ثبت نسب المقر له من المقر، وثبت بمقتضي ذلك جميع الأحكام المتعلقة بالنسب. فإن كان الإقرار بالنسب فيه تحميل للنسب على الغير، كالإقرار بأخ له ونحوه، فإنه يشترط لصحة ثبوت النسب إضافة إلى الشروط المتقدمة ما يأتي:

١ ـ اتفاق جميع الورثة على الإقرار بالنسب المذكور.

٢ ـ أن يكون الملحق به النسب ميتاً، لأنه إذا كان حياً فلا بد من إقراره بنفسه.

٣ ـ أن لا يكون الملحق به النسب قد أنتفي من المقر له في حياته باللعان[2].

ثالثاً: البينة:

والمراد بها الشهادة، فإن النسب يثبت لمدعيه بناء على شهادة العدول بصحة ما ادعاه وقد أجمع العلماء على أن النسب يثبت لمدعيه بشهادة رجلين عادلين، واختلفوا في إثباته بغير ذلك: كشهادة رجل وامرأتين، أو شهادة أربعة نساء عادلات، أو شهادة رجل ويمين المدعي، حيث قال بكل حالة من هذه الحالات طائفة من العلماء، غير أن مذهب جمهور أهل العلم، وهم المالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية، أنه لا يقبل في

---

(١) البصمة الوراثية: عمر سبيل: ١٥/ ٤٤.

(٢) ينظر بدائع الصنائع ٧/٢٢٨، الزرقاني علي خليل ٦/ ١٠٥، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت: ٢/ ٢٥٨.

إثبات النسب بالشهادة إلاّ شهادة رجلين عادلين[1].

فإذا ثبت نسب المدعي بالبينة لحق نسبه بالمدعي وترتب عليه ثبوت جميع الأحكام المتعلقة بالنسب.

رابعاً: القيافة:

وهي لغة تتبع الآثار لمعرفة أصحابها، والقائف: من يتبع الأثر ويعرف صاحبه، وجمعه قافة[2].

والقائف في الاصطلاح الشرعي: هو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود[3].

أو هو من يلحق النسب بغيره عند الاشتباه بما خصه الله به من علم ذلك[4].

والقيافة عند القائلين بالحكم بها في إثبات النسب، إنما تستعمل عند عدم الفراش، والبينة، وحال الاشتباه في نسب المولود والتنازع عليه، فيعرض على القافة، ومن ألحقته به القافة من المتنازعين نسبه، ألحق به.

---

(١) ينظر الهداية شرح بداية المبتدي، أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغياني، (ت ٥٩٣ هـ)، الناشر المكتبة الإسلامية: (١/ ١١٧) الخرشي على خليل: (٧/ ٢٠٠) المهذب (٢/ ٣٣٤) المحلي (٩/ ٣٥٩).

(٢) الصحاح للجوهري: [٥/ ١٠٥]، لسان العرب [٩ / ٢٩٣].

(٣) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ: [ص ٢١٩]، التوقيف على مهمات التعاريف [ص ٥٦٩]، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: سعدي أبو جيب، دار الفكر. دمشق ـ سورية، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م: [ص ٣٠٩].

(٤) السراج الوهاج على متن المنهاج العلامة محمد الزهري الغمراوي، دار المعرفة للطباعة، بيروت ـ لبنان: [ص ٦٢٤]، مغني المحتاج [٤ / ٤٨٨].

وقد اختلف العلماء في حكم إثبات النسب بها على قولين:

القول الأول: أنه لا يصح الحكم بالقيافة في إثبات النسب، وبه قال الحنفية[1].

القول الثاني: اعتبار الحكم بالقيافة في إثبات النسب عند الاشتباه والتنازع، وبه قال جمهور العلماء، حيث قال به: الشافعية والحنابلة والظاهرية والمالكية في أولاد الإماء في المشهور من مذهبهم، وقيل: في أولاد الحرائر أيضاً[2].

ومما لا شك فيه أن ما ذهب إليه الجمهور من الحكم بالقيافة واعتبارها طريقاً شرعياً في إثبات النسب هو الراجح، لدلالة السنة المطهرة على ذلك، وثبوت العمل بها عند عدد من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يعرف لهم مخالف، فكان كالإجماع منهم على الحكم بها، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في بيان حجية العمل بالقيافة في إثبات النسب وقد دل عليها سنة رسول الله وعمل خلفائه الراشدين، والصحابة من بعدهم، منهم

---

(١) الأصل المعروف بالمبسوط، محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله (ت ١٨٩ هـ) تحقيق أبو الوفا الأفغاني، الناشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي: ١٧/ ٧٠، روضة القضاة وطريق النجاة: للسمناني، تحقيق: صلاح الدين الناهي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأول، ١٩٨٤ م: ٤/ ١٤٠٢، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، (ت ٩٧٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت: ٤/ ٢٩٧.

(٢) المهذب ١/ ٤٤٤، نهاية المحتاج ٨/ ٣٥١، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل: عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ)، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت: ٢/ ٣٦٨، المدونة ٣/ ٣٣٩، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لابن فرحون المالكي، تحقيق: جمال مرعشلي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م: ٢/ ٩١، الزرقاني علي خليل ٦/ ١١٠. المحلي ٩/ ٤٣٥ و١٠/ ١٤٨.

عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب[1]، وأبو موسى الأشعري[2]، وابن عباس، وأنس بن مالك[3] رضي الله عنهم، ولا مخالف لهم في الصحابة، وقال بها من التابعين سعيد بن المسيب[4]، وعطاء بن أبي

---

(١) علي بن أبي طالب (٢٣ قهـ ـ ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ م) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة، ولد بمكة، وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المراد يغيلة في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة، واختلف في مكان قبره. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة [٤ / ٥٦٤] العبر في خبر من غبر [١ / ٤٦]، أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / لبنان ـ ١٩٨٧ م، الطبعة: الثانية: [٢ / ١٣٨] الأعلام للزركلي [٤ / ٢٩٥].

(٢) أبو موسى الأشعري (٢١ قهـ ـ ٤٤ هـ = ٦٠٢ ـ ٦٦٥ م) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين، ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة. توفي بالكوفة وكان أحسن الصحابة صوتاً في التلاوة، خفيف الجسم، قصيراً. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة [٤ / ٢١١]، سير أعلام النبلاء: [٣ / ٣٣٦]، الأعلام للزركلي [٤ / ١١٤].

(٣) أنس بن مالك (١٠ قهـ ـ ٩٣ هـ = ٦١٢ ـ ٧١٢ م) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إليأن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٥ / ٣٩١]، الإصابة في تمييز الصحابة [١ / ١٢٦]، الأنساب للسمعاني [٥ / ٤٥٩] الأعلام للزركلي [٢ / ٢٤].

(٤) سعيد بن المسيب: (١٣ ـ ٩٤ هـ = ٦٣٤ ـ ٧١٣ م) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت،

رباح[1]، والزهري[2]، وإياس بن معاوية[3]، وقتادة[4] وكعب بن سور[5]

= لا يأخذ عطاءاً، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر، توفي بالمدينة. ينظر: سير أعلام النبلاء:[٧ / ٢٤٢] العبر في خبر من غبر [١/ ١١٠]، صفة الصفوة [٢ / ٧٩]، الأعلام للزركلي [٣ / ١٠٢].

(١) ابن أبي رباح (٢٧ ـ ١١٤ هـ = ٦٤٧ ـ ٧٣٢ م) عطاء بن أسلم بن صفوان: تابعي، من أجلاء الفقهاء، كان عبداً أسود، ولد في جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٩ / ٨٦]، العبر في خبر من غبر [١ / ١٤١] الأعلام للزركلي [٤ / ٢٣٥].

(٢) الزهري (٥٨ ـ ١٢٤ هـ = ٦٧٨ ـ ٧٤٢ م) محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي، من أهل المدينة، كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند، نزل الشام واستقر بها، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه، قال ابن الجزري: مات بشغب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٩ / ٣٩٤] العبر في خبر من غبر [١ / ١٥٨] الأعلام للزركلي [٧ / ٩٧].

(٣) القاضي إياس (٤٦ ـ ١٢٢ هـ = ٦٦٦ ـ ٧٤٠ م) إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو واثلة: قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه، قال الجاحظ: إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة، كان صادق الحدس، نقاباً، عجيب الفراسة، ملهماً وجيهاً عند الخلفاء، توفي بواسط. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٩ / ١٧٩] العبر في خبر من غبر [١ / ١٥٥] الأعلام للزركلي [٢ / ٣٣].

(٤) قتادة بن دعامة (٦١ ـ ١١٨ هـ = ٦٨٠ ـ ٧٣٧ م) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث،رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدل سفي الحديث، مات بواسط في الطاعون. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٩/ ٣٢٣]، شذرات الذهب ـ ابن العماد [١/ ١٤٧] الأعلام للزركلي [٥ / ١٨٩].

(٥) كعب بن سور (ت ٣٦ هـ = ٦٥٦ م) كعب بن سور بن بكر الأزدي: تابعي، من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام، بعثه عمر قاضياً لأهل البصرة، وعامل عليها، وأقره عثمان، فأقام إلى أن كانت وقعة الجمل (بين علي وعائشة) فاعتزل الفتنة، فقيل لعائشة: إن خرج معك كعب لم يتخلف من الأزد أحد، فركبت إليه، فكلمته، فأخذ مصحفه ونشره، وخرج بين الصفين يذكر الفريقين ويدعوهم إلى السلام، والقتال =

ومن تابعي التابعين الليث بن سعد[1] ومالك بن أنس[2] وأصحابه وممن بعدهم الشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق[3] وأبو ثور[4]،

ناشب، فجاءه سهم فقتله. ينظر: سير أعلام النبلاء [٣ / ٥٢٤]، الإصابة في تمييزالصحابة [٥ / ٦٤٥] الأعلام للزركلي [٥ / ٢٢٧].

(١) الليث بن سعد (٩٤ ـ ١٧٥ هـ = ٧١٣ ـ ٧٩١ م) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً، قال ابن تغريب ردي: «كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته»، أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة، وكان من الكرماء الأجواد، وقال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلاّ أن أصحابه لم يقوموا به. ينظر: سير أعلام النبلاء: [١٥ / ١٣٧]، العبر في خبر من غبر: [١ / ٢٦٦] الأعلام للزركلي [٥ / ٢٤٨].

(٢) مالك بن عبد الله الإمام مالك (٩٣ ـ ١٧٩ هـ = ٧١٢ ـ ٧٩٥ م) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وشيبه فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه، سأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به، فصنف «الموطأ». ينظر: سير أعلام النبلاء: [١٥ / ٤٣]، صفة الصفوة [٢ / ١٧٧] الأعلام للزركلي [٥ / ٢٥٧].

(٣) ابن راهويه (١٦١ ـ ٢٣٨ هـ = ٧٧٨ ـ ٨٥٣ م) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه: عالم خراسان في عصره، من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، وقيل في سبب تلقيبه (ابن راهويه) إن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو: راهويه! أي ولد في الطريق، وكان إسحاق ثقة في الحديث، قال الدرامي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه، وقال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٢١ / ٤٢٥]، صفة الصفوة [٤ / ١١٦] الأنساب للسمعاني [٣ / ٣٤] الأعلام للزركلي [١ / ٢٩٢].

(٤) أبو ثور الكلبي (ت ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور: الفقيه صاحب الإمام الشافعي، قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً، صنف الكتب وفرع على السنن، وذب عنها، يتكلم في الرأي في خطئ ويصيب، مات ببغداد شيخاً. ينظر: سير أعلام النبلاء: =

وأهل الظاهر كلهم، وبالجملة فهذا قول جمهور الأئمة، وخالفهم في ذلك أبو حنيفة وأصحابه وقالوا العمل بها تعويل على مجرد الشبه، وقد يقع بين الأجانب، وينتفي بين الأقارب[1].

هذا وقد اشترط الجمهور لاعتبار قول القائف، والحكم به في إثبات النسب عدة شروط من أهمها: أن يكون القائف مسلماً مكلفاً، عدلاً، ذكراً، سميعاً، بصيراً، عارفاً بالقيافة، مجرباً في الإصابة[2].

وقد ذهب أكثر القائلين بالحكم بالقيافة إلى جواز الاكتفاء بقول قائف واحد والحكم بإثبات النسب بناء على قوله، بينما ذهب آخرون إلى أنه لا يقبل في ذلك أقل من اثنين، ومبنى الخلاف في ذلك على اعتبار القائف هل هو شاهد، أو مخبر، فمن قال بالأول اشترط اثنين، ومن قال بالثاني أكتفي بواحد، وقيل مبنى الخلاف على أن القائف هل هو شاهد أو حاكم؟ قال الباجي: (وجه القول الأول: أن هذه طريقة الخبر عن علم يختص به القليل من الناس كالطبيب والمفتي، ووجه القول الثاني إنه يختص بسماعه، والحكم به، الحكام، فلم يجز في ذلك أقل من اثنين)[3].

[٦٨/٢٣]، العبر في خبر من غبر [١ / ٤٣١]، الأعلام للزركلي [١ / ٣٧].

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني ـ القاهرة: ص ١٩٥، وقد بين العلامة بن القيم ضعف ما ذهب إليه الحنفية من عدم الحكم بالقافة وأجاب عن أدلتهم بما يشفي ويكفي. ينظر الطرق الحكمية ص ٢٠٨.

(٢) ينظر تبصرة الحكام ٢/ ٩١ وروضة الطالبين ٨/ ٣٧٤ / كشاف القناع ٤/ ٢٠٢ المحلي ١٠/ ١٤٨.

(٣) المنتقي شرح موطأ مالك، تأليف القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي (ت ٤٩٤ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م: ١٠/ ١٤٨.

وقال في الإنصاف: (وهذا الخلاف مبني عند كثير من الأصحاب على أنه هل هو شاهد أو حاكم؟ فإن قلنا هو شاهد اعتبرنا العدد، وإن قلنا هو حاكم: فلا وقالت طائفة من الأصحاب: هذا خلاف مبني على أنه شاهد، أو مخبر، فإن جعلناه شاهداً اعتبرنا العدد، وإن جعلناه مخبراً لم نعتبر العدد، كالخبر في الأمور الدنيوية)(١).

ورجح العلامة ابن القيم الاكتفاء بقول قائف واحد محتجاً بذلك بقوله: (ومن حجة هذا القول، وهو قول القاضي وصاحب المستوعب، والصحيح من مذهب الشافعي، وقول أهل الظاهر أن النبي ﷺ سر بقول مجزز المدلجي(٢) وحده، وصح عن عمر أنه أستقاف المصطلقي وحده، واستقاف بن عباس ابن كلبة وحده، واستلحقه بقوله، وقد نص أحمد على أنه يكتفي بالطبيب والبيطار الواحد إذا لم يوجد سواه، والقائف مثله، بل هذا أولي من الطبيب والبيطار، لأنهما أكثر وجوداً منه فإذا أكتفي بالواحد منهما مع عدم غيره فالفائق أولي(٣).

هذا وإن لم تتفق الفاقة على إلحاق المجهول نسبه بأحد المدعيين، بل

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن (ت ٨٨٥ هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٦/ ٤٦١.

(٢) مجزز المدلجي وهو بن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج الكناني مذكور في الصحيحين منظر يقال زهر يعن عروة عن عائشة قال دخل على النبي ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال المترى انمجزز المدلج ينظر آنفاً إليزيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال إن بعض هذه الأقدام من بعض وفي رواية بن قتيبة مر على زيد وأسامة وقد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل عن موسى بن هارون عن مصعب الزبيري أنه لم يكن اسمه مجززاً وإنما قيل له ذلك لأنه كان إذا أسر أسير أجزنا صيته وأطلقه. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة [٥ / ٧٧٥].

(٣) الطرق الحكمية ص ٢١١.

تباينت أقوالها وتعارضت، فإن قولها يسقط لتعارضها، كالبينتين إذا تعارضتا تساقطتا، إلاّ في حالة واحدة وهي أن يتفق اثنين من الفاقة على إلحاقه بشخص، ويخالفهما قائف واحد، فإنه لا يلتفت إلى قوله، ويؤخذ بقول الاثنين لأنهما كالشاهدين، فقولهما أقوي من قول الواحد، أما ما عدا ذلك من حالات الاختلاف كأن يعارض قول اثنين قول اثنين آخرين، أو قول ثلاثة فإن قول القافة يسقط في هذه الحالات كلها، وبهذا قال الحنابلة[1].

أما لو أخذ بقول القافة، وحكم به حاكم، ثم جاءت قافة أخري فألحقته بشخص آخر، فإنه لا يلتفت إلى قول المتأخرة منهما، لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف، ومثل هذا أيضاً لو رجعت القافة عن قولها بعد الحكم به وألحقته بشخص آخر فإنه لا يلتفت إلى رجوعها عن قولها الأول لثبوت نسب المجهول بمن ألحق به أولاً وبهذا قال الشافعية والحنابلة[2].

وإذا لم يؤخذ بقول القافة لاختلاف أقوالها، أو أشكل الأمر عليها فلم تلحقه بواحد من المدعين، أو لم توجد قافة، فإن نسب المجهول يضيع على الصحيح من مذهب الحنابلة[3].

والقول الآخر للحنابلة هو مذهب الشافعية[4]: أن الأمر يترك حتى يبلغ

---

(١) ينظر: المقنع لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) مع الشرح الكبير لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م: ١٦/٣٤٨.

(٢) ينظر: نهاية المحتاج ٥/٤٦٣ وكشاف القناع ٤/٢٣٨.

(٣) المقنع: ١٦/٣٤٨، معونة أولي النهي: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٨ م: ٥/٧٢٤.

(٤) المهذب ١/٤٤٤، روضة الطالبين ٤/٥٠٦، مغني المحتاج ٢/٤٢٨.

المجهول، ثم يؤمر بالانتساب إلى أحد المدعين، لأنه روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال للغلام الذي ألحقته القافة بالمدعيين (وال أيهما شئت)[1].

ووجه الدلالة:

إن عمر لم يعمل بقول القافة لأنهم جعلوه منهما وعمر رد الأمر إلى الصبي لا إلى قولهم[2].

ولأنه إذا تعذر العمل بقوله الفاقة رجع إلى اختيار الولد الجبلي، لأن الإنسان يميل بطبعه إلى قريبه دون غيره، ولأنه إذا بلغ صار أهلاً للإقرار، فإذا صدقه المقر له فيثبت نسبه حينئذ بالإقرار.

وفي قول في كلا المذهبين: أنه يؤمر بالاختيار والانتساب إلى أحد المدعيين إذا بلغ سن التمييز.

والمفهوم من مذاهب المالكية: أن الحكم كذلك، حيث نصوا على أن الفاقة إذا بأكثر من أب ألحق بهم حتى يبلغ، ثم يؤمر باختيار واحد منهم[3].

---

(١) موطأ مالك [٤ / ١٠٧٢] برقم (٢٧٣٨)، مسند الشافعي [ص ٣٣٠] برقم (١٥٣١)، السنن الصغرى [٣ / ٣٢٢] برقم (٤٧٤٥)، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [١٠ / ٢٦٣] برقم (٢١٠٤٧) وقال: هذا إسناد صحيح موصول، شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ: [٤ / ١٦١] برقم (٥٧٠٨).

(٢) الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان الماردیني الشهير بابن التركماني، المتوفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة، دار الفكر، بيروت: [١٠ / ٢٦٣].

(٣) تبصرة الحكام ٢/ ٩٢، حاشية الدسوقي على تحفة الطلاب، محمد بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي، بيروت، دار الفكر: ٤/ ٤١٣.

خامساً: القرعة:

وهي أضعف طرق إثبات النسب الشرعي، ولذا لم يقل بها جمهور العلماء، وإنما ذهب إلى القول بها، واعتبارها طريقة من طرق إثبات النسب: والمالكية في أولاد الإماء وهو نص الشافعي في القديم وفيها قال بعض الشافعية عند تعارض البينتين وقال بها الإمام أحمد في روايته وابن أبي ليلى، وإسحاق بن راهوية والظاهرية[1].

واحتج القائلون بها بما جاء عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال (كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء رجل من اليمن، فقال: إن ثلاثة نفر من أهل اليمن أتو علياً يختصمون إليه في ولد، وقد وقعوا على امرأة في طهر واحد، فقال لاثنين منهما: طيباً بالولد لهذا، فغلياً، فقال: فقال أنتم شركاء متشاكسون، إني مقرع بينكم فمن قرع فله الولد وعليه لصاحبه ثلثا الدية، فأقرع بينهم، فجعله لمن قرع فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أضراسه أو نواجذه)[2].

قال الإمام بن حزم تعليقاً على هذا الحديث (لا يضحك رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: الزرقاني علي خليل ٥/ ١٠٩، حاشية الخرشي على مختصر خليل، محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي (ت ١١٠١ هـ) خرج أحاديثه: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م: ٦/ ١٠٥، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٦٧، معالم السنن: للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت ٣٨٨ هـ) طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ، في مطبعته العلمية بحلب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥٢ هجرية وسنة ١٩٣٣ ميلادية: ٣/ ١٧٧، المهذب ١/ ٤٤٥، روضة الطالبين ٥/ ٤٤٠، المغني ٦/ ٣٤٤، الإنصاف ٤٥٨، المحلي ١٠/ ١٥٠.

(٢) سنن أبي داود [١ / ٦٩٠] باب من قالب القرعة إذا تنازعوا في الولد، برقم (٢٢٦٩)، المستدرك [٢ / ٢٢٥] برقم (٢٨٢٩)، المعجم الكبير [٥ / ١٧٢] برقم (٤٩٨٩)، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [١٠ / ٢٦٧] برقم (٢١٠٧١).

دون أن يكن يرى أو يسمع ما لا يجوز البتة غلا أن يكون سروراً به، وهو عليه الصلاة والسلام لا يسر إلّا بالحق، ولا يجوز أن يسمع باطلاً فيقره، وهذا خبر مستقيم السند نقلته كلهم ثقات، والحجة به قائمة، ولا يصح خلافه البتة)[1].

وقال الإمام الخطابي: (وفيه إثبات القرعة في أمر الولد، وإحقاق القارع)[2].

والقرعة عند القائلين بها لا يصار إلى الحكم بها إلاّ عند تعذر غيرها من طرق إثبات النسب من فراش أو بينة أو قيافة، أو في حالة تساوي البينتين، أو تعارض قول القافة، فيصار حينئذ إلى القرعة حفاظاً للنسب عن الضياع وقطعاً للنزاع والخصومة فالحكم بها غاية ما يقدر عليه، وهي أولى من ضياع نسب المولود لما يترتب على ذلك من مفاسد كثيرة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: إذا تعذرت القافة، أو أشكل الأمر عليها كان المصير إلى القرعة أولى من ضياع نسب الولد وتركه هملاً لا نسب له، وهو ينظر إلى ناكح أمه وواطئها، فالقرعة ها هنا أقرب الطرق إلى إثبات النسب، فإنها طريق شرعي، وقد سدت الطرق سواها، وإن كانت صالحة لتعيين الأملاك المطلقة وتعيين الرقيق من الحر، وتعيين الزوجة من الأجنبية فكيف لا تصلح لتعيين صاحب النسب من غيره، ومعلوم أن طرق حفظ الأنساب أوسع من طرق حفظ الأموال، والشارع إلى ذلك أعظم تشوفاً، فالقرعة شرعت

---

(١) المحلى [١٠ / ١٥٠].

(٢) معالم السنن ٣/ ١٧٧.

لإخراج المستحق تارة ولتعينه تارة، وها هنا أحد المتداعيين هو أبوه حقيقة، فعملت القرعة في تعيينه كما عملت في تعيين الزوجة عند اشتباهها في أجنبية، فالقرعة تخرج المستحق شرعاً، كما تخرجه قدراً، فلا استبعاد في الإلحاق بها عند تعينها الطريقة، بل خلاف ذلك هو المستبعد[1].

(١) ينظر: الطرق الحكمية ص ٢١٤.

المطلب الثالث:

الموقف الشرعي من إثبات النسب أو نفيه عن طريق البصمة الوراثية

الشريعة الإسلامية لا تمانع في إيجاد وسيلة أو دليل يوصل إلى الحقيقة مادام في إطار ما شرعه الله، وبينه رسول الله ﷺ ولذلك أبت الشريعة على الشاهد أن يكتم شهادته قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ[1]﴾ وإذا كانت البصمة الجينية دليل علمي دقيق يفيد في الوصول إلى تحقيق مقاصد الشريعة من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال ويساعد القضاة في الوصول إلى الحق والعدل فلا مانع منه لأن ذلك سيرتب حكماً عادلاً وهو مطلب شرعي قال تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ بشرط أن لا تؤدي البصمة الجينية كدليل علمي إلى محرم أو إلى وقوع ضرر أو ضياع مصلحة والأمر في ذلك يترك لتقدير السلطة القضائية

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢٨٣.

فإن كانت البصمة الجينية تساعد في تكوين رأيها وأصدار حكمها تأمر بها وإلّا فلا[1].

ونظراً لتشوف الشارع إلى ثبوت النسب وإلحاقه بأدنى سبب فإن الأخذ بالبصمة الوراثية في مجال إثبات النسب في الحالات التي يجوز فيها الحكم بثبوت النسب بناء على قول القافة، أمر ظاهر الصحة والجواز وذلك لأنه إذا جاز الحكم بثبوت النسب بناء على قول القافة، لاستنادها على علامات ظاهرة، أو خفية مبنية على الفراسة والمعرفة والخبرة في إدراك الشبه الحاصل بين الآباء والأبناء[2] فإن الأخذ بنتائج الفحص بالبصمة الوراثية، والحكم بثبوت النسب بناء على قول خبراء البصمة الوراثية أقل أحواله أن يكون مساوياً للحكم بقول القافة إن لم تكن البصمة أولي بالأخذ بها، والحكم بمقتضى نتائجها من باب قياس الأولى، لأن البصمة الوراثية يعتمد فيها على أدلة خفية محسوسة من خلال الفحوصات المخبرية، التي علم بالتجارب العلمية صحة نتائجها الدالة على وجود الشبه، والعلاقة النسبية بين اثنين أو نفيه عنهما إذ إن كل ما يمكن أن تفعله القافة يمكن للبصمة الوراثية أن تقوم به، وبدقة متناهية[3].

وقد نص بعض الفقهاء على ترجيح قول القائف المستند في قوله إلى شبه خفي على قول القائف المستند في قوله إلى شبه ظاهر، معللين لذلك: بأن الذي يستند في قوله إلى شبه خفي معه زيادة علم تدل على حذقه وبصيرته[4].

---

(١) أطفال الأنابيب: ١٥.

(٢) ينظر: زاد الميعاد ٥/ ٤٢١.

(٣) ينظر: البصمة الوراثية للشيخ د عمر السبيل ـ (١ / ٢٣).

(٤) ينظر مغني المحتاج ٤/ ٤٩١.

ومما لا شك فيه أن البصمة الوراثية فيها من زيادة العلم والحذق واكتشاف المورثات الجينية الدالة على العلاقة النسبية ما لا يوجد مثله في القافة ومع ذلك فإن (القياس وأصول الشريعة تشهد للقافة، لأن القول بها حكم يستند إلى درك أمور خفية وظاهرة توجب للنفس سكوناً، فوجب اعتباره كنقد الناقد وتقويم المقوم)[1]، ولأن قول القائف (حكم بظن غالب، ورأي راجح ممن هو من أهل الخبرة فجاز كقول المقومين)[2] فكذلك الحال بالنسبة للبصمة الوراثية لما فيها من زيادة العلم والمعرفة الحسية بوجود الشبه، والعلاقة النسبية ما لا يوجد مثله في القافة، إما يحمل على الحكم لمشروعية الأخذ بها في مجال إثبات النسب في الحالات التي يجوز فيها الحكم بناء على قول القافة، قياساً عليها، ولأن الأصل في الأشياء ـ غير العبادات ـ الإذن والإباحة، وأخذاً من أدلة الشرع العامة، وقواعده الكلية في تحقيق المصالح، ودرء المفاسد لما في الأخذ بالبصمة الوراثية في مجال إثبات النسب من تحقيق لمصالح ظاهرة، ودرء لمفاسد كثيرة[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (وأصول الشرع وقواعده والقياس الصحيح يقتضي اعتبار الشبه في لحوق النسب والشارع متشوف إلى اتصال الأنساب وعدم انقطاعها، ولهذا أكتفي في ثبوتها بأدنى الأسباب من شهادة المرأة الواحدة على الولادة والدعوى المجردة مع الإمكان، وظاهر الفراش، فلا يستبعد أن يكون الشبه الخالي عن سبب مقاوم له كافياً في ثبوته)[4] وقال أيضاً: (بل الشبه نفسه بينه من أقوى البيانات، فإنها اسم

(١) الطرق الحكمية ص ١٩٨.
(٢) المغني ٥/٧٦٨.
(٣) البصمة الوراثية: عمر سبيل: ص ٦٠.
(٤) الطرق الحكمية ص ٢٠١.

لما يبين الحق ويظهره وظهور الحق ها هنا بالشبه أقوى من ظهوره بشهادة من يجوز عليه الوهم والغلط والكذب، وأقوى بكثير من فراش يقطع بعدم اجتماع الزوجين فيه)[١].

فالبصمة الوراثية، والاستدلال بها على إثبات النسب يمكن أن يقال بأنها نوع من علم القيافة، وقد تميزت بالبحث في خفايا وأسرار النمط الوراثي للحامض النووي بدقة كبيرة، وعمق ومهارة علمية بالغة، ممّا يجعلها تأخذ حكم القيافة في هذا المجال من باب أولي فيثبت بالبصمة ما يثبت بالقيافة مع وجوب توفر الشروط والضوابط التي وضعها الفقهاء في القافة عند إرادة الحكم بإثبات النسب عن طريق البصمة الوراثية[٢].

وجاء في توصية ندوة الوراثة والهندسة الوراثية ما نصه: (البصمة الوراثية من الناحية العملية وسيلة لا تكاد تخطئ في التحقق من الوالديه البيولوجية، والتحقق من الشخصية، ولا سيما في مجال الطب الشرعي، وهي ترقى إلى مستوى القرائن القوية التي يأخذ بها أكثر الفقهاء في غير قضايا الحدود الشرعية، وتمثل تطوراً عصرياً عظيماً في مجال القيافة الذي يذهب إليها جمهور الفقهاء في إثبات النسب المتنازع فيه، ولذلك ترى الندوة أن يؤخذ بها في كل ما يؤخذ فيه بالقيافة من باب أولي)[٣].

وبناء على ذلك فإنه يمكن الأخذ بالبصمة الوراثية في مجال إثبات

---

(١) الطرق الحكمية ص ٢٠٩.

(٢) البصمة الوراثية للشيخ د عمر السبيل ـ (١ / ٦٢) ينظر البصمة الجينية وأثرها في إثبات النسب للدكتور حسن الشاذلي ضمن ثبت أعمال ندوة الوراثة والهندسة الوراثية: ١/ ٤٩٤.

(٣) البصمة الوراثية للشيخ د. عمر السبيل ـ (١ / ٦٢) ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد ١٥ لسنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

النسب في الحالات التالية:

١ ـ حالات التنازع على مجهول النسب بمختلف صور التنازع التي ذكرها الفقهاء، سواء أكان التنازع على مجهول النسب بسبب انتفاء الأدلة أو تساويها، أو كان بسبب اشترك في وطء شبهه ونحوه[١].

٢ ـ حالات الاشتباه في المواليد في المستشفيات ومراكز رعاية المواليد والأطفال ونحوها، وكذا الاشتباه في أطفال الأنابيب.

٣ ـ حالات ضياع الأطفال واختلاطهم، بسبب الحوادث والكوارث وتعذر معرفة أهليهم، وكذا عند وجود جثث لم يمكن التعرف على هويتها بسبب الحروب، أو بقصد التحقق من هويات أسرى الحروب والمفقودين[٢].

وقد نص بعض الفقهاء على مسائل لا مجال للقيافة في إثبات النسب بها، وبالتالي فإنه لا مجال للبصمة الوراثية في إثبات النسب بها ومن هذه المسائل ما يأتي:

---

(١) حيث ذكر فقهاء الشافعية والحنابلة صوراً كثيرة لكلا النوعين. ينظر في هذا: روضة الطالبين ٤/٥٠٦، مغني المحتاج ٤/٤٨٩ ـ ٤٩٠ والمغني ٥/٧٧١ والإنصاف ٦/ ٤٥٦.

(٢) البصمة الوراثية للشيخ د. عمر السبيل ـ (١ / ٦٣) ينظر مناقشات المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي في دورته (١٥)، ص ٢١ ملخص أعمال الحلقة النقاشية حول البصمة الوراثية في الكويت ص ٤٧، البصمة الجينية وآثارها في إثبات النسب للدكتور حسن الشاذلي ضمن ثبت أعمال ندوة الوراثة والهندسة الوراثية ١/٤٩٨، القرار السابع، بشأن البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته ١٦ المنعقدة بمكة المكرمة في المدة من ٢١ ـ ٢٦/١٠/١٤٢٢ هـ الموافق من ٥ ـ ١٠/١/٢٠٠١ م ينظر مجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد ١٥ ص: ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

الأولى: إذا أقر رجل بنسب مجهول النسب، وتوفرت شروط الإقرار بالنسب فإنه يلتحق به، للإجماع على ثبوت النسب بمجرد الاستلحاق مع الإمكان، فلا يجوز عندئذ عرضة على القافة لعدم المنازع فكذا البصمة الوراثية كالقافة في الحكم هنا[١].

الثانية: إقرار بعض الإخوة بأخوة النسب لا يكون حجة على باقي الإخوة، ولا يثبت به نسب، وإنما تقتصر آثاره على المقر في خصوص نصيبه من الميراث[٢] ولا يعتد بالبصمة الوراثية هنا، لأنه لا مجال للقيافة فيها[٣].

الثالثة: إلحاق مجهول النسب بأحد المدعيين بناء على قول القافة، ثم أقام الآخر بينة على أنه ولده فإنه يحكم له به، ويسقط قول القافة، لأنه بدل على البينة، فيسقط بوجودها، لأنها الأصل كالتيمم مع الماء[٤] فهكذا البصمة الوراثية في الحكم هنا.

والحكم بثبوت النسب في جميع الطرق المشروعة مبني على الظن الغالب، واحتمال الخطأ في أي منها وارد، ومع ذلك فقد دلت الأدلة الشرعية على إثبات النسب بالطرق المشروعة حتى مع وجود قرائن وعلامات قد تشكك في صحة تلك الطرق المشروعة في حالة من الحالات، كما جاء في الصحيحين عن عائشة[٥] رضي الله عنها قالت:

---

(١) ينظر ملخص الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية، ص ٤٧، البصمة الوراثية وأثرها في إثبات النسب ضمن ثبت أعمال ندوة الوراثة والهندسة الوراثية ١/ ٤٩٧.

(٢) الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م: ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) ملخص أعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية، ص ٤٧.

(٤) ينظر المغني ٥/ ٧٧٠ ـ ٧٧١.

(٥) عائشة أم المؤمنين (٩ ق هـ ـ ٥٨ هـ = ٦١٣ ـ ٦٧٨ م) عائشة بنت أبي بكر الصديق

(اختصم سعد بن أبي وقاص، وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: يا رسول الله هذا ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أنه ابنه، أنظر إلى شبهه. وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله، ولد على فراش أبي من وليدته، فنظر رسول الله ﷺ فرأي شبهاً بيّناً بعتبة، فقال: هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش، وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة. فلم يري سودة قط)[1].

فقد دل هذا الحديث بمنطوقه الصريح على إثبات النسب بالفراش مع وجود ما يخالف ذلك، وهو شبه الغلام بغير صاحب الفراش لكن النبي ﷺ لم يعتد بذلك، بل أثبت النسب لصاحب الفراش إعمالاً للأصل[2].

كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله عز وجل: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

= عبد الله بن عثمان، من قريش: أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، كانت تُكنَى بأم عبد الله، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولها خطب ومواقف، وما كان يحدث لها أمر إلّا أنشدت فيه شعراً، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم، وكان (مسروق) إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق، وكانت ممن نقم على (عثمان) عمله في حياته، ثم غضبت له بعد مقتله، فكان لها فيه ودجها، بوقعة الجمل، موقفها المعروف، وتوفيت في المدينة. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٣/ ١١٤]، الأعلام للزركلي [٣ / ٢٤٠].

(١) صحيح البخاري: [٢ / ٧٢٤] باب تفسير المشبهات، برقم (١٩٤٨)، صحيح مسلم [٤ / ١٧١] باب الولد للفراش وتوقي الشبهات، برقم (٣٦٨٦).

(٢) ينظر: الطرق الحكمية، ص ٢٠١.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[1]﴾.

وجه الدلالة:

إن الحق عز وجل قد نسب الأولاد للأمهات للقطع بوالديتهن لهم، بخلاف الآباء فقد عبر عنهم بقوله.. (**الرجاء وضع الآية**) لأن المولود له قد لا يكون هو الأب الحقيقي، لكنه لما ولد على فراشه نسب إليه إعمالاً للأصل، وإطراحاً لما سواه.

وللعلامة ابن القيم كلام نفيس في إيضاح هذا المعني والتأكيد عليه حيث قال رحمه الله: (وجواز التخلف عن الدليل والعلامة الظاهرة في النادر لا يخرجه عن أن يكون دليلاً عند عدم معارضة ما يقاومه، ألا ترى أن الفراش دليل على النسب والولادة، وأنه ابنه، ويجوز - بل يقع كثيراً - تخلف دلالته، وتخلق الولد من غير ماء صاحب الفراش ولا يبطل ذلك كون الفراش دليلاً، وكذلك أمارات الخرص والقسمة والتقويم وغيرها قد تتخلف عنها أحكامها ومدلولاتها، ولا يمنع ذلك اعتبارها، وكذلك شهادة الشاهدين وغيرهما وكذلك الإقراء، والقرء الواحد في الدلالة على براءة الرحم فإنها دليل ظاهر مع جواز تخلف دلالتها، ووقوع ذلك، وأمثال ذلك كثير[2].

إن النسب إذا ثبت بإحدى الطرق الشرعية، فإنه لا يجوز نفيه البتة، إلّا عن طريق اللعان للدلالة الدالة على ذلك، فقد دلت قواعد الشرع أيضاً على أنه لا يجوز محاولة التأكد من صحة النسب بعد ثبوته شرعاً، وذلك

---

(١) سورة البقرة /آية: ٢٣٣.

(٢) الطرق الحكمية: ص ٢٠٩.

لاتفاق الشرائع السماوية على حفظ الضروريات للحياة الإنسانية ومنها حفظ النسب، والعرض، ولما جاءت به هذه الشريعة المباركة من جلب للمصالح ودرء للمفاسد، وحيث إن محاولة التأكد من صحة الأنساب الثابتة فيه قدح في أغراض الناس وأنسابهم يؤدي إلى مفاسد كثيرة، ويلحق أنواعاً من الأضرار النفسية والاجتماعية بالأفراد والأسر والمجتمع، ويفسد العلاقات الزوجية ويقوض بنيان الأسر، ويزرع العداء بين الأقارب والأرحام، لهذا كله فإنه لا يجوز محاولة التأكد من صحة النسب عن طريق البصمة الوراثية ولا غيرها من الوسائل كما أنه لو تم إجراء الفحص بالبصمة الوراثية للتأكد من نسب شخص من الأشخاص وأظهرت النتائج خلاف المحكوم به شرعاً من ثبوت النسب، فإنه لا يجوز الالتفات إلى تلك النتائج، ولا بناء على حكم الشرعي عليها، لأن النسب إذا ثبت ثبوتاً شرعياً، فإنه لا يجوز إلغاؤه وإبطاله إلّا عن طريق واحد وهو اللعان ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ فقال: ولدت امرأتي غلاماً أسود وهو حينئذ يعرض بنفيه، فقال له النبي ﷺ فهل لك من إبل؟ قال نعم، قال: فما ألوانها، قال حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لورقاً، قال: فإني أتاها ذلك؟ قال عسي أن يكون نزعه عرق)[1]، ولم يرخص له ﷺ في الانتفاء منه.

فقد دل هذا الحديث على أنه لا يجوز نفي النسب بعد ثبوته مهما ظهر من أمارات وعلامات قد تدل عليه، قال العلامة ابن القيم تعليقاً على هذا الحديث: (إنما لم يعتبر الشبه ها هنا لوجود الفراش الذي هو أقوى منه،

---

(١) صحيح البخاري: [٥ / ٢٠٣٢] باب إذا عرض بنفي الولد برقم (٤٩٩٩)، صحيح مسلم: [٢ / ١١٣٧] كتاب اللعان، برقم (١٨).

كما في حديث ابن أم زمعة)[1].

فإذا كان لا يجوز نفي النسب بعد ثبوته ـ بغير اللعان ـ فإنه لا يجوز أيضاً استخدام أي وسيلة قد تدل على انتفاء النسب ونفيه عن صاحبه، لأن للوسائل حكم الغايات، فما كان وسيلة لغاية محرمة، فإن للوسيلة حكم الغاية.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ عُتْبَةُ عَهِدَ إِلَى أَخِيهِ سَعْدٍ أَنَّ ابْنَ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ مِنِّي فَاقْبِضْهُ إِلَيْكَ فَلَمَّا كَانَ عَامَ الْفَتْحِ أَخَذَهُ سَعْدٌ فَقَالَ ابْنُ أَخِي عَهِدَ إلى فِيهِ فَقَامَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ فَقَالَ أَخِي وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِي وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ فَتَسَاوَقَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللهِ ابْنُ أَخِي قَدْ كَانَ عَهِدَ إلى فِيهِ فَقَالَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ أَخِي وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِي وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنَ زَمْعَةَ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ثُمَّ قَالَ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ احْتَجِبِي مِنْهُ لِمَا رَأَى مِنْ شَبَهِهِ بِعُتْبَةَ فَمَا رَآهَا حَتَّى لَقِيَ اللهَ)[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله وقد أشكل هذا الحديث على كثير من الناس من حيث إن النبي ﷺ أمر سودة بالاحتجاب منه وقد ألحقه بزمعه فهو أخوها ولهذا قال الولد للفراش قالوا فكيف يكون أخاها في الحكم وتؤمر بالاحتجاب منه فقال بعضهم هذا على سبيل الورع لأجل الشبه الذي رآه بعينه وقال بعضهم إنما جعله عبداً لزمعة قال والرواية (هو لك عبد) فإنما جعله عبداً لعبد بن زمعة لكونه رأى شبهه بعتبة فيكون منه غير لاحق بواحد منهما فيكون عبداً لعبد بن زمعة إذ هو ولد زنا من جارية

(١) الطرق الحكمية ص ٢٠٢.

(٢) صحيح البخاري: [٢ / ٧٢٤] باب تفسير المشبهات، برقم (١٩٤٨)، صحيح مسلم [٤ / ١٧١] باب الولد للفراش وتوقي الشبهات برقم (٣٦٨٦).

زمعة وهذا تصحيف منه وغلط في الرواية والمعنى فإن الرواية الصحيحة هو لك يا عبد بن زمعة ولو صحت[1].

إننا هنا أمام قيمتين معروضتين لبناء الحكم الشرعي على إحداهما في إثبات النسب: قيمة الاستدلال بالعلم التجريبي (القافة أو الحمض النووي) من جهة وقيمة التعاقد (الفراش ـ الزواج) من ناحية أخرى والسؤال: أي القيمتين أقام عليها الرسول الحكم الشرعي وأيهما أسقط؟ والجواب شديد الوضوح: إنه أقام حكمه على قيمة التعاقد، (الفراش ـ الزواج) وهي جوهر القضية وهي نسيج العلاقات الاجتماعية على جميع المستويات. لذا حكم بإلحاق النسب بالفراش[2].

وقد جاء قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته ١٦ المنعقدة بمكة المكرمة في المدة من ٢١ ـ ٢٦/ ١٠/ ١٤٢٢ هـ الموافق من ٥ ـ ١٠/ ١/ ٢٠٠١ م ما نصه:

إن استعمال البصمة الوراثية في مجال النسب لا بد أن يحاط بمنتهى الحذر والحيطة، لذلك لا بد أن تقدم النصوص والقواعد الشرعية على البصمة الوراثية[3].

---

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود المؤلف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٥: (٦ / ٢٦١).

(٢) الحمض النووي DNA بين الشريعة والعلم. بقلم: د. يحيى هاشم حسن فرغل، رابط الموقع www.alarabnews.com/alshaab/2006/24-03.../yehia.htm

(٣) القرار السابع، بشأن البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته ١٦ المنعقدة بمكة المكرمة في المدة من ٢١ ـ ٢٦/ ١٠/ ١٤٢٢ هـ الموافق من ٥ ـ ١٠/ ١/ ٢٠٠١ م ينظر مجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد ١٥ ص: ٤٧٨.

لذا فإني أرى أن إعمال الأصل في إثبات النسب أولى من إهماله، وهي الطرق الشرعية كالفراش إلّا إذا أقضت الضرورة فالضرورات تقدر بقدرها، ولا مانع من استخدام البصمة الوراثية عند الضرورة لحل إشكال، أو فك نزاع قائم أو معرفة هوية تائهة مما لا يتعارض مع الأصل الأول وهو التعاقد والله أعلم.

المبحث الثاني:

المعـــالجة الجيـــــنية

وفيه ثلاثة مطالب:

* المطلب الأول: التحسين الوراثي
* المطلب الثاني حقول تجارب بشرية
* المطلب الثالث: الموقف الشرعي من التحسين الوراثي

المطلب الأول:

التحسين الوراثي

حتى وقت قريب كان الرأي السائد أن علاج الأمراض عموماً هو عن طريق معالجة العوامل البيئية المتعلقة بالمرض، أما العوامل الوراثية فهي قدر محتوم لا سبيل لتغييره، على أن هذه النظرة قد تغيرت الآن مع تقدم وسائل الهندسة الوراثية، فهذه الوسائل تتيح لنا إعادة هندسة التركيب الجيني لأحد الكائنات، أو إدخال تغيير على المادة الوراثية للخلية، فقد أصبح من الممكن الآن فصل جين معين يحمل صفة وراثية معينة من خلايا أحد الكائنات ثم إدخاله على المادة الوراثية، في كائن آخر من نفس النوع أو حتى من نوع آخر، بحيث تنتقل للأخير الصفة الوراثية التي في الكائن الأصلي(١).

إذن فإن هذه التقنية يمكن استخدامها في علاج المرضى، بإحداث تغييرات في التركيب الجيني أو الوراثي، وبالتالي فإن المرض يمكن

---

(١) الطب الوراثي.. وحافة الخطر، مصطفى إبراهيم فهمي، مجلة العربي العدد ٤٢٩ في ١/٨/ ١٩٩٤ م.

علاجه عن طريق تعديل العوامل الوراثية، وليس العوامل البيئية وحدها، وفي حالة وجود عيب أو نقص في أحد الجينات، بما يسبب المرض فإنه يمكن تعويضه بإدخال جين سليم من كائن آخر[1].

وقد ظهرت فكرة تحسين النسل منذ عهد أفلاطون في مدينته الفاضلة التي تخيلها، ويعتبر تحسين النسل مطلباً شرعياً طالما اتخذ في سبيل تحصيله الطرق المشروعة، فكل إنسان يسعى إلى أن تكون ذريته قوية تتمتع بصفات غاية في الكمال من الطول والحسن والذكاء والقوة البدنية وغير ذلك من الصفات الحميدة، ولا تثريب على الناس في ذلك، فـ (**إن الله جميل يحب الجمال**)[2]، ولا يوجد في الإسلام ما يمنع من تطلب النسل الحسن، بل إن الشريعة تحث على تحري الذرية السليمة من كافة العيوب الخُلقية والخَلقية قال المولى سبحانه وتعالى ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ[3]﴾ هذا في الجانب الخُلقي، واما الجانب الخَلقي فقد وجه النبي ﷺ أحد أصحابه حين أراد الزواج أن ينظر إلى خطيبته فعن أبي هريرة قال: كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ: (أنظرت إليها؟ قال لا قال فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً)[4].

قال النووي: قيل المراد صغر وقيل زرقة وفي هذا دلالة لجواز ذكر مثل هذا للنصيحة وفيه استحباب النظر إلى وجه من يريد تزوجها[5].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) صحيح مسلم: [١ /٩٣] باب تحريم الكبر وبيانه، برقم (١٤٧).

(٣) سورة النور/ الآية: ٣.

(٤) صحيح مسلم: [٢ /١٠٤٠] باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها برقم (٧٤).

(٥) شرح النووي على مسلم [٩ / ٢١٠].

قال القرطبي في المفهم: قال أبو الفرج بن الجوزي: يعني شيئاً زرقاً أو صغراً وقيل رمصاً[1].

وجاء عن النبي ﷺ قوله: تخيروا لنطفكم، فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم[2].

ووصية الرسول ﷺ في اختيار الزوجة هي لتجنب انتقال الأمراض وغيرها عن طريق الوراثة، ويتبين من النصوص السابقة حرص المسلمين الشديد على اختيار شريك الحياة المناسب، وبالرغم مما يقال من أن تجارب تحسين النسل لا زالت في طور الأحلام والآمال، إلّا أن هذا لا يعني استبعاد وقوعها، كما أن نجاح استنساخ بعض الصفات المرغوبة وتحويرها جينياً في الحيوانات المعدلة وراثياً يجعل أمر حدوث تطبيقات التحسين الوراثي على البشر على الأبواب.

وقد ظهرت الدعوة لتحسين النسل في العصر الحديث على يد (فرانسيس جالتون) ابن خالة (تشارلز داروين) صاحب نظرية التطور في كتابة (أصل الأنواع) وذلك أواخر القرن التاسع عشر، حيث اقترح (جالتون) جواز تحسين النسل بنفس الطريقة التي تربى بها النبات والحيوان في محاولة للتطبيق العملي لنظرية داروين، وهو الذي أطلق على برنامج تحسين النسل مصطلح (يوجينيا)[3].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ـ (١٢/ ١٥٠).

(٢) سنن ابن ماجه [١ / ٦٣٣] باب الأكفاء، برقم (١٩٦٨)، المستدرك [٢ / ١٧٦] برقم (٢٦٨٧)، سنن الدارقطني [٣ / ٢٩٩]، برقم (١٩٨)، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [٧ / ١٣٣] برقم (١٣٥٣٦).

(٣) ينظر: الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء: ٣٣٣.

واليوجينيا: مصطلح إغريقي معناه طيب الأصل أو طيب الأرومة وهي: حركة أو مذهب أو اتجاه يضم أفكاراً أو أنشطة تهدف إلى تحسين نوعية البشر عن طريق معالجة العيوب الوراثية للمرضى (اليوجينيا الإيجابية) أو التخلص منهم وتصفيتهم (اليوجينيا السلبية)[١].

إن اليوجينيا قد انحسر مدها وقل مناصروها بعد الإصلاحات الواسعة التي اتخذتها الدول بعد الحرب العالمية الثانية والتيوضعت أوزراها عام ١٩٤٥ م، وما تلا ذلك من تكوين هيئة الأمم المتحدة والتي أصدرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ م وما تلاه من إعلانات وبروتوكولات، إلّا أنه بعد اكتشاف خريطة الجينوم البشري، ونجاح استنساخ الحيوان أظهر كثير من المراقبين تخوفهم من عودة الفكر اليوجيني، لا سيما بعد تمكن العلماء من أدوات البيوتكنولوجيا التي تجعل حصول هذا الأمر ميسراً بشكل لم يسبق له مثيل[٢].

وهذه الممارسات التي تتم تحت شعار الدعوة إلى تحسين النسل البشري عن طريق اصطفاء وانتقاء الجينات، وإنتاج كائنات بشرية طبقاً لمواصفات معينة، إن هذه الحركة يمكن أن تتجدد آمالها في توفير الظروف والشروط العلمية المواتية لظهور نسخ بشرية بزعم أنها ستكون ممتازة عرقياً وجينياً ومتفوقة عقلياً وقد تستغل هذه الحركة التقدم العلمي للقضاء على سلالات بشرية بزعم أنها منحطة وذلك تحت ذريعة حماية المجتمع وتطهيره[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: عصر الجينات والإلكترونات، د. والتر تروت أندرسون، ترجمة: د. أحمد مستجير، القاهرة، مطابع دار إلياس العصرية للطباعة والنشر، أودع دار الكتب المصرية عام ١٩٩٧ م: ص ١٥٩.

(٣) ينظر: الثورة في علم الهندسة الوراثية وحقوق الإنسان د. عبد الرزاق الدواي، مجلة

يقول (جريجوري أي بنس) هناك استعمالات كثيرة مفيدة لكلونة البشر (الاستنساخ) تتضمن توأمة الأجنة البشرية، من بين هذه الاستعمالات: أن بعض المراكز الطبية قد بدأت تسمح باختيار جنس الجنين حتى تستبعد الأجنة المعرضة للأمراض الوراثية المرتبطة بالجنس[1].

وهذا الكلام يدلل على أن أحد التطبيقات الهامة التي تساهم فيها تؤامة جانب آخر: هو أن التمييز العنصري لجنس دون جنس وتفضيل الرجل على المرأة أو التمييز الجماعي لعرق دون عرق لن يتم إلّا بهذه الوسيلة ـ اختيار أجناس معينة ـ ذوو صفات معينة وتسهيل عمليات الاستنساخ من سرعة الحصول على المنتجات المطلوبة في زمن قياسي[2].

وهناك طرق متوقعة للتحسين الوراثي إذ يتم ذلك عن طريق استنساخ خلايا جنينية أو الحصول على اللقائح مباشرة من بنوك الأجنة المنتشرة في دول العالم، وحفزها على الانقسام إلى مرحلة الثماني خلايا مثلاً، ثم يقوم الطبيب بإجراء بعض التعديل على جينات تلك الخلايا سواء كان لعلة مرضية أم لمجرد تحسين بعض الصفات كلون العين أو الشعر أو نحو ذلك ثم يتم تنسيل خطوط الانتاج من كل خلية، وسواء تم ذلك عن طريق تحويل جينات ما قبل الجنين أثناء الإخصاب في الأنبوب (قبل الغرس في الرحم) أو بإيلاج الحيوانات المنوية وتحويرها، ثم استخدامها في التلقيح الاصطناعي أو في التلقيح في الأنبوب كل هذه احتمالات يوجينية حقيقية[3].

عالم الفكر، الكويت، مجلة = دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: ص ١٤٥.

(١) ينظر: من يخاف استنساخ الإنسان، جريجوري أي بنس: ص ١٦٠.

(٢) ينظر: عصر الجينات والإلكترونات، د والتر تروت أندرسون: ١٦٢.

(٣) ينظر: عصر الجينات والإلكترونات، د والتر تروت أندرسون: ١٦٢.

وقد يتخذ في سبيل التحسين الوراثي طريقين:

* الطريق الأول: اختيار صفات معينة وحذف أخرى غير مرغوبة.

* الطريق الثاني: اختيار جنس الجنين ذكراً أو أنثى.

ومن المعلوم أن ذلك لا يمكن تطبيقه على لقيحة واحدة لتطرق احتمال الخطأ إليها فهي تجرى عادة على عدد من اللقائح المستنسخة أو عن طريق عمليات الإنجاب المساعد (طفل الأنابيب) ويتم اختيار اللقيحة المناسبة لزرعها في رحم الأم.

وتتم الطريقة الأولى ـ اختيار صفة أو صفات معينة ـ بواسطة العلاج الجيني وهذه تحتاج إلى تفصيل فإذا كانت هذه الصفات صفات مرضية وضارة بالجنين فإنها تأخذ حكم العلاج الجيني وتنضبط بضوابطه. . . أما إذا كانت صفات تحسينية فقط مثل تحديد لون العينين أو صفة الشعر أو لون البشرة أو نحو ذلك، فهذه من قبيل التحسينات التي لا يجوز المخاطرة في التلاعب بالمحتوى الوراثي من أجلها، ولانتفاء الضرورة التي من أجلها شرع العلاج الجيني[1].

(١) المصدر نفسه.

المطلب الثاني:

حقول تجارب بشرية

قبل البشر تم استخدام الحيوانات كحقل تجارب في المختبرات من أجل اختراع الأدوية والهدف هو علاج الأمراض وتحسين صحة الإنسان، إذ الغاية خيرة والوسيلة على العموم مبررة على نطاق واسع، فلم نشهد إلى اليوم احتجاجات يعتد بها على هذا اللعب بمخلوقات الله من أجل خدمة خليفته، وقد يكون ذلك جزءاً من التكريم الذي خص به الإنسان[١].

ولقد سيطر الإنسان على الطبيعة إلى حد كبير وجعل كل ما فيها من أشياء وزرع وحيوان وجمال مجالاً لإغناء حياته وعلمه وفكره ورفاهه واستمتاعه، وحيوان الاختبار أحد وجوه سيطرة الإنسان على الطبيعة، ومثلما صنع الإنسان مختبرات للطبيعة صنع بالمثل مختبرات لنفسه، والتاريخ هو عبارة عن مسرح اختبارات وتجارب البشر من أجل تحسين شروطهم المعيشية وجعل حياتهم أكثر احتمالاً، ولكن المختبر الذي

---

(١) الاستنساخ، العالم الثالث حقل تجارب، المنتدى الرسمي للدكتور طارق سويدان، ١/٨/٢٠١٠ م.

يوضع فيه الإنسان غير المختبر الذي توضع فيه الطبيعة، مختبر الطبيعة هو كنز الإنسان بلا خلاف. ومختبر الإنسان هو مسعى التنوير والتقدم الذي كله خلاف[1].

يقول الدكتور محمد عبد الحميد يحيى أستاذ أمراض النساء والتوليد والعقم بطب عين شمس أن الخطورة تأتي من أن تكنولوجيا الاستنساخ موجودة في معظم دول العالم بما فيها مصر تسمى تكنولوجيا الحقن المجهري وأخطر ما في الموضوع أيضاً أن العلماء الذين تم استضافتهم في (سي. أن. أن) أبدوا انزعاجهم ليس من أن تتم تجربة هذا الأسلوب في بلادهم حيث إن هناك رقابة شديدة على المعامل في البلاد المتقدمة ولكن هذه الطريقة ستطبق على البشر في الدول النامية حيث لا توجد رقابة أو قوانين كافية، ويؤيد هذا الاتجاه أنه قد تم طرد عدة علماء بارزين في بلادهم، مثل جاك كوهين الذي طرد من أمريكا بعد أن ثبت تلاعبه بإعطاء أجنة من سيدات إلى أخريات دون علمهن، كما أثار عالم فرنسي زوبعة منذ سنتين بعد أن نشر استخدام أجسام دائرية من القذف وتجربتها في حقن البويضات وهى تحتوي على ٤٦ كروموزوماً، وللعلم ـ كما يقول د. محمد يحيى ـ فإن هذا العالم يأتي لإجراء أبحاث بمصر في أحد المراكز الطبية الخاصة ويجب أن يقوم بعمليات الحقن المجهري وعلاج العقم بهذه الأساليب المساعدة أطباء مصريون، ويجب عدم استقدامه للعمل في هذا المجال بمصر، ولا يعني هذا انقطاعنا عن العمل، بل إن التعرف على ما يحدث يجب أن يكون من أبناء مصر أنفسهم، وطالب الدكتور محمد يحيى بتشكيل لجنة مستقلة من وزارة الصحة ونقابة الأطباء وجمعية

---

(١) المصدر نفسه.

أمراض النساء لمتابعة ما يحدث في مراكز الخصوبة وتسجيل كل بويضة تخرج من مبيض الأم حتى لا نترك الفرصة لذوي النفوس الضعيفة لإجراء هذه التجارب[١].

ويؤكد الدكتور عبد الحميد وفيق ـ أستاذ التحاليل الباثولوجية والخلوية بطب الأزهر ـ أنه لا يصح إنتاج إنسان بأى شكل إلّا بالطريق الطبيعي، حيث إن النطفة هي الأساس كما جاء بالقرآن الكريم، والذي يحدث هو محاولات علمية لا بد من السيطرة عليها حتى لا تظهر أشكال غير معتادة وتشكل خطراً على البشر، ويمكن السماح بهذه التجارب على الحيوانات ويجب ألّا تدخل مصر كما يجب منع استقدام خبراء أجانب لممارسة هذه الأساليب بأي شكل، ورغم أن الحقن المجهري يخضع لرقابة اللجان الأخلاقية في العالم، إلّا أنه في مصر ما زلنا في حاجة ماسة للمراقبة، ومن وجهة نظري كما يقول د. وفيق ـ إن الرغبة في الحصول على طفل يجب ألّا يتخطى الحدود الأخلاقية والدينية وعلى العلماء الذين يعملون في مجال تكنولوجيا مساعدة الحمل من أطفال الأنابيب والتلقيح المجهري والصناعي أن يكونوا مستقرين في مكانهم، وليسوا زائرين كما يحدث في مصر ولا ندري ماذا يفعلون[٢].

وقد تساءلت المطبوعات العلمية الأمريكية في براءة لا تحسد عليها: أين يمكننا زراعة ٢٠٠ (بليون) بذرة في أفغانستان؟ وتحمس العلماء الأمريكيون لهذا الهدف النبيل، واقترح بعضهم أن يتم استخدام نفس الأقمار الصناعية التي استُخدمت في الحرب ضد ما يسمى بالإرهاب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه.

لإعادة بناء هذه الأمة المدمرة البائسة، وبالفعل استعمل عمال الإغاثة صور الأقمار الصناعية التي احتكرتها الولايات المتحدة، وقاموا بمساعدة المزارعين على اختيار الأماكن التي تصلح للزراعة، وبدأ العمال في توزيع أكثر من ٧ آلاف طن متري من البذور المقاومة للجفاف على المزارعين في البلاد في شهر يناير الماضي، وطُرح المحصول للتداول منذ فترة في أسواق أفغانستان[١].

ويدعي الأمريكيون أن الأنواع الجديدة من البذور المحسنة تستطيع النمو والإثمار اعتماداً على الرطوبة الموجودة في التربة فقط، وتتميز بمزايا تسويقية هائلة، وقد تكون هذه المعلومات صحيحة، لكنها ليست كاملة.

فلقد قامت الولايات المتحدة بتقديم الدعم هذه المرة على طريقتها الخاصة التي استعملتها في بداية الحرب على ما يسمى بالإرهاب، والتي كانت قد أثارت سخرية العالم، وأهدت الأفغان بذوراً محورة وراثياً، لم تُطرح للتداول حتى الآن في أي مكان في العالم، ويرى البعض أن تقديم المساعدات الإنسانية لأفغانستان هو واجب إنساني على الولايات المتحدة لتعويض هذا البلد عن خسارته المادية والبشرية، بعد أن مزقته الحروب وابتلي بالزلازل وبالأوبئة والجفاف.. وأخيراً بالجراد[٢].

وأدت كل هذه الكوارث إلى تحويل مساحات واسعة من الأرض الصالحة للزراعة إلى صحراء جافة لا زرعفيها ولا ماء. ولكن على ما يبدو فقد قرر الأمريكان ضرب عصفورين بحجر واحد، فلم يكتفوا

---

(١) بذور الشيطان.. هدية «ماما أمريكا» للأفغان، طارق قابيل، مقال على موقع إسلام أون لاين على الرابط: http://www/islamonline.net/arabic/science/2002/07/ article06.shtml في ١٦/ ٧/ ٢٠٠٢ م.

(٢) المصدر نفسه.

باستباحة سماء وأرض أفغانستان لتجربة الأسلحة الحديثة المحرمة دوليّاً، بل فكروا في استخدام هذا الشعب الصبور كفئران تجارب أيضاً لتجربة هذه البذور عملياً على نطاق واسع واختبار صلاحيتها للاستهلاك الآدمي!

وأطلق الأمريكان على هذه البذور اسم بذور الأمل، ويسميها الناشطون بيئياً بذور الشيطان، لأن البذور المهندسة وراثياً تحمل الكثير من الأخطار الصحية والبيئية، ولم يتم اختبارها حتى الآن، كما لم يتم التصريح بتداولها في أسواق الدول المتقدمة، ورفضتها السوق الأوربية لأنها تحتاج لعدة سنوات من الدراسات الصحية والبيئية للسماح بتداولها في الأسواق[١].

وتمت التجربة الأمريكية بنجاح منقطع النظير، فلقد تهافت المزارعون الأفغان على هذه البذور بدافع الحاجة والفاقة، ومن المعروف أن النباتات المهندسة وراثياً قد غُرس بها جين أو أكثر في الحمض النووي DNA، ويعني ذلك إمكانية أن مثل هذه النباتات يمكن أن يكون قد غُرس بها جين من إنسان أو حيوان أو من نبات آخر، وهذه العملية تختلف كثيراً عما يحدث في برامج تربية النبات والحيوان أو في برامج الانتخاب التقليدية، وقد يؤدي غرس الجين إلى اضطراب في عمل الجينات المجاورة له، أو إلى قيام الجين الجديد بإنتاج نوع من البروتين الذي يكون غالباً غريباً بالنسبة للنبات. وغالباً ما يؤدي ذلك إلى اضطراب في عمليتي الهدم والبناء في الكائن الحي، وبالتالي قد يؤدي إلى إنتاج مواد غير متوقعة قد تكون سامة أو تسبب حساسية، أو تكون غير صالحة لاستهلاك الإنسان، وتختلف معظم هذه المواد غير المتوقعة في إنتاجها طبقاً لوسيلة التحوير

---

(١) المصدر نفسه.

الوراثي المستخدمة، كما تختلف من كائن إلى آخر ومن نوع إلى آخر، ومن الصعب التنبؤ بها، كما أنه من الصعب جدا تحليلها[١].

وقد ينطوي التحوير الوراثي للمحاصيل على منافع عديدة، وقد يضمر في ثناياه أخطاراً جسيمة ومضار خفية قد لا تظهر إلّا بعد مرور العديد من السنوات، وتقدير كل من المنافع والمضار قد يحتاج لفترة طويلة نسبياً لإجراء الدراسات الكافية، والمرور بفترة اختبار أسوة بالإجراءات اللازمة لطرح أي مستحضر طبي بالأسواق[٢].

ومن جانب آخر، يمكن أن تكون النباتات مصدراً مهمّاً للقضاء على كثير من الأمراض بشكل كبير وواسع خصوصاً المناطق الفقيرة. فقد تمكن الباحثون من تحوير نباتات البطاطس، والبرسيم، والطماطم والموز حيث أصبحت مصانع صيدلانية حية قادرة على إنتاج لقاحات وأمصال لأمراض مميتة. ومثل هذه النباتات عالية القدرة **Superpower Plants** من الممكن أن تنقذ بلايين الأرواح بشكل خاص في الدول الفقيرة التي تفتقر إلى الكثير من الأمصال والطعوم الطبية وتعاني من تفشي الكثير من الأمراض المعدية لندرة الرعاية الصحية أو انعدامها[٣].

وهذا كله يجب أن يكون ضمن لجان إنسانية تعنى بصحة الإنسان والعناية به ومحاولة تقديم الخدمة له، لا أن تجعل الإنسان حقل تجارب لكل ما هب ودب فذلك مرفوض شرعاً وقانوناً لأنه تلاعب بأرواح الناس والسير بهم إلى المجهول.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أمصال ولقاحات مهندسة للفقراء، طارق يحيى قابيل، موقع إسلام أون لاين، http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml في ٢١/ ١١/ ٢٠٠٠م.

المطلب الثالث:

الموقف الشرعي من التحسين الوراثي

ويمكن إدراج حكم هذه المسألة في حكم عمليات التجميل وقد قسم بعض العلماء عمليات التجميل إلى قسمين:

القسم الأول: عمليات التجميل الحاجية.

القسم الثاني: عمليات التجميل التحسينية[1].

أولاً: العمليات الحاجية:

هي التي يتضرر منها الفرد في حياته الحالية أو المستقبلية سواء كان جنيناً أو مكتمل النمو.

ثانياً: العمليات التحسينية:

وقد عرّفها الدكتور محمد الشنقيطي بأنها:

(١) أحكام الجراحة الطبية للشنقيطي: ١٩١.

جراحة تحسين المظهر وتجديد الشباب وقال: المراد بتحسين المظهر تحقيق الشكل الأفضل والصورة الأجمل دون وجود دوافع ضرورية أو حاجية تستلزم فعل الجراحة، وأما تجديد الشباب فيراد به: إزالة آثار الشيخوخة فيبدو المسن كأنه في عهد الصبا في شكله وصورته[1].

ومن ثم فإنه يجوز التداوي بالوسيلة الأولى ـ الحاجية ـ ويعتبر تحسين هذه الجينات ضروري محتاج إليه مثل معالجة العمى والصمم لو قدر على ذلك في مستقبل الأيام، وكذلك الأمراض الوراثية التي يمكن معالجتها تدخل في هذا الباب.

أما إذا كان المراد التحكم في قدرات الإنسان الذهنية وأسلوب تفكيره، والتحكم في توجهات هذا التفكير فالأمر هنا أشد، وسواء كان ذلك عن طريق تعديل الصفات في الأجنة أو في الجينات أم كان ذلك في الإنسان المكتمل.

وهذا التدخل التحسيني لا يرقى إلى حالة الضرورة التي يجيز الشارع للطبيب التدخل في تغييرها أو تبديلها، وليس هناك من ضرر يلحق بالمريض حتى يدخل علاجها تحت القاعدة الشرعية (الضرر يزال)[2] فتبين أن المراد بهذا التدخل الجراحي أياً كان موقعه من مراحل حياة الإنسان عبثاً ينهى الإسلام عنه، وهو من نوع تتبع الشهوات والأهواء التي تعهد إبليس لربه بعد أن أخذ منه الأمان بإغواء البشر بفعلها قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ[3]﴾.

---

(١) أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها: د. محمد المختار الشنقيطي: ١٩١.
(٢) سبق تخريجها.
(٣) سورة ص/ الآية: ٧٩ ـ ٨٣.

وقال في آية أخرى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا[1]﴾.

إن هذا يعد في الوقت الراهن من التغيير المنهي عنه والمحرم في شريعة الله.

وما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله مالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو ملعون في كتاب الله)[2].

قال الشيخ الدكتور محمد الشنقيطي: فقد جمع هذا الحديث بين تغيير الخلقة وطلب الحسن وهذان المعنيان في الجراحة التجميلية والتحسينية إلّا أنهما يعتبران تغييراً للخلقة بقصد الزيادة في الحسن، فتعتبر داخلة في هذا الوعيد الشديد ولا يجوز فعلها[3].

ويخرج على هذا جميع عميلات التحسين التي ينادي بها أنصار هذا المنهج مثل إنتاج أطفال حسب الطلب، أو الرجل الأخضر أو السوبرمان أو غير ذلك، كما يندرج تحت هذا الحكم ما يقوم به البعض من شراء نطف الرجال الحسان وبويضات ملكات الجمال التي تعرض عن طريق الإنترنيت بأسعار باهظة بغرض الحصول على أطفال غاية في الجمال وقد

---

(١) سورة النساء/ الآية: ١١٩.

(٢) صحيح البخاري: [٤ / ١٨٥٣] باب ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾، برقم (٤٦٠٤)، صحيح مسلم: [٣ / ١٦٧٨] باب تحريم فعل وأصله والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلقاًلله برقم (١٢٠).

(٣) أحكام الجراحة الطبية: للشنقيطي: ١٩٤ ـ ١٩٥.

قال ﷺ: (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليس من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته)[1].

أو كما يفعل مفضلو العرق الآري وغيرهم فكل هذه الممارسات العنصرية محرمة في الشريعة الإسلامية كما تحرمه جميع العود والمواثيق الصادرة من جمعيات حقوق الإنسان.

يقول د. وهبة الزحيلي: إذا كان تعديل الصفات الوراثية من أجل تحسين النسل أمّا في خصائص الدماغ: كزيادة الذكاء أو الحسن أو الانتباه، وأمّا في الأعضاء: كإطالة القامة أو اليدين، وأمّا في الألوان: كتغيير لون البشرة أو العين أو نحو ذلك فلا يجوز شرعاً لأنه تغيير لخلق الله، ولكن إذا قصرنا منع التغيير على الخصائص الأصلية للإنسان مثل تناسق القوام وتكوين البنية في أحسن تقويم ربما جاز هذا التعديل للخلل فهو من قبيل العلاج أو التسوية التي تعيد للمخلوق أصل خلقته، ومع ذلك قد يكون هذا التدخل في إهدار لكرامة الإنسان وتجاوز بحدود الضروريات وفتح لباب الشر، وقد تستخدم لتعديل المورثات في الخلية التناسلية[2].

ويقول الدكتور عارف علي عارف: إن التلاعب بنطف الإنسان وتغيير صفاته الفيزيائية والعبث بها لإيجاد الإنسان المحسن وما يسمونه السلالة الممتازة من البشر مرفوض، وكذا الاعتداء على خصوصياته وتغيير خريطته الوراثية بتغيير شكل جسمه ولونه وملامحه وتغير شخصيته وعقليته ونفسيته. . إن هذا العمل يعتبر تغييراً صارخاً لسنة الله في خلقه[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق مجموعة من الكتاب: ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٣) ينظر: قضايا فقهية في الجينات البشرية من منظور إسلامي، د عارف علي عارف: ٢/ ٧٦٧ ـ ٧٦٨.

وقد تحدثت مجلة البحوث الفقهية المعاصرة عن هذه المسألة بالقول:

الجواب على هذه المسألة من وجهين:

الوجه الأول: محاولة تغيير خلق الإنسان أو تغيير عضو من أعضائه عن الصورة التي خلقها الله عليها أو صورة أخرى وفقاً لطبيعة التجربة، والغاية منها كالتحكم في توجيه العقل، أو تحويل الذكر إلى أنثى أو العكس، فهذا مما يحرم فعله من قبل الفاعل والمفعول به، وقوله تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا[1]﴾ هذه الآية تتحدث عن محاولة إبليس إيقاع الإنسان في المعصية، وكذلك حديث (لعن الواصلة والمستوصلة)، ولا يستثنى من ذلك إلّا إذا كان المراد علاج مرض أو إزالة أذى كنتوء في عضو يعيق الجسم عن الحركة أو يسبب لصاحبه ألماً نفسياً فإنه يدخل في حكم التداوي المأمور به شرعاً.

الوجه الثاني: محاولة التأثير في صفات الوراثة كالطباع أو المرض ونحو ذلك فإذا توصل الطب إلى علاج هذه الأمراض سواء كان عن طريق معالجة الجنين في بطن أمه أو خارجه فذاك من باب التداوي والعلاج المأمور به شرعاً[2].

(١) سور النساء/ الآية: ١١٩

(٢) ينظر: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السعودية، مسائل في الفقه، العدد العاشر، ١٤١٢ هـ ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

المبحث الثالث:

التهجيـن الجيني

وفيه ثلاثة مطالب:

* المطلب الأول: العبث الجيني
* المطلب الثاني: الجينات ودابة الأرض
* المطلب الثالث: الموقف الشرعي للتهجين الجيني

المطلب الأول:

العبث الجيني

لا يزال الإنسان يطمح إلى كشف المجهول، ومحاولة قراءة الغيب بكل ما أوتي من قوة، وقد فتح كشف الخارطة الجينية الباب على مصراعية لمن أراد أن يستكشف عالم غيب الإنسان وما حواه من أسرار في كتاب الحياة، وقد قامت مجموعة من العلماء في هذا المجال بمحاولات كثيرة لخلط جينات نوع من نوع آخر من المخلوقات، بل ومحاولة خلط جينات بشرية مع أخرى نباتية أو حيوانية، وقد يكون هذا الأمر للوهلة الأولى ضرباً من الجنون، لكن الجنون الحقيقي قد تحقق بلعبة جديدة، والأمر من أول وهلة قد يتنافى مع الإدراك السليم، ويراه البعض خروجاً عن الدين، بل ويعتبره آخرون انتهاكاً لحقوق الحيوان، لكن عندما يتبين للمرء أنه واقع ملموس وموجود رأى العين على رفوف المحال، فإن العقل لا يملك إلّا أن يصدق، لأن آفاق العلم الحديث غدت بلانهاية[١].

---

(١) لعبة بشرية مزج جينات بشرية وحيوانية، موقع: الابتسامة June 11, 2009, 04: 10 AM.

الأمر هنامتعلق بكائنات أشبه بالحيوانات الأليفةمن سلالة الثدييات، تتنفس ولها أوعيةدموية وعظاموقلب ينبض وعظام تتحرك، إنها تنزف إذا جرحت وقدتموتإذا أسأت معاملتها! لديها مشاعر وأحاسيس، وتأكلوتجوع،غير أنها لم تخلق من أبوين كسائر الكائنات الحية ولاتتناسل،وعلى الرغم من ذلك فهي كائنات حية.

هذه الكائنات أطلق عليها اسم «جين بيت Genpets»، أو الحيوانات الجينية، كما تعني الترجمة، وهي كائنات مخلقة على أساس أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا الهندسة الحيوية في العالم، حيث جرى تصنيعها من قبل شركة «بيوجينيكا»، وهي شركة تسويق وتصنيع كندية تعمل في مجال البحوث الحيوية منذ عام ٢٠٠٤ هذه الحيوانات الأليفة غريبة الأطوار، يراها الزائر لكندا وهي تغط في سبات عميق في بعض محال بيع الحيوانات الأليفة داخل علب بلاستيكية خاصة، مزودة بأجهزة رصد لحركات القلب وفتحات تهوية وتغذية، تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها كائنات حية لها خصوصيتها وطبيعتها الفريدة التي تبرهن على مدى التقدم الذي وصل إليه العلم في عالم اليوم[١].

لقد تم تصنيع أول نموذج من هذه الحيوانات المهندسة حيوياً، باستخدام عملية هندسة حيوية في غاية التعقيد يطلق عليها علمياً اسم الحقن المجهري أو القذف الكهربائي، حيث تجري هذه العملية داخل معامل طبية، يتم فيها جمع الحامض النووي لسلالات حية مختلفة في كائن واحد.

وتستخدم هذه العملية للحصول على سلالات معينة من القرود

---

(١) المصدر نفسه.

والأسماك مثل: قنديل البحر والفئران المشعة، وقد تطورت هذه التقنية مع مرور الوقت حيث بات الحمض النووي البشري يستخدم في حقن القرود، وكذلك استخدام الحمض النووي للعناكب في حقن الخراف، والآن امتد الأمر ليشمل استخدام الحمض النووي لسلالات حيوية عديدة، للوصول إلى مخلوق جديد يعرف باسم جين بيت، ولا يخفى مدى الحساسية الشديدة التي ينطوي عليه مثل هذا الأمر، حيث إنه قد يدخل تحت تصنيف الاستنساخ، وما ينطوي عليه الاختراع من اعتراضات أخلاقية ودينية جمة، الأمر الذي منع شركة «بيوجينيكا» حتى الآن من الترويج لهذا المنتج عالمياً، حيث إنها تنتظر الحصول على الموافقة الرسمية من الجهات المعنية لإطلاق المنتج العجيب في شتى أنحاء العالم[١].

وقد وصلت هذه المنتجات الغريبة إلى بعض البلدان العربية لولا التدخل السريع بمنع دخولها وإلّا لأصبحت الآن ضمن ما يباع في الأسواق العربية أسوة بالأسواق الكندية وهذا يبيّن لنا مدى خطورة هذه المنتجات وأين وصل العقل البشري في السير ضمن اللامعقول في مجال الاستنساخ.

---

(١) المصدر نفسه.

المطلب الثاني:

الجينات ودابة الأرض

ولا يتوقف الأمر عند البعض في حدود الاستنساخ الجيني والعبث بالموروث الوراثي للإنسان أو الحيوان أو النبات بل إننا نخشى أن يصل الأمر إلى حافة النهاية والتي منها يكون خروج العلامة الذي ذكرها القرآن الكريم ونبه النبي ﷺ إلى بعض صفاتها ألا وهي دابة الأرض، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ[1]﴾.

وبما أن صفات الدابة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم يعد أمراً غيبياً فلا بد أن نستعين بمصدر موثوق النقل لاستكشاف بعض تلك الصفات فعن ابن عباس في قال: (هي ذات زغبور يشلها أربع قوائم تخرج في بعض أودية تهامة)[2].

---

(١) سورة النمل/ الآية: ٨٢.

(٢) تفسير الطبري [١٩ / ٤٩٩] ونسب هذا القول إلى قتادة، النكت والعيون: [٤ / ٢٢٦].

وقال عبد الله بن عمرو[1]: تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه حتى يسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه في جلس أهل البيت على المائدة فيعرفون المؤمن من الكافر ويتبايعون في الأسواق فيعرفون المؤمن من الكافر[2].

وعن ابن عباس أنه قال: الدابة مؤلفة ذات زغبور يشفيها من ألوان الدواب كلها من كل أمة سيما وسيماها من هذه الأمة أنها تتكلم بلسان عربي مبين[3].

وعن عبد الله بن عمر[4]، رضي الله عنه ما قال وهو يومئذ بمكة: لو شئت أخذت حتى أدخل الوادي الذي تخرج منه دابة الأرض، فإنها تخرج وهي ذامة للناس فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه وكتفه، فيبيض لها وجهه، وتسم الكافر وكتفه، فيسود لها وجهه، وهي دابة ذات زغبور يشف تقول:

---

(١) عبد الله بن عمرو (٧ ق هـ ـ ٦٥ هـ = ٦١٦ ـ ٦٨٤ م) عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش: صحابي، من النساك، من أهل مكة، كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية، وأسلم قبل أبيه، استأذن رسول الله ﷺ في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له، وشهد صفين مع معاوية، وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، ولما ولي يزيد امتنع عبد الله من بيعته، وانزوى بجهة عسقلان، منقطعاً للعبادة، وعمي في آخر حياته واختلفوا في مكان وفاته. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٥ / ٧٥]، العبر في خبر من غبر [١ / ٧٢]، الإصابة فيتمييز الصحابة [٤ / ١٩٢]، الأعلام للزركلي [٤ / ١١١].

(٢) الفتن المؤلف: نعيم بن حماد المروزي الناشر، تحقيق: سمير أمين الزهيري: مكتبة التوحيد ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢: [٢ / ٦٦٥].

(٣) روح المعاني [٢٠ / ٢٢].

(٤) عبد الله بن عمر (١٠ ق هـ ـ ٧٣ هـ = ٦١٣ ـ ٦٩٢ م) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً، نشأ في الإسلام، هاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، ولمّا قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، وكف بصره في آخر حياته، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. ينظر: سير أعلام النبلاء [٥ / ١٩٩] العبر في خبر من غبر [١ / ٨٣]، الإصابة في تمييز الصحابة [٤ / ١٨١]، الأعلام للزركلي [٤ / ١٠٨].

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ[1]، [2]﴾.

وعن ابن الزُّبير[3]: أنَّه وصَف الدَّابَة. فقال: (رأْسُها رأسُ الثَّوْر، وعَيْنُها عين الخَنْزيرِ، وأُذُنُها أُذُن فيلٍ، وقَرْنُها قَرْنُ أُيَّل، وصَدْرُها صَدْرُ أسَدٍ، ولَوْنُها لوْنُ نَمِرٍ، وخاصِرَتُها خاصِرَةُ هِرَّةٍ، وذنَبُها ذَنَبُ كَبْشٍ، وقَوائمُها قوائِمُ بعيرٍ، بين كُلِّ مَفْصلينِ اثنا عشَر ذِراعاً، معها عَصا مُوسى، وخاتمُ سُلَيْمان، ولا يَبْقى مُؤمنٌ إلّا نَكَتَتْهُ بِعَصا مُوسى نُكْتَةً بَيْضاء، يُضيءُ لها وجْهُه، ولا يبْقى كافرٌ إلّا نَكَتَتْ وجْهَه بخاتم سُليمان، فَيَسْود لها وجْهُه، حتى إنَّ النَّاسَ يَتَبايَعُون في الأسْواقِ: بِكَمْ يا مُؤمن؟ وبِكَمْ يا كافِر؟ ثم تقولُ لهُم الدَّابة: يا فُلان أنتَ من أهلِ الجنَّة. وأنتَ من أهلِ النَّار. وذلك قوْلُهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ[4]، [5]﴾.

---

(١) سورة النمل/ الآية: ٨٢

(٢) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تأليف: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٤ هـ، سنة ٢٠٠٣ م: [٦ / ١٢١].

(٣) عبد الله بن الزبير (١ ـ ٧٣ هـ = ٦٢٢ ـ ٦٩٢ م) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، وهو في عشر الثمانين، وكان من خطباء قريش المعدودين، يشبه في ذلك بأبي بكر، مدة خلافته تسع سنين. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٥ / ٣٥٧]، الأعلام للزركلي [٤ / ٨٧].

(٤) سورة النمل/ الآية: ٨٢.

(٥) تفسير ابن كثير: [٦ / ٢١٤]، أحاديث في الفتن والحوادث، محمد بن عبد الوهاب،

وعن عبد الله بن بُرَيدة[1]، عن أبيه قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: (تخرج الدابة من هذا الموضع، فإذا فِتْر في شبر)[2].

قال ابن بُرَيدة: فحجج تبعد ذلك بسنين، فأرانا عصاً له، فإذا هو بعَصا بهذه، كذا وكذا[3].

فهذه الأحاديث وإن كان البعض منها ضعيفاً لكن بمجموعها يقوي بعضها بعضاً وهي تدل على أن هذه الدابة ذات شأن يختلف عن باقي المخلوقات وأنها قد حوت صفات لا توجد في مخلوق واحد بل قد جمعت صفات عديدة من مخلوقات عديدة، وهذا هو عين ما يقوم به بعض العلماء من محاولة خلط وتطعيم وزراعة بعض الجينات ببعضها الآخر لإنتاج شيء قد يعرفونه وقد لا يعرفونه، وأرى والله أعلم أن دابة الأرض ستكون نتيجة لإحدى التجارب العلمية التي يقوم بها بعض هؤلاء العلماء بقصد أو بدون قصد محاولة لجمع الأضداد في كائن واحد وبهذا قد تخرج دابة الأرض إلى الناس وهذا مجرد احتمال وقد تكون الدابة

= (ت ١٢٠٦ هـ) تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد، مطابع الرياض، الرياض: [ص ٢٦٢].

(١) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي (١٤ ـ ١١٥ هـ = ٦٣٥ ـ ٧٣٣ م)، أبو سهل: قاض، من رجال الحديث، أصله من الكوفة، سكن البصرة، وولي القضاء بمرو، فثبت فيه إليأن توفي. ينظر: سير أعلام النبلاء: [٩ / ٥٢]، العبر في خبر من غبر [١ / ١٤٣]، الأعلام للزركلي [٤ / ٧٤].

(٢) سنن ابن ماجة [٢ / ١٣٥٢] باب جيش البيداء برقم (٤٠٦٧)، مسند أحمد [٣٨ / ١٢٩] برقم (٢٣٠٢٣) مصباح الزجاجة شهاب الدين البوصيري، دار الجنان ـ بيروت: [٢ / ٢٩٤] والحديث إسناده ضعيف.

(٣) سنن ابن ماجة [٢ / ١٣٥٢] باب جيش البيداء برقم (٤٠٦٧).

خلقاً مستقلًا من غير مثال سابق والله أعلم بذلك.

وهناك حقائق علمية في علم الحياة (البيولوجيا) فبالرغم من السرية شبه التامة المحيطة بالأبحاث البيولوجية والتجارب، المنفذة على أرض الواقع ـ بعيداً عن الخيال العلمي ـ التي لم يعلن عنها بسبب خوف الناس من طبيعة هذه التجارب وما يمكن أن ينتج عنها، ففي أمريكا هناك خنازير لها دم بشري، وهناك أغنام لها أكباد بشرية وقلوب هي في معظمها بشرية، وفي سويسرا تمكن العلماء من تخليق فئران لها نظام مناعي بشري، وفي الصين يتم حقن خلايا جذعية بشرية داخل بييضة الأرنب لإنتاج المزيد من هذه الخلايا، وفي كوريا الجنوبية والفلبين أجريت عدة تجارب استنساخ، وهناك مجموعة من العلماء تنظر في إمكانية زرع خلايا جذعية لدماغ بشري في أجنة القرود وهي الأكثر شبها بالإنسان[١].

ومنذ حوالى عدة سنوات قام عالم كندي بأخذ جزء دماغ من طائر السماني وهو في طور نموه وزرعها في رأس دجاجة في طور النمو، فكانت النتيجة هو أن الدجاجة ظهرت لها أطراف مشابهة للسماني وأصوات كصوت السماني، مما يثبت أن نقل أجزاء من الدماغ ينقل معه خصائص وراثية من جنس لآخر[٢].

وفي جامعة نيفادا بمدينة رينو قام الدكتور إسماعيل زنجاني بحقن خلايا جذعية بشرية في جنين نعجة فكانت النتيجة هو تكون كبد ٨٠٪ منها بشرية وتقوم هذه الكبد بإفراز كافة إفرازات كبد البشر. ولاحظ هذا الباحث إن

---

(١) إشارات علمية تتفق مع ظهور دابة الأرض، منتدى التوحيد، قسم الحوار عن الإسلام، رابط الموقع: www.eltwhed.com

(٢) المصدر نفسه.

المورثات البشرية ظهرت أيضاً في عدة أعضاء أخرى مثل البنكرياس والقلب والجلد[١].

ومن المعروف أنه منذ سنوات تم خلط خلايا عنزة goat مع بييضة نعجة sheep فكانت النتيجة نعجة برأس عنزة والتي أطلق عليها geep، وهناك نوع آخر من الأبحاث موجه خصيصاً تجاه تخليق حيوانات قادرة على الكلام فلقد اكتشف في بريطانيا عام ٢٠٠٢ من خلال أبحاث المورثات أن هنا كمورث هو المسؤول عن القدرة على الكلام وأعطى ذلك المورث اسم FOXP2 ولاحظ الباحثون أن البروتين الذي يفرزه هذا المورث لدى البشر يختلف فقط بنوعين من الأحماض الأمونية عن ذلك البروتين الذي يفرزه هذا المورث لدى القرود، وفي الحقيقة لا أحد يعلم كيف سيكون شكل هذه المخلوقات الناتجة عن الأبحاث ولا حتى العلماء أنفسهم فقد صرح البروفسور ويزمان عندما قال إنه لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كانت هذه الفئران ستكون لها خصائص بشرية إلّا بعد ولادتها وفحصها[٢].

علماً أن هؤلاء الباحثين والعلماء لم يأتوا بجديد من عندهم ففي كل تجاربهم يأخذون الخلايا الجذعية والتي هي من خلق الله والبويضة وهي أيضاً من خلق الله ويجرون عليهما بعض التحويرات ليودعوها في الرحم وهو من خلق الله والإفرازات من خلق الله ونظام الغذاء من خلق الله! فكما هو الحال في عالم النبات فهناك ما يسمى بعملية التلقيم وهي أخذ برعم من شجرة ليمون وتلقيمها على شجرة برتقال وهناك الكثير من النماذج الناجحة في هذا المجال ولكننا لا ننظر لها على أنها تدخل في خلق الله[٣]

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

اذن فنحن نسير إلى طريق لا نعلم حقيقته في عالم التهجين، أو بالأحرى العبث الجيني الذي قد يكون سبباً رئيسياً في خروج دابة الأرض التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وفي سنّة النبي ﷺ لذا فإن العلم الحديث ينبغي أن يسير في خدمة البشرية وفي العلم النافع لا أن يسير في عبث جيني لا طائل منه ولا فائدة ترتجى من خلاله سوى العبث بمخلوقات الله تعالى وإنتاج أو تخليق أنواع جديدة قد تكون منها دابة الأرض، والله أعلم.

المطلب الثالث:

الموقف الشرعي للتهجين الجيني

إن التصور بأنه من الممكن تغيير الإنسان من كاره إلى محب والمجرم لصالح والكافر لمؤمن عن طريق الجينات تصور ما زال خيالياً لأنه لا يمكن تغيير الجهاز الوراثي لدى الإنسان إلّا في أثناء المراحل المبكرة جداً من تكوينه الجنيني وإصلاح الجينات المعطوبة عن طريق العلاج الجيني الذي ما زال قيد التجريب وإن كان يحمل في طياته الكثير من المخاوف من جراء الآثار الجانبية وكلنا يعلم خطورة الآثار الجانبية لأي دواء خاصة الأدوية المؤثرة على الهرمونات فما بالك وأنت تلعب وتعبث في الإنسان بالعلاج الجيني.. فعندما تغير حرفاً من حروف الجينات المعبرة مثلاً عن كلمة موزة فإذا حدث خطأ في حرف الميم ووضعت لام ستصبح لوزة والفرق كبير بين الاثنين.. والخطورة هي العبث بالكائنات الذي على رأسهم الإنسان[1].

---

(١) ينظر: إعادة برمجة الجنس البشري والخلط بين الكائنات الحية، بقلم: د. أميمة خفاجي، مدرس هندسة وراثية، جريد الأهرام المصرية، العدد ٤١٥٠٠ في ٢١/ يوليو/ ٢٠٠٠ م يوم الجمعة.

وقد يلهو العلماء بإعادة وبرمجة الكائنات الحية بما فيهم الإنسان ليخرجوا لنا نشازاً وكائنات غريبة فتخيل أن تسمع حماراً يزقزق أو تري عصفورة بقرون والأدهي من ذلك أن ترى الإنسان السوبر إذا كان سيخرج لنا على هوى وتصميم العلماء سوبر وليس مارداً خارقاً مدمراً وهذا خرق لناموس الكون فكل ميسر لما خلق له ونحن لا نعلم هذه الكائنات ماذا سيكون موقعها على خريطة الحياة التي خلق الله فيها كل شيء بإحكام: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ[1]﴾ والقرآن يؤكد لنا أن ذلك سيحدث بالفعل حيث يقول الله تعالى ويسخر الله جل شأنه من ذلك العبث ومحاولة خلق مخلوقات فيقول تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا[2]﴾ وفي موقع آخر يقول الله تعالى ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ[3]﴾، فلن يسفر العبث بالكائنات وعلى رأسهم الإنسان إلّا عن شواذ وكائنات غريبة غير متقنة الصنعة وهذا بخلاف صنع الله ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ[4]، [5]﴾.

---

(١) سورة السجدة/ الآية: ٧.

(٢) سورة النساء/ الآية: ١١٩.

(٣) سورة الرعد/ الآية: ١٦.

(٤) سورة النمل/ الآية: ٨٨.

(٥) ينظر: إعادة برمجة الجنس البشري والخلط بين الكائنات الحية، بقلم: د. أميمة خفاجي، مدرس هندسة وراثية، جريد الأهرام المصرية، العدد ٤١٥٠٠ في ٢١/ يوليو/ ٢٠٠٠ م يوم الجمعة.

وختاماً يقول الدكتور عبد المتجلي خليفة[1]: (العبث بالبويضات محرم شرعاً تحريماً باتاً لأنه العلة الأصلية في تحريم الزنا واختلاط الأنساب. واتفقت الشرائع على حرمة الكليات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والنسل) أما ما يسمى بالتناسخ البيولوجي فهو تغيير لخلق الله سبحانه وهو العبث بعينه وإن العدوان على حياة الإنسان يعد من أكبر الكبائر)[2].

(١) أستاذ الفقه وعضو لجنة الفتاوي بالأزهر ينظر: الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: أ. د. سالم نجم منتديات الجلفة، لكل الجزائريين والعرب، ٩/ ٢/ ٢٠١٠ م: ص ٩.
(٢) المصدر نفسه.

الفصل الرابع:

الجينات والجريمة

وفيه مبحثان:

* **المبحث الأول: أثر الجينات في كشف الجريمة**

* **المبحث الثاني: السلاح الجيني والحرب البيولوجية**

المبحث الأول:

أثر الجينات في كشف الجريمة

وفيه ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول: التعريف بالجريمة**
* **المطلب الثاني:الجينات تكشف الجريمة**
* **المطلب الثالث: الجينات لا تبرر الجريمة**

المطلب الأول:

التعريف بالجريمة

الجريمة في اللغة: من الجرم: أي الذنب، جرم جرماً أذنب ويقال جرم نفسه وقومه وجرم عليهم وإليهم جنى جناية وفلان لأهله كسب والرجل أكسب هجر ما وفي التنزيل العزيز ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ [1]﴾، لا يحملنكم بغض قوم على الاعتداء عليهم[2].

وتَجَرَّم عليه أي ادعى عليه ذنباً لم يفعله وقولهم لا جَرَمَ قال الفرّاء هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاف لذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم ألا تراهم يقولون

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٨.

(٢) الصحاح للجوهري: [٦/ ١٦٣]، المعجم الوسيط: [١ /١١٨].

لا جرم لآتينك قالوا ليس قول من قال جرم تحققت بشيء[1].

وفي الاصطلاح: الْجَرَائِمُ مَحْظُورَات شَرْعِيَّةٌ زَجَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا بِحَدٍّ أَوْ تَعْزِيرٍ[2].

فالجريمة فعل ما نهى الله عنه، وعصيان ما أمر به، أو بعبارة أعم: هي عصيان ما أمر الله به بحكم الشرع الشريف[3].

وأصل كلمة جريمة من جرم بمعنى كسب وقطع، ويظهر أن هذه الكلمة خصصت من القديم للكسب المكروه غير المستحسن، ولذلك كانت كلمة جرم ويراد منها الحمل على فعل حملاً آثماً، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ[4]﴾، أي: لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد، فيصيبكم مثلما أصاب قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط من النقمة والعذاب[5].

وكذا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ

---

(١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، بيروت، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م: [ص ١١٩].

(٢) الأحكام السلطانية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، تحقيق: عبد الحميد حمدان، عالم الكتب، الطبعة ألولى، ٢٠٠٧م [١ / ٤٣٨]

(٣) ينظر: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي: الأمام محمد أبو هريرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨ م: ص ٢٠.

(٤) سورة هود/ الآية: ٨٩.

(٥) تفسير ابن كثير: [٤ / ٣٤٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] أي: لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد في كل حال[2].

والظاهرة الإجرامية إحدى سمات المجتمعات بسبب الصراع على إشباع حاجات الأفراد غير المتناهية. ووجدت فكرة الجزاء بالفطرة في كل جماعة إنسانية، وإن اختلفت صورته، أو تباينت وجهات النظر في تحديد أهداف العقوبة[3].

والواقع أن الهدف من العقوبة مجموع هذه الأمور، فإن الجزاء للردع والتخويف، وللإصلاح والتهذيب معاً، ولإرضاء الشعور بالعدالة في ضمير المجتمع، وقد أدى التطور أخيراً إلى اعتبار العقوبة وسيلة دفاع عن المجتمع من خطر الجريمة، فالعقوبة بمعناها الحديث تؤدي وظيفتها الدفاعية عن المجتمع في لحظات ثلاث: اللحظة التشريعية: أي عند سن قانون العقوبات لإظهار الخشية من العقاب، واللحظة القضائية: أي عند إصدار الحكم بالعقوبة، لحماية المجتمع من جرائم جديدة تحدث فيه لو لم تلق الجريمة جزاءها، واللحظة التنفيذية: أي عند توقيع العقوبة المحكوم بها لإصلاح الجاني عن طريق إيلامه، حتى لا يعود إلى الجريمة مرة أخرى[4].

وللجرائم أنواع كثيرة من الناحية الاجتماعية، فهناك جرائم ضد الممتلكات كالسرقة وتسميم الماشية، والحريق، وجرائم ضد النفوس

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٨.

(٢) تفسير ابن كثير: [٢/ ١٢].

(٣) الإجرام والعقاب في مصر للدكتور حسن المرصفاوي: ص ٢٣١. منقول من كتاب الزحيلي الفقه الإسلامي وأدلته [٧ / ٢٣١].

(٤) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: [٧ / ٢٣١].

والأفراد، كالضرب والقتل وهتك العرض، وجرائم ضد النظام العام، كجرائم أمن الدولة والتخريب والتجسس، وجرائم على الدين وأهله كالاعتداء على أماكن العبادة وعلى المصلين، وجرائم على الأسرة كإهمال الأطفال والزنا والخيانة الزوجية، وجرائم ضد الأخلاق كالأفعال الفاضحة الجارحة للحياء في الأماكن العامة[1].

وتنوعت الجرائم وتفنن المجرمون فيها في العصر الحاضر، فارتكبوا جرائم لا تكاد تخطر على بال، كاغتصاب المرأة وهي تسير في شارع عام، وخطف الأطفال والنساء للبيع، وهو الرقيق الأبيض، ذكرت وكالة رويتر أن ضابطاً كبيراً في قوة حرس الحدود في بنغلاديش قال: إن أفراد الحرس أنقذوا حوالى (٦٠) رجلاً وامرأة وطفلاً من البيع خارج البلاد للعمل في البغاء واستخدامهم كمصادر لعمليات زرع الأعضاء البشرية، وقد تقدمت الحكومة في (١٩٨٨/ ٧/ ١) بمشروع قانون إلى البرلمان يقضي بإعدام بائعي بنات حواء[2].

وتصاعدت عملية الإتجار بالأطفال، فهناك مليون طفل يخطفون ويباعون سنوياً في العالم[3]، ويوجد في الكيان الصهيوني اليوم ٢٠٠٠ طفل برازيلي مخطوفين، تزودهم لإسرائيل عصابة تقوم بدراسة عمليات خطف الأطفال، وتعيش فرنسا ظاهر ةاجتماعية خطيرة هي ظاهرة خطف الفتيات دون العاشرة من الأماكن العامة لاغتصابهن ثم قتلهن بصورة

(١) المصدر نفسه.

(٢) جريدة البيان في الإمارات بتاريخ ٢/ ٧/ ١٩٨٨ م. نقلاً عن الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: [٧ / ٢٣٢].

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: [٧ / ٢٣٢]، نقلاً عن جريدة الاتحاد في الإمارات بتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٩٨٨ م.

وحشية، وبدأت فئات كثيرة تنادي بإعادة عقوبة الإعدام[1].

وكثرت عاطي المخدرات والإدمان عليها، حتى ارتفع عدد ضحاياها في إيطاليا مثلاًإلى (٥٠٠) قتيل من جراء الإدمان، وكشفت إحصائية لمنظمة الصحة العالمية في عام (١٩٨٥) عن وجود (٣٢) مليون مدمن في العالم، وطالب مفتي مصر بإعدام تجار المخدرات علانية أمام الشعب في الساحات العامة، للعظة والعبرة والزجر بسبب شيوع المخدرات في مصر[2].

وتزايدت نسبة الجرائم في بريطانيا، وكذا في المجتمع الأمريكي من قتل وسرقة واغتصاب واعتداء، حتى بلغت في أمريكا أكثر من عشرة أضعاف ما كانت عليه بين (١٩٥٠، ١٩٦٤) بسبب الرخاء والازدهار الاقتصادي في كل من مدينة نيويورك وأطلنطا وبوسطن، وتفشت ظاهرة المخدرات في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وكثر المصابون بالإيدز أو الشذوذ الجنسي، حتى بلغ عددهم في العالم أكثر من عشرة ملايين من الذكور والإناث[3].

وزادت نسبة جرائم النهب والسلب في بريطانيا في عام (١٩٨٧) بنسبة (١٢٪) وبلغت (٤٥،٠٠٠) جريمة، بسبب زيادة معدل الرخاء، وغيبة

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: [٧ / ٢٣٢]، نقلاً عن جريدة الاتحاد بتاريخ ٨٨/ ٤/ ٣٠، و٣/ ١٠/ ١٩٨٨ م.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: [٧ / ٢٣٢] نقلا عن: جريدة الفجر في الإمارات بتاريخ ٢٢/ ٩/ ١٩٨٨ م، الاتحاد ٨/ ١٠/ ١٩٨٨ م.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: [٧ / ٢٣٢] نقلاً عن: المجلة العربية للدراسات الأمنية في الرياض، شهر ذي الحجة ١٤٠٦ هـ الموافق شهر آب «أغسطس» عام ١٩٨٦ م. ص ١٠٦.

الوازع الديني، فإن المدنية الحديثة البعيدة عن هدي الله والدين وتعاليمه أفرزت مثل هذه الظواهر الإجرامية الشاذة، كما أفرزت فلسفات مادية منحدرة، وكلها تؤذن بتدمير وتخريب معالم الحضارة الحديثة القائمة على مجرد المادة، وتغفل جانب الأخلاق والدين والقيم الإنسانية، والخروج عن مبادئ العدالة والمساواة. ومثال ذلك: يعتبر عدد السجناء الذين ينتظرون الموت في الولايات المتحدة الأمريكية أعلى رقم سجل في ذلك البلد عام (١٩٨٦)، ويتزايد معدل تنفيذ الإعدام بصورة مستمرة، وتشير الأدلة إلى أن استخدام عقوبة الإعدام في أمريكا يقوم على أساس تعسفي ومتحيز عنصرياً وغير عادل، ويشمل من ينتظرون الموت رجالاً ونساء، مرضى عقليين أو متخلفين عقلياً، وأشخاصاً مازالت أعمارهم أقل من (١٨ عاماً)، أو كانت أعمارهم أقل من (١٨ عاماً) عندما ارتكبوا جرائمهم، ونصف هؤلاء تقريباً من السود، والكثير منهم قد أدين بموجب سلطات قضائية، وجسدت الدراسات أن تطبيق عقوبة الإعدام فيها قائمة على التمييز العنصري[1].

(١) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: [٧ / ٢٣٣] نقلا عن: نشرة منظمة العفو الدولية عام ١٩٨٦: ص ١.

المطلب الثاني:

الجينات تكشف الجريمة

البصمة الوراثية تدل على هوية كل إنسان بعينه، وأنها أفضل وسيلة علمية لتحقق من الشخصية، ومعرفة الصفات الوراثية المميزة للشخص عن غيره عن طريق الأخذ من أي خلية من خلايا جسم الإنسان: من الدم أو اللعاب، أو المني، أو البول، أو غير ذلك، والاستدلال من خلال نتيجة البصمة الوراثية على مرتكبي الجرائم، ومعرفة الجناة عند الاشتباه، سواء كانت جريمة زنا أو قتل أو اعتداء على ما دون النفس، أو سرقة أو حرابة، أو قضية اختطاف، أو انتحال لشخصيات الآخرين، أو غير ذلك من أنواع الجرائم والجنايات على النفس، أو العرض أو المال، فإنه ـ كما يري المختصون ـ يمكن الاستدلال عن طريق البصمة الوراثية على مرتكب الجريمة والتعرف على الجاني الحقيقي من بين المتهمين من خلال أخذ ما يسقط من جسم الجاني الحقيقي من بين المتهمين من خلال أخذ ما يسقط من جسم الجاني في محل الجريمة وما حوله، وإجراء تحاليل البصمة الوراثية على تلك العينات المأخوذة، ومطابقتها على البصمات

الوراثية للمهتمين بعد إجراء الفحوصات المخبرية على بصماتهم الوراثية[1].

فعند تطابق البصمة الوراثية للعينة المأخوذة من محل الجريمة، مع نتيجة البصمة الوراثية لأحد المتهمين، فإنه يكاد يجزم بأنه مرتكب الجريمة دون غيره من المتهمين، في حالة كون الجاني واحداً . وقد يتعدد الجناة ويعرف ذلك من خلال تعدد العينات الموجودة في مسرح الجريمة، ويتم التعرف عليهم من بين المتهمين من خلال مطابقة البصمات الوراثية لهم مع بصمات العينات الموجودة في محل الجريمة[2].

ويرى المختصون أن النتيجة في هذه الحالات قطعية أو شبه قطعية ولا سيما عند تكرار التجارب، ودقة المعامل المخبرية، ومهارة خبراء البصمة الوراثية، فالنتائج مع توفر هذه الضمانات قد تكون قطعية أو شبه قطعية الدلالة على أن المتهم كان موجوداً في محل الجريمة، لكنها ظنية في كونه هو الفاعل حقيقة[3].

يقول أحد الأطباء: (لقد ثبت أن استعمال الأسلوب العلمي الحديث بأعداد كثيرة من الصفات الوراثية كدلالات للبصمة الوراثية يسهل اتخاذ القرار بالإثبات أو النفي للأبوة والنسب والقرابة بالإضافة إلى مختلف القضايا الجنائية مثل: التعرف على وجود القاتل أو السارق، أو الزاني من عقب السيجارة، حيث إن وجود أثر اللعاب أو وجود بقايا من بشرة الجاني أو شعرة من جسمه أو من مسحات من المني مأخوذة من جسد

---

(١) البصمة الوراثية: د. عمر سبيل: ص ٧٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) البصمة الوراثية وتأثيرها على النسب إثباتاً أو نفياً للدكتور نجم عبد الواحد: ص ٥.

المرأة تشكل مادة خصبة لاكتشاف صاحب البصمة الوراثية من هذه الأجزاء. ونسب النجاح في الوصول إلى القرار الصحيح مطمئنة، لأنه في حالة الشك يتم زيادة عدد الأحماض الأمينية، ومن ثم زيادة عدد الصفات الوراثية)[١].

بناء على ما ذكر عن حقيقة البصمة الوراثية، فإن استخدامها في الوصول إلى معرفة الجاني، والاستدلال بها كقرينة من القرائن المعينة على اكتشاف المجرمين، وإيقاع العقوبات المشروعة عليهم في غير الحدود والقصاص، أمر ظاهر الصحة والجواز، لدلالة الأدلة الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة على الأخذ بالقرائن، والحكم بموجبها ومشروعية استعمال الوسائل المتنوعة لاستخراج الحق ومعرفته.

والقول بجواز الأخذ بالبصمة الوراثية في المجال الجنائي في غير قضايا الحدود والقصاص هو ما ذهب إليه الفقهاء في المجامع والندوات العلمية الشرعية التي تم بحث هذه المسألة فيها، فقد جاء في مشروع قرار المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي ما نصه (إن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته (١٥) المنعقد في مكة المكرمة التي بدأت يوم السبت ٩/ ٧/ ١٤١٩ هـ الموافق ٣١/ ١٠/ ١٩٩٨ م وقد نظر في موضوع البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، وبعد التدارس والمناقشات قرر المجلس ما يلي:

أولاً: البصمة الوراثية بمثابة دليل يمكن الاعتماد عليها في المجالات التالية:

---

(١) المصدر نفسه.

١ ـ في إثبات الجرائم التي لا يترتب عليها حد شرعي. . . إلخ.

وجاء في توصية الندوة الفقهية حول الوراثة والهندسة الوراثية ما نصه (البصمة الوراثية من الناحية العلمية وسيلة لا تكاد تخطئ في التحقق من الو الدية البيولوجية، والتحقق من الشخصية، ولا سيما في مجال الطب الشرعي، وهي ترقى إلى مستوي القرائن القوية التي يأخذ بها أكثر الفقهاء في غير قضايا الحدود الشرعية[١].

وإنما قيل بمشروعية الأخذ بالبصمة الوراثية كقرينة من القرائن التي يتدل بها على المتهم في قضايا الجرائم المختلفة، ولكن لا يثبت بموجبها حد ولا قصاص، لأمرين:

أما الأول: فلأن الحد والقصاص لا يثبت إلّا بشهادة أو إقرار، دون غيرهما من وسائل الإثبات عند كثير من الفقهاء.

وأما الثاني: فلأن الشارع يتشوف إلى درء الحد والقصاص، لأنهما لا يُدرءان بأي شبه أو احتمال.

والشبه في البصمة الوراثية ظاهرة، لأنها إنما تثبت بيقين هوية صاحب الأثر في محل الجريمة، أو ما حوله، لكنها مع ذلك تظل ظنية عند تعدد أصحاب البصمات على الشيء الواحد أو وجود صاحب البصمة قدراً في مكان الجريمة قبل أو بعد وقوعها، أو غير ذلك من أوجه الظن المحتملة[٢].

والمستند الشرعي لجواز الأخذ بالبصمة الوراثية في المجال الجنائي

(١) ملخص أعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية ص ٤٧.
(٢) ملحق أعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية ص ٢١.

إنها وسيلة لغاية مشروعة، وللوسائل حكم الغايات، ولما في الأخذ بها في هذا المجال من تحقيق لمصالح كثيرة، ودرء لمفاسد ظاهرة، ومبنى الشريعة كلها على قاعدة الشرع الكبرى، وهي (**جلب المصالح ودرء المفاسد**) وأخذاً بما ذهب إليه جمهور الفقهاء من مشروعية العمل بالقرائن والحكم بمقتضاها، والحاجة إلى الاستعانة بها على إظهار الحق، وبيانه بأي وسيلة قد تدل عليه، أو قرينة قد تبينه، استناداً للأدلة الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة الدالة على ذلك وعملاً بما درج عليه الولاة والقضاة منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم في عصور الإسلام المختلفة إلى يومنا هذا من استظهار للحق بالقرائن، والحكم بموجبها، كما قال العلامة بن القيم رحمه الله (ولم يزل حذاق الحكام والولاة يستخرجون الحقوق بالفراسة والأمارات فإذا ظهرت لم يقدموا عليها شهادة تخالفها ولا إقراراً، وقد صرح الفقهاء كلهم بأن الحاكم إذا ارتاب بالشهود فرقهم وسألهم كيف تحملوا الشهادة وأين تحملوها؟ وذلك واجب عليه متى عدل عنه أثم وجار في الحكم، وكذلك إذا ارتاب بالدعوى سال المدعي عن سبب الحق وأين كان؟ ونظر في الحال هل يقتضي صحة ذلك؟ وكذلك إذا ارتاب بمن القول قوله، والمدعى عليه، وجب عليه أن يستكشف الحال ويسأل عن القرائن التي تدل على صورة الحال، وقل حاكم أو وال اعتنى بذلك وصار له فيه ملكة إلّا وعرف المحق من المبطل، وأصل الحقوق إلى أهلها. . .)[1].

وقال ابن العربي: على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت فما ترجح منها قضي بجانب الترجيح، وهو قوة التهمة، ولا خلاف في الحكم بها وقد جاء العمل بها في مسائل اتفقت عليها الطوائف

(١) الطرق الحكمية ص ٢٤.

الأربعة، وبعضها قال بها المالكية خاصة[1].

قد كان القضاة قديماً يستعينون بالقافة لمعرفة آثار أقدام المجرمين ثم مع التقدم العلمي أصبح الأخذ ببصمات الأصابع قرينة من أشهر القرائن في التعرف على الجناة، واكتشاف المجرمين، وأضحى العمل بها شائعاً في بلاد الإسلام وغيرها[2].

ولعله يحسن أن أسواق هنا بعض الأدلة من الكتاب والسنة وغيرها في الدلالة على مشروعية العمل بالقرائن، والحكم بمقتضاها فمن ذلك:

أولاً: من الكتاب:

قول الله عز وجل ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ[3]﴾.

فاعتبر موضع قد القميص دليلاً على صدق أحدهما، وقد حكى الله سبحانه وتعالى هذه القصة مقرراً لها[4].

ثانياً من السنة:

وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة منها:

---

(١) تبصرة الحكام لابن فرحون ٢/ ٩٥، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، تأليف علاء الدين أبي الحسين علي بن خليل الطرابلسي الحنفي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م، الطبعة الثانية: ص ١٦٦.

(٢) النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود، تأليف: د. عبد الله الركبان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م، الطبعة الأولى: ٢/ ٢٧٥.

(٣) سورة يوسف/ الآية: ٢٦ ـ ٢٨.

(٤) تبصرة الحكام ٢/ ٩٣، النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود ٢/ ٢١٣.

١ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الزرع والأرض والنخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء[١] وشرط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكاً[٢] فيه مال وحلي لحي بن أخطب، كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت بنوا النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حي بن أخطب: ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟ قال: أذهبته النفقات والحروب، قال العهد قريب والمال أكثر من ذلك، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير، فمسه بعذاب فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ها هنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة)[٣]

فقد اعتبر النبي ﷺ قرينة المال، وقصر المدة دليلاً على كذبه في دعواه نفاد المال فعزره بناء على هذه القرينة، فدل على اعتبار القرائن في إثبات الحقوق إذ لو لم تكن دليلاً شرعياً لما أمر ﷺ بضربه، لأنه ظلم، وهو عليه الصلاة والسلام منزه عنه[٤].

٢ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ﷺ أردت الخروج إلى خيبر فأتيت رسول الله ﷺ فسلمت عليه وقلت له: إني أردت الخروج إلى خيبر فقال: إذا أتيت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقاً فإذا أبتغي منك آية

---

(١) وهي الذهب والفضة. ينظر النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٧.

(٢) المسك هو الجلد. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٣١.

(٣) السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [٩ / ١٣٧] برقم (١٨١٦٨)، ٥١٩٩، صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط: [١١ / ٦٠٧]، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم [١ / ٤٥].

(٤) النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود ٢/ ٢١٤.

فضع يدك على ترقوته)[1].

فقد بين عليه الصلاة والسلام جواز الاعتماد على القرينة في الدفع للطالب، واعتبرها دليلاً على صدقه كشهادة الشهود[2].

ثالثاً: وردت آثار كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم من ولاة وقضاه تدل على أخذهم بالقرائن وحكمهم بمقتضاها، وقد ذكر العلامة بن القيم في كتابه (الطرق الحكيمة)، وابن فرحون في (تبصرة الحكام) آثار كثيرة عن عدد من الصحابة والتابعين: كعمر، وعلي، وكعب بن سور، وإياس، وغيرهم من مشاهير الولاة والقضاة.

رابعاً: أن الاعتماد على القرينة في الحكم أمر متقرر في الشرائع السابقة، يدل على ذلك، ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بينما امرأتان معهما أبناهما جاء الذئب، فذهب بابن أحدهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك أنت فتحاكمتا إلى داود فقضي به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ابنها، فقضي به للصغرى)[3].

فقد استدل سليمان عليه السلام بعدم موافقة الصغرى على شقه على أنها أمه، وأن اعترافها بالولد للكبرى راجع إلى شدة شفقتها عليه، فآثرت أن يحكم به لغيرها على أن يصيبه سوء، فحكم عليه السلام بالولد

---

(١) سنن أبي داود [٢ / ٣٣٨] برقم (٣٦٣٢) بسند حسن، سنن الدارقطني [٤ / ١٥٤] برقم (١)، التلخيص الحبير [٣ / ١٢٣].
(٢) النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود ٢/ ٢١٥.
(٣) صحيح مسلم: [٣ / ١٣٤٤] برقم (٢٠).

للصغرى بناء على هذه القرينة الظاهرة، وقدم تلك القرينة على إقرارها ببنوته للكبرى لعلمه أنه إقرار غير صحيح فلو لم يكن الحكم بالقرائن مشروعاً لما حكم سليمان بذلك[1].

وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه[2].

فهذه بعض الأدلة الدالة على جواز العمل بالقرائن وبناء الأحكام عليها، وأن عدم الأخذ بالقرائن جملة يؤدي إلى إضاعة كثير من الحقوق، وبالاستقراء يعلم أن بعض القرائن لا تقل قوة فبالدلالة على الحق عن الشهادة والإقرار، إن لم تكن أقوى منها.

وإذا كان العمل بالقرائن أمراً مشروعاً كما تدل عليه تلك الأدلة، فإن التوسع في ذلك والاعتماد على كل قرينة قد يؤدي إلى مجانبة الحق والبعد عن الصواب، فيجب ألّا يتعجل في الأخذ بالقرينة إلّا بعد إمعان النظر وتقليب الأمر على مختلف الوجوه، إذ قد تبدو القرائن قاطعة الدلالة لا يتطرق إليها احتمال، فلا تلبث أن يتبين ضعفها ويتضح أنها بعيدة عما يراد الاستدلال بها عليه[3].

على أن الاحتياط في الأخذ بالقرائن ليس معناه أنها لا تعتبر إلّا إذا كانت دلالتها قطعية، لأن ذلك أمر يصعب تحققه، فما من دليل إلّا ويتطرق إليه الاحتمال، وإنما مبنى الأمر على الظن الغالب، فإن أقوى

---

(١) الطرق الحكمية ص ٥، النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود ٢/ ٢١٥.

(٢) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول [ص ٤٤١]، اللمع في أصول الفقه: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ: [ص ٦٣]، تيسير التحرير: محمد أمين ـ المعروف بأمير بادشاه، المتوفى ـ ٩٧٢ هـ، دار الفكر: [٣ / ١٨٩].

(٣) النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود ٢/ ٢١٦.

الأدلة الشرعية الإقرار والشهادة، وقد دلت بعضاً من الحوادث على أن بعضاً من الإقرارات لا يكون مطابقاً للواقع، لأنه صادر تحت تأثير الرغبة أو الرهبة، أو عدم التصور الكامل للشيء المقر به، وأن بعضاً من الشهود قد يبدو صدقهم فيما شهدوا به لاتصافهم بالعدالة الظاهرة، ثم تسفر الحقيقة عن خلاف ذلك فليس ما يعتري القرينة من احتمال الضعف بأكثر ولا بأقوى مما يعتري الشهادة أو الإقرار[1].

ومن يتتبع المأثور عن قضاة السلف في مختلف العصور لا يساوره شك في أن الأخذ بالقرائن والعمل بمقتضاها في إثبات كثير من الحقوق أمر تدعو إليه الشريعة، ويتفق مع غرض الشارع من إقامة العدل بين الناس وإيصال الحقوق إلى أربابها[2].

وقد أوضح العلامة ابن القيم القول باعتبار القرائن وبناء الأحكام عليها أتم إيضاح وأسهب في الاستدلال لذلك بكثير من الآيات والأحاديث والآثار التي تدل على اعتبار القرائن دليلاً من الأدلة الشرعية، ثم قال: (وبالجملة، فالبينة اسم لكل ما يبين الحق ويظهره ومن خصها بالشاهدين أو الأربعة أو الشاهدان، إنما أتت مراداً بها الحجة والدليل والبرهان، مفردة ومجموعة. وكذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: (البينة على المدعي)[3] المراد به: أن عليه بيان ما يصحح دعواه ليحكم له،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود ٢/٢١٦.

(٣) سنن الترمذي [٣ / ٦٢٦] باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، برقم (١٣٤١)، مسند الشافعي [ص ١٩١] برقم (٩٣٣)، السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [١٠ / ٢٥٢] برقم (٢٠٩٩٠)، سنن الدارقطني [٤ / ١٥٧] برقم (٨).

والشاهدان من البينة، ولا ريب أن غيرها من أنواع البينة قد يكون أقوي منها، كدلالة الحال على صدق المدعي فإنها أقوى من دلالة أخبار الشاهد، والبينة، والدلالة، والحجة، والبرهان، والآية، والتبصرة، والعلامة، والإمارة متقاربة في المعنى، فالشارع لم يلغ القرائن والأمارات ودلائل الأحوال بل من استقرأ الشرع في مصادره وموارده وجده شاهداً لها بالاعتبار، مرتباً عليها الأحكام)[1].

والواقع أن العمل بالقرائن أمر لا محيد عنه، وقل أن تجد عالماً من العلماء استطاع أن يتجنب الأخذ بالقرائن كلية، وحتى الذين صرحوا بعدم قبولها كدليل صالح لبناء الأحكام عليها عملوا بها في كثير من المواضع ومن يستقري كتب الفقه الإسلامي يجد مسائل لا حصر لها اعتمد الفقهاء فيها على قرائن الأحوال. ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: الإجماع على جواز وطء الزوج لزوجته إذا زفت إليه ليلة الزواج وإن لم يعرف عينها ولم يشهد عنده شاهدان أنها زوجته اعتمادا على القرينة الظاهرة.

ثانياً: قبول الشهادة على القتل والحكم على القاتل بالقصاص، إذا قال الشهود: إن الجني قتل المجني عليه عمداً عدواناً، مع أن العمدية صفة قائمة بالنفس لا يعلم بها إلّا الله، ومع ذلك قبلت الشهادة اعتماداً على القرائن الظاهرة، كاستخدام آلة تقتل غالباً وإتباع الجاني للمجني عليه، وما أشبه ذلك مما استوحي منه أن الجاني تعمد القتل.

ثالثاً: الحكم على التخنثي بأنه رجل أو امرأة على الأمارات التي تدل على ذلك.

---

(١) الطرق الحكيمة ص ١١.

رابعاً: اعتبار سكوت البكر موافقة منها على الزواج، والسكوت ليس إلا قرينة على رضاها .

خامساً: قبول إيمان الأولياء في القسامة، والحكم على المتهم بالقوض أو الدية على الخلاف في ذلك، مع أن الأولياء لم يشاهدوا القتل، وإنما اعتمدوا على اللوث، وهو ليس إلّا قرينة تدل على ارتكاب المدعي عليه للقتل.

سادساً: عدم قبول إقرار المريض مرض الموت لوارثه لاحتمال تهمة محاباة المقر له، وهي قرينة ظاهرة.

فهذه أمثلة على بعض المسائل التي حكم الفقهاء فيها بالقرائن المجردة على أي دليل آخر، أو ردتها للدلالة على ما ذكر من أن جمهور الفقهاء قد ذهبوا إلى القول بمشروعية الحكم بالقرائن(١) .

ولعله لهذا يتجلى مشروعية الأخذ بالبصمة الوراثية في المجال الجنائي في مختلف صوره وأنواعه كقرينة من أقوى القرائن التي يستدل بها على معرفة الجناة ومرتكبي الجرائم، لما ثبت بالتجارب العلمية المتكررة من ذوي الخبرة والاختصاص في أنحاء العالم من صحة نتائجها وثبوتها، مما يجعل القول بمشروعية الأخذ بها، والحكم بمقتضى نتائجها ـ في غير قضايا الحدود والقصاص عند توفر الشروط والضوابط ـ أمراً في غاية الظهور والوجاهة(٢) .

---

(١) ينظر: الطرق الحكمية ص ١٩ وتبصرة الحكام ٢/ ٩٥، ومعين الحكام ص ٦٦ والنظرية العامة لإثبات موجبات الحدود ٢/ ٢١٨.

(٢) البصمة الوراثية للشيخ د. عمر السبيل [ص ٦٥].

ومع ذلك فإن استثناء قضايا الحدود والقصاص هو من باب الاحتياط لهذه القضايا الخطيرة، وأخذاً بما ذهب إليه جمهور الفقهاء من عدم إثبات الحدود والقصاص إلّا بالشهادة، أو الإقرار دون غيرهما من وسائل الإثبات.

غير أنه يمكن القول بمشروعية الأخذ بالبصمة الوراثية أيضاً في قضايا الحدود والقصاص بناء على ما ذهب إليه بعض الفقهاء من إثبات بعض الحدود والقصاص بالقرائن والأمارات الدالة على موجبها وأن لم يثبت ذلك بالشهادة أو الإقرار، ومن ذلك ما يأتي:

١ ـ إثبات حد الزنا على المرآة الحامل إذا لم تكن ذات زوج ولا سيد[١].

٢ ـ إثبات حد الزنا على المرأة الملاعنة عند نكولها عن اللعان[٢].

٣ ـ إثبات حد الخمر على من وجد فيه رائحته أو تقيئه، أو في حالة سكره[٣].

٤ ـ إثبات حد السرقة على من وجد عنده المال المسروق[٤].

٥ ـ ثبوت القصاص على من وجد وحده قائماً وفي يده سكين عند قتيل يتشحط في دمه[٥].

---

(١) تبصرة الحكام ٢/ ٩٤، الطرق الحكمية، ص ٧.
(٢) بداية المجتهد ٢/ ٩٠ والمهذب ٢/ ١٢٨ والمحلي ١٠/ ١٤٥ والإنصاف ٩/ ٢٤٩.
(٣) بداية المجتهد ٢/ ٣٣٣، تبصرة الحكام ٢/ ٩٥، والإنصاف ١٠/ ٢٣٣.
(٤) الطرق الحكيمة ص ٦.
(٥) الطرق الحكيمة ص ٧.

فلو قيست البصمة الوراثية على هذه المسائل التي أثبت بعض العلماء فيها الحد والقصاص من غير شهود ولا إقرار وإنما أخذاً بالقرينة وحكماً بها، لم يكن الأخذ عندئذ بالبصمة الوراثية والحكم بمقتضاها في قضايا الحدود والقصاص بعيداً عن الحق ولا مجانباً للصواب فيما يظهر قياساً على تلك المسائل، لا سيما إذا حف بالقضية أو الحال من قرائن الأحوال ما يؤكد صحة النتائج قطعاً لدى الحاكم، كمعرفته بأمانة ومهرة خبراء البصمة، ودقة المعامل المخبرية، وتطورها، وتكرار التجارب سيما في أكثر من مختبر، وعلى أيدي خبراء آخرين يطمئن الحاكم إلى أمانتهم، وخبرتهم المميزة، وغير ذلك من القرائن والأحوال التي تحمل الحاكم الشرعي إلى الاطمئنان إلى صحة النتائج، وترجح ظهور الحق وبيانه عنده بالبصمة الوراثية، إذ البينة ما أثرت عن وجه الحق وبينته بأي وسيلة.

قال العلامة ابن القيم: (فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم، وأعدل أن يخص طرق العدل وأمارته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أصغر منها وأقوي دلالة وأبين أمارة، فلا يجعله منها ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصودة إقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين ليست مخالفة لهم[1].

وإذا صح قياس البصمة الوراثية على تلك المسائل، وانسحب عليها الخلاف الحاصل في تلك المسائل، سوغ للحاكم عندئذ أن يحكم بأي القولين ترح عنده بحسب ما يحف بالقضية من قرائن قد تدعوه إلى إثبات

---

(١) الطرق الحكيمة ص ١٤.

الحد أو القصاص بها، أو ضعف القرائن، وتطرق الشك إليه في قضية أخرى فيحمله ذلك على الاحتياط والأخذ بما ذهب إليه الجمهور من عدم إثبات الحد والقصاص بمثل هذه القرائن، فحكم الحاكم بأي قول من القولين يرفع الخلاف الحاصل، كما هو إجماع العلماء، ولا لوم على القاضي في الحكم بإحدى القولين إذا تحرى واجتهد في معرفة الحق، ونظر في جميع القرائن والأحوال ثم حكم به بعد التأمل والنظر بل هذا هو الواجب والمتعين على الحاكم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (والحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات، ودلائل الحال ومعرفة شواهده، وفي القرائن الحالية والمقالية، كفقهه في جزئيات وكليات الأحكام، أضاع حقوقاً كثيرة على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه، ولا يشكون فيه اعتماداً منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله، فها هنا نوعان من الفقه لا بد للحاكم منهما: فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس يميز به بين الصادق والكاذب، والحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفاً للواقع)[1].

ثم ذكر رحمه الله جملة من الأدلة الدالة على الأخذ بالقرائن والحكم بمقتضاها ومن ذلك قوله: (وقد حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحابة معه برجم المرأة التي ظهر بها حمل ولا زوج لها ولا سيد، وذهب إليه مالك وأحمد في أصح روايته اعتماداً على القرينة الظاهرة. وحكم عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ـ ولا يعرف لهما

---

(١) الطرق الحكيمة ص ٤.

مخالف من الصحابة ـ بوجوب الحد برائحة الخمر من في الرجل، أو قيئه خمراً، اعتماد على القرينة الظاهرة، ولم يزل الأئمة والخلفاء يحكمون بالقطع إذا وجد المال المسوق مع المتهم، وهذه القرينة أقوى من البينة والإقرار، فإنهما خبران يتطرق إليهما الصدق والكذب، ووجود المال معه نص صريح لا يتطرق إليه شبهة، وهل يشك أحد قتيلاً يتشحط في دمه، وآخر قائم على رأسه بالسكين أنه قتله، ولا سيما إذا عرف بعداوته[1].

ولهذا جوز جمهور العلماء لولي القتيل أن يحلف خمسين يميناً: أن ذلك الرجل قتله، ثم قال مالك وأحمد: يقتل به، وقال الشافعي، يقضي عليه بديته، وكذلك إذا رأينا رجل مكشوف الرأس ـ وليس ذلك عادته ـ وآخر هارب قدامه بيده عمامة وعلى رأسه عمامة، حكمنا له بالعمامة التي بيد الهارب قطعاً، ولا نحكم بها لصاحب اليد التي قد قطعنا وجزمنا بأنها يد ظالمة غاصبة بالقرينة الظاهرة التي هي أقوي بكثير من البينة والاعتراف، وهل القضاء النكول إلّا رجوع إلى مجرد القرينة الظاهرة التي علمنا بها ظاهراً أنه لولا صدق المدعي لهدف المدعي عليه دعواه باليمين، فلما نكل عنها كان نكوله قرينة ظاهرة دالة على صدق المدعي، فقدمت على أصل براءة الذمة وكثير من القرائن والأمارات أقوي من النكول، والحس شاهد بذلك، فكيف يسوغ تعطيل شهادتها)[2].

---

(١) الطرق الحكمية: ص ٦ ـ ٧.

(٢) الطرق الحكمية: ص ٦ ـ ٧.

المطلب الثالث:

الجينات لا تبرر الجريمة

مع ظهور السلوكيات الإجرامية لدى صغار السن أولى كثير من العلماء اهتمامهم بهذه السلوكيات فمرة يربطونها بطريقة التربية وأخرى يلقونها على البيئة المحيطة، وفي المدة الأخيرة توصل العلماء إلى العنصر الضابط لكل هذه السلوكيات، وكانت المفاجأة الكبرى أن هذا العنصر يتمثل في جين موروث غالباً يظهر لدى الذكور يعد هو المسؤول عن الميل إلى العنف لكنه يتأثر بالبيئة المحيطة وطريقة التربية ومدى المعاناة التي يتعرض لها بعض الصغار في سنوات أعمارهم الأولى[١].

ومن خلال الدراسات البحثية حدثت مفاجأة أخرى هددت الأبحاث من أساسها! فقد اكتشف فريق البحث أن هذا الجين المسؤول عن السلوك الإجرامي لدى الأطفال موجودة في أطفال آخرين من أصحاب السلوك المنضبطة الذين يتمتعون بقدر كبير من الهدوء والالتزام ولكن هذه السلبية

(١) جينات السلوك الإجرامي لدى الأطفال، د./ معتز محيي عبد الحميد، موقع EGYPT.com في ٦/٦/ ٢٠٠٧ م.

لم تدم طويلاً إذ اكتشف العلماء أن هذا الجين ينشط فقط عندما يتعرض صاحبه للحرمان أو سوء المعاملة خلال مدة الطفولة إذ أسفرت الدراسات عن أن ٧٥٪ من أصحاب هذا الجين الوراثي الذين عانوا من سوء المعاملة في طفولتهم هم الذين أصبح سلوكهم فيما بعد إجرامياً ومخالفاً للأصول الاجتماعية، أما الذين عاشوا في منازل هادئة واحتوتهم أسرهم فقد كانوا أكثر ميلاً إلى الهدوء والانضباط والغريب من الجين الوراثي لديهم تحول إلى (جين) مفيد حماهم من التوتر في المواقف المختلفة، وأبدى بعض العلماء قلقه من تصنيف الأطفال على أنهم مثيرو متاعب قبل أن يرتكبوا أية جريمة يحاسبون عليها وذلك اعتماداً على تحليل الجينات الوراثية[١].

وقد قرر الإسلام أنه لا عقاب على ما يكون في القلب، ولا يخرج إلى العمل، فإنه قد وردت الآثار المتضافرة التي تثبت أنه لا عقاب في الدنيا ولا في الآخرة عما توسوس به النفس[٢]، فقد ورد أن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم)[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: ﷺ إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمنهم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومنهم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي: أبو هريرة: ١٧٤.

(٣) سنن ابن ماجة [١ /٦٥٨] باب من طلق في نفسه ولم يتكلم به برقم (٢٠٤٠) وهو حديث صحيح.

فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)[1].

وإنه من القواعد المقررة أن الشريعة الإسلامية لا يكتشف فيها القضاء أمور النيات والبواعث، ولكن يحكم فيها بما ظهر ويترك لله ما بطن، ويقول الشافعي: (فإنه عز وجل ظاهر عليهما لحجج فيما جعل إليهم من الحكم في الدنيا بأن لا يحكموا إلّا بما ظهر من المحكوم عليه وأن لا يجاوزوا أحسن ظاهره)[2].

فهذا هو حكم الإسلام بعدم الأخذ ببواطن الأمور في الحكم وإنما الأحكام مبنية على الظواهر لا على السرائر، فمحاولة جعل الجينات وما تحمله من ميول عدوانية أو إجرامية مبرراً للحكم على شخص ما بالبراءة الجنائية هو ضرب من التخبط في الأحكام، ومحاولة تبرير الجرائم لبعض مرتكبيها بأن الأمر خارج عن نطاق سيطرته، وأنه لا دخل له بذلك لأنه وبكل بساطة ولد مجرماً بالفطرة!

عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما من مولود إلّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء). ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [3]، [4]﴾.

---

(١) صحيح البخاري: [٥ / ٢٣٨٠] باب من هم بحسنة أو بسيئة برقم (٦١٢٦)، صحيح مسلم: [١ / ١١٨] باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب برقم (٢٠٧).
(٢) الأم ـ دار الفكر [٧ / ٣١٠].
(٣) سورة الروم/ الآية: ٣٠.
(٤) صحيح البخاري: [١ / ٤٥٦] باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل =

قوله على الفطرة: أي على الإسلام وقيل الفطرة الخلقة والمراد هنا القابلية لدين الحق إذ لو تركوا وطبائعهم لما اختاروا ديناً آخر، فإن الإنسان مجبول على الخير[1].

وقد جاء في الحديث القدسي عن رب العزة جل وعلا قوله: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[2] عن دينهم)[3].

والمعنى ما أحد يولد إلّا على هذا الأمر الذي هو تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين فلو ترك على تمكنه وتهيؤه المذكورين لاستمر على الهدى والدين ولم يفارقه إلى غيره لأن حسنه ركز في النفوس فلم يقعلها عدول عنه إلّا لآفة بشرية أو تقليد للغير ولذا قال تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي البقرة فجعل الهدى رأس المال الحاصل عندهم ثم عرضوه للزوال ببذله في أخذهم الضلالة البعيدة عنهم[4].

وقد اعترض عدد من العلماء المسلمين في مصر على ما انطلق من

يعرض على الصبي الإسلام، برقم (١٢٩٢)، صحيح مسلم: [٤ / ٢٠٤٧] باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم (٢٢).

(١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: المؤلف: بدر الدين أحمد العيني الحنفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨, م [٣٣ / ٤٢٣]، شرح سنن ابن ماجه: السيوطي، عبد الغني، فخر الحسن الدهلوي، الناشر: قديمي كتب خانة ـ كراتشي، (د.ت): [ص ٢٠].

(٢) اجتالتهم: أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل. ينظر: شرح النووي على مسلم [١٧ / ١٩٧].

(٣) صحيح مسلم: [٤ / ٢١٩٧] باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٦٣).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: الملا على القاري، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٧م: [١ / ٣٧٤].

دعوات في أمريكا، عقب إعلان كشف الخريطة الوراثية للإنسان؛ حيث أعلن البعض أن العلم الآن بصدد تحديد وتوظيف طبائع كل الناس وميولهم السلمية والعدوانية، عن طريق دراسة ما تحمله الجينات من مؤثرات تنعكس على تصرفات الإنسان، وأنه من المتوقع في الألفية الثالثة أن تشتمل البطاقات الشخصية على بيانات دقيقة عن الميول الغريزية لدى حامل البطاقة، يُعامل الشخص على أساسها أمام القانون وفي ساحات القضاء، كما يُعامل مرضى الاكتئاب النفسي بعدم تحملهم مسؤولية ما يصدر عنهم من جرائم[1].

* وقال الدكتور عبد العظيم المطعني ـ أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر ـ رافضاً هذا الطرح: هذه ظاهرة من ظواهر الحضارة الحديثة، وبدعة من بدع العلم لا نرفضها، ولكن استخدام علم الجينات لتبرير أن الإنسان قد يولد مجرماً بطبعه ليكون ذلك عذراً له في إعفائه من المسؤولية عما يقع منه من جرائم، فهذا أمر غير صحيح؛ لأن الله عز وجل يخلق الإنسان صفحة بيضاء نقية، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[2]﴾.

ويقول الرسول الكريم: كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه[3]،[4].

---

(١) الجينات.. لا تبرر الجريمة، د. وجدي سواحل، الأربعاء ٣ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ/ ٥ يوليو ٢٠٠٠ م الموقع: www.science-cafe.net/files/naif_crine_slides.pps

(٢) سورة الروم/ الآية: ٣٠

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الجينات.. لا تبرر الجريمة، د. وجدي سواحل، الأربعاء ٣ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ /

ومفاد هذه النصوص أن الإنسان لا يولد مجرماً بطبعه، وإنما يكتسب الإجرام من البيئة التي ينشأ فيها، ومن سوء التربية، ومناط المسؤولية والتكليف هو العقل، ولا يسقط التكليف إلّا بزوال العقل، وكل عاقل بلغته الدعوة مسؤول عما يفعل، وإذا كانت بعض الجينات تحبب إلى حاملها الميل إلى الشرور والإجرام، فإنه مع وجود العقل لا تسقط المسؤولية، ولا تعدو أن تكون هذه الجينات نوعاً من المغريات، عليه كبح جماحها، والتغلب عليها؛ وبناء على هذا لا يصح أن تثبت في البيانات الشخصية أعذار تعفي أصحابها من المسؤولية عن جناياتهم؛ لأن في هذا دعوة إلى الفوضى، وشيوع الجرائم المتعمدة، وهي جبرية جديدة غير جبرية جهم بن صنوان[1]، تدعو إليها حضارة الغرب المادية الحديثة، وتضخم بها قاموس بدعها المدمرة[2].

وقال الدكتور عبد الله سليمان القبارى: إنه أمام هذا الحشد المتواصل لهذه النوعية من الأخبار العلمية التي تُعرض بأشكال وصور مختلفة، علينا أن نتبين كيف يمكن ـ باسم العلم، ومن خلال ضروب من الممارسة تحسب على منهجه ـ كيف يمكن أن يسيء هذا العلم للإنسان أولاً فيسلبه

---

٥ يوليو ٢٠٠٠ م الموقع: www.science-cafe.net/files/naif_crine_slides.pps

(١) جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) السمرقندي، أبو محرز، من موالي بن يراسب: رأس الجهمية) قال الذهبي: الضال المبدع، هل كفيز ما نصغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: (لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت) وأمر بقتله، فقتل. ينظر: سير أعلام النبلاء: [١١ / ٢٦]، الأعلام للزركلي [٢ / ١٤١].

(٢) الجينات.. لا تبرر الجريمة، د. وجدي سواحل، الأربعاء ٣ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ / ٥ يوليو ٢٠٠٠ م = الموقع: www.science-cafe.net/files/naif_crine_slides.pps

شروط الإرادة، وخيارات التكوين، وطهارة النفس وتزكيتها، وقيم الفكر ومُثله، ليبدو مسخراً لتكوين حيوي (بيولوجي) لا إرادة فيه، منقاداً لجينات تطالعنا كشوفها كُلّ صباح، تَحكم سلوكه وتصرفاته، بل تجعله عبداً لفكر لاهوتي من نوع آخر، ربما يكون لاهوت العلم في زماننا هذا، وتلك مفارقات مخجلة محيرة: كيف يتاح للعلم أن يحرر الإنسان من لاهوت الكنيسة ليقع هذا الإنسان أسيراً للاهوت العلم؟![1].

(١) المصدر نفسه.

المبحث الثاني:

السلاح الجيني والحرب البيولوجية

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول:التعريف بالحرب البيولوجية
- المطلب الثاني: تاريخ الحرب البيولوجية
- المطلب الثالث: الموقف الشرعي من الحرب البيولوجية
- المطلب الرابع: المسلمون والسلاح الجيني

المطلب الأول:

التعريف بالحرب البيولوجية[1]

يقصد بالسلاح البيولوجي: الاستخدام المتعمد للجراثيم والميكروبات والفيروسات أو السموم لهدف القتل وأضرار وإتلاف النباتات والماشية والإنسان والبيئة[2].

وعرفت حكومة الولايات المتحدة الحرب البيولوجية بأنها: الاستزراع أو الإنتاج المتعمد للكائنات الممرضة من بكتيريا أو فطريات أو فيروسات ونواتجها السامة بجانب مركبات كيمائية معينة بهدف نشر المرض أو الموت، وتعتمد تعريض جماعة بشرية إلى مرض فتاك مثل الجمرة الخبيثة أو الطاعون[3].

---

(١) البيولوجي: لفظ لاتيني مؤلف من مقطعين (-Bio) معناها حياة، و(Logy) ومعناها علم أو دراسة فالمعنى: علم الأحياء أو دراسة الأحياء، وهذا العلم يهتم بدراسة الأحياء كالنباتات والحيوانات والكائنات الأخرى من حيث تركيبها وتصنيفها وبيئتها ينظر: مبادئ الأحياء للصف الأول المتوسط، جمهورية العراق، وزارة التربية، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م: ص ٨.

(٢) موقع: http://www.smsec.com/family/sc4all//war/htm في ٩/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

(٣) المصدر نفسه.

وتعدّ القنبلة الجينية إحدى الوسائل الخطيرة التي تستخدمها الدول الاستعمارية لإرهاب الدول ذات الإمكانات البيولوجية المحدودة، فقد كشفت الصحف البريطانية النقاب عن قيام إسرائيل بإنتاج فيروس يمكن أن يصيب فئة محددة من الناس وهم العرب[(١)].

فالحرب البيولوجية: هي الاستخدام العسكري للكائنات الحية المجهرية (البكتيريا أو الفطريات أو الفيروسات) بقصد إحداث الأمراض الوبائية أو الموت للإنسان أو الحيوان أو المحاصيل. ويمكن استخدام العناصر البيولوجية أيضاً لإصابة جنود العدو بالمرض لشل قدرتهم على القتال، أو إتلاف مخزون العدو من الأغذية. وتعتمد القدرة التدميرية للميكروبات على قدرتها الهائلة على الانقسام؛ حيث تنقسم الجرثومة الواحدة إلى ملايين من مثيلاتها في اليوم الواحد[(٢)].

وقد تستخدم التقينة الجينية في التصفية العرقية، إذ إن من الإفرازات التي تحملها تقنية الاستنساخ، الشعور بوجود أفراد وجماعات يملكون جينات متميزة، مما يدعوا البعض إلى محاولة استنساخ عدد من الأفراد المميزين، والخلفية التاريخية لتميز جنس دون جنس تنمي مثل هذا الشعور بالاستعلاء، والتعصب العرقي[(٣)].

ويهدف التحكم في الصفات الوراثية إلى تعديل الصفات الوراثية في

---

(١) الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخابرات والإرهاب، د. عبد الهادي مصباح، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة ألأولى، ١٤١٢ هـ ٢٠٠٠ م: ص ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: مستقبلنا الوراثي: الجمعية الطبية البريطانية، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، نيويورك، مطبعة جامعة أكسفورد، الناشر، المكتبة الأكاديمية، بالقاهرة، ١٩٩٥ م: ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤، الهندسة الوائية بين معطيات العلم وضوابط الشرع، د. إياد أحمد إبراهيم، الأردن، دار الفتح، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م: ص ١٠٦٢.

الإنسان، من أجل إنتاج عرق متميز أو شعب، أو أفراد فيهم صفات مرغوبة وخصائص معينة، مثل شدة الذكاء أو الجمال، أو القوة أو غيرها من الصفات أو السلامة من الأمراض[1].

وكل هذا يدعو إلى إذكاء روح العنصرية وإحيائها بين الأفراد والجماعات والدول، لذا يمكن تعريف العنصرية كما جاءت في القاموس السياسي على أنها: نظام متكامل وممارسة قائمة على فرضية تقول بأن العامل المقرر في خصائص وقدرات البشر هو الانتماء العرقي، وبأن العناصر العرقية تتفاوت نوعياً لا من حيث الشكل وحسب، بل ومن حيث القدرة الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، وبناءً على هذا فهناك عناصر بشرية متفوقة وأخرى وضيعة، ويستتبع ذلك تحيزاً وفروقاً في المعاملة وفقاً للانتماء العنصري، وخصوصاً بالنسبة للأقليات القومية المتميزة، ولا سيما إذا كانت في موضع ضعيف[2].

وقد قامت دول كاملة على مثل هذه التفرقة العنصرية كجنوب أفريقيا سابقاً، وإسرائيل حالياً، وإن كانت إسرائيل تمارسه على نطاق أوسع، وتلعب الهندسة الوراثية اليوم دوراً مهماً في الكشف عن الجينات التي تربط عرق أو شعب أو طائفة، وقد بدأت بوادر خطيرة حيث أظهرت الدراسات مخاوف من تطوير أسلحة بيولوجية هائلة قادرة على الإفناء والتدمير، وزاد من خطورة الوضع عودة مفهوم الأجناس البشرية والتميز العرقي إلى الظهور بعد ما توارت قبل نحو أربعين عاماً[3].

---

(١) ينظر: المصدران السابقان.

(٢) موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م: (٤/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٣) عسكرة الهندسة الوراثية، د خير الدين عبد الرحمن، مجلة الحرس الوطني، عدد ٢٥٠، محرم، ١٤٢٤ هـ: ص ٥٠ ـ ٥٣.

ولقد قدم العالم البارز (نيل ريخ) أستاذ الجينات البشرية في جامعة ستانفورد، أدلة على وجود اختلافات جينية بين الشعوب التي تعيش في منطقة جغرافية معينة، تنتمي إلى جنس رئيس من البشر، مستنداً إلى البيانات التي نشرها مشروع الجيونم البشري في مجلة (بيولوجيا الجينوم أون لاين) وخلاصتها أن حدوث أو أحداث بعض التغيرات في الأحماض النووية أدى إلى تغييرات جينية طفيفة بعضها أكثر شيوعاً في مجموعة عرقية دون الأخرى، وقد أخذ (رايخ) في الاعتبار التداخل والاندماج العرقي الذي تم بين مجموعات من تلك الأجناس الرئيسية في مناطق التماس، وهكذا أعاد (رايخ) مفهوم التمايز بين الأجناس بعد ما أجمع المفكرون والعلماء على عدم مصداقية اختلاف الأجناس[١].

وقد لوحظ من خلال تتبع ودراسة الحمض النووي، والجينات الوراثية للأجناس المختلفة من البشر، أن هناك تغيرات جينية تحدث مع نوبات الهجرة من قارة إلى قارة، مما أعطى الفرصة لظهور علم جديد يسمى (جغرافية الجينات) والذي يدرس التغييرات الجينية التي تحدث لكي تتواءم مع المناخ والظروف البيئية الجديدة[٢].

وعن كيفية انتقال الصفة الوراثية يقول الدكتور محمد صالح محب: كل ما نعرفه أن المعلومة المختزنة في الجين على شكل أزواج من النويدات المتتابعة بطريقة النسخ (Transcription) إلى جزيء وسيط هو الرنا الناقل (mRNA) الذي ينقل المعلومة من الجين إلى الريبوزوم (مصنع البروتينات)[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخابرات والإرهاب: ص ١٩٠.

(٣) حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، د محمد صالح المحب، بيروت، الدار العربية

نتيجة للتقدم الهائل في إجراء تجارب إدخال بعض خلايا الكائنات الحية المختلفة أو خلط خصائص كائنات حية مختلفة كما حدث من دمج جينات مأخوذة من قرد في مختبرات (ولاية أريجون الأمريكية) والتي أضيفت إلى محتواها الوراثي جينات مأخوذة من قناديل البحر فأصبحت بعض القرود (كالقرد آندي) تصدر إضاءة فوسفورية من أجسامها مثل ما تفعل قناديل البحر[١].

راحت الأصوات تتزايد معترضة على ما يسمى بالقنبلة الجينية التي تستطيع إبادة مجموعة بشرية معينة دون سواها، من خلال استغلال معرفة الخصائص الوراثية المميزة لها وتطوير سلاح يفتك بمن يمتلكون هذه الخصائص دون سواهم، وكانت صحيفة بريطانية قد سلطت الضوء على سلاح جرثومي شديد الفعالية من هذا النوع يطوره مختبر (نيس تزيون) الإسرائيلي بمعونة وحماية أمريكية، استند هذا التطوير إلى أبحاث معقدة متطورة في الهندسة الوراثية حيث يجري اعتماد ڤيروس فتاك جرى تطويره على نحو يصيب العرب دون اليهود مع تركيز خاص على استهداف الفلسطينيين والعراقيين خاصة[٢].

وقد ذكرت المصادر العلمية والاستخباراتية الأمريكية والبريطانية التي أكدت هذه المعلومات للصحيفة البريطانية أن إسرائيل استفادت أساساً من إنتاج هذا السلاح الجرثومي العنصري من أبحاث متقدمة سبق أن أجرتها مختبرات النظام العنصري في جنوب أفريقيا ـ قبل انهياره ـ لتطوير سلاح جرثومي يفتك بالسود دون البيض ومما يرد، ومما يرد به على المشككين

= للعلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م: ص ٧٣.

(١) عسكرة الهندسة الوراثية، د. خير الدين عبد الرحمن: ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه.

في حقيقة هذه الأسلحة أن الولايات المتحدة أصرت على إقحام إسرائيل ضمن الدول التي اشتركت في أبحاث إعداد الخريطة الوراثية (الجينوم البشري)[١].

وقد حذرت منظمة الصليب الأحمر الدولية في نداءها الموجه للحكومات والمجتمع العلمي ومجتمع الصناعة أن هناك جدلاً كبيراً حيال تصنيع أسلحة تستهدف مجموعة عرقية أو عنصرية محددة، مثل تلك الأسلحة التي تستهدف صفات وراثية تؤدي إلى اختلافات عنصرية وعرقية، ويعتقد الخبراء أن هذا يكون ممكناً في المستقبل القريب[٢].

لذا فإن معرفة الخارطة الجينية، ومحاولة استنساخ بعض الكائنات الدقيقة ليس مفيداً دائماً، فهناك من يستغل مثل هذه الأبحاث العلمية إلى زرع الدمار في أقطار الأرض ونشر الأمراض الفتاكة التي تهدد مستقبل البشرية.

ويمكن عن طريق الهندسة الوراثية التلاعب بالتركيب الجيني لعناصر الحرب البيولوجية القائمة مثل: الجمرة الخبيثة (الأنثراكس) وذلك لزيادة إمكانية استخدامها كسلاح فعلي، فعلى سبيل المثال يمكن جعلها مقاومة للمضادات الحيوية والعوامل البيئية مثل الجفاف والأشعة فوق البنفسجية التي تجعلها غير ضارة في الأحوال العادية.

كما يمكن إنتاج سلالات بكتيرية غير ضارة نتعايش معها يومياً مثل: بكتيريا (الأشريكيا القولونية) ثم تحويلها إلى بكتيريا تنتج سموماً خاصة تسبب المرض، أو تخليق ڤيروسات جديدة بالغة الخطورة، فقد صنع

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) موقع الصليب الأحمر الدولي، WWW.icrc.org/web/ara/siteara.nst/wiblist في ٨/١١/١٤٢٥ هـ.

الباحثون مؤخراً دون قصد نسخة أكثر خطورة من ڤيروس جدري الفئران، وهو ڤيروس مشابه لڤيروس الجدري، وقد قام العلماء بتخليق ڤيروس يسبب شلل الأطفال من جزء من الحمض النووي، ويعتقد الخبراء إنه سيمكن في المستقبل القريب تخليق أي ڤيروس بهذه الطريقة بما فيها أكثر الڤيروسات خطورة، وكذلك المواد البيولوجية المنظمة وهي مواد كيمائية توجد بشكل طبيعي في الجسم، وعندما يتغير تركيزها ـ حتى ولو بقدر ضئيل جداً ـ فإنه يمكن للوظائف مثل: السلوك والوعي والخصوبة ودرجة حرارة الجسم أن تتغير تغيرا كبيراً[1].

ويقول جان شارك سونيا: ونعتقد أن هناك بعض الدول التي تستنبت الڤيروس المسبب للجدري في مختبراتها من أجل الأبحاث العلمية، إلّا أن الأغراض العسكرية لا يمكن استبعادها لأن الدول الكبرى ما زالت تفكر في الأسلحة البكتربيولوجية كوباء الجمرة الخبيثة مثلاً والغاز المسبب للشلل أو الغاز المميت)[2].

ويقول: (جيرمن رفكين): ومن الممكن بناء المختبرات البيولوجية وتشغيلها بتجهيزات قابلة للفك زهيدة الثمن وتسكينها في غرفة صغيرة، والأمر المخيف بنفس القدر أن طلاب المدارس الخريجين في المختبرات في أنحاء العالم يعرفون ما فيه الكفاية عن الحمض النووي الأميني (DNA) وتكنولوجيا الاستنساخ لتصميم وإنتاج مثل هذه الأسلحة بإعداد ضخمة، بل إن العلماء يقولون: إنهم ربما لديهم القدرة على استنساخ

---

(١) موقع الصليب الأحمر الدولي، WWW.icrc.org/web/ara/siteara.nst/wiblist في ٨/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

(٢) تاريخ الطب بين المداواة إلى علم التشخيص، جان شارل سورينا، ترجمة: د إبراهيم البجلاني، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عام ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م: ص ٣٥٧.

سميات انتقائية لاستئصال مجموعات عنصرية أو عرقية معينة من الذين يجعلهم تركيبهم الجني عرضة لأمراض معينة أو في الإمكان استنساخ سميات لتدمير سلالات معينة من النباتات الزراعية أو الحيوانات الداجنة إذا كان القصد من وراء ذلك شل اقتصاد بلد ما[١].

ويرى الدكتور عبد الهادي مصباح إنه: بعد الانتهاء من مشروع الخريطة الجينية (الجينوم البشري) سوف يتمكن بعض العلماء من وضع خريطة جينية على أساس من التميز العنصري لكافة المجاميع البشرية العرقية مثل المجموعات الأفريقية والآسيوية، والأوروبية.. إلخ وقد يمكن ذلك الإسرائيليين بمساعدة أمريكا طبعاً من الوصول إلى تحديد جينات مميزة للعرب بصفة خاصة مما يمكنها من أن تستخدم رؤوسا بيولوجية تحمل ڤيروسات معينة مثلاً لكي تصيب الأشخاص الذين يحملون هذه الجينات المتميزة فقط (من العرب على سبيل المثال) دون غيرهم[٢].

ومن هنا يفهم تصريحات نائب وزير الأمن الإسرائيلي (زئيف بويم) حيث قال (إن العرب يعانون من خلل جيني)[٣].

ولكي نتبين مدى الضرر الذي يمكن أن تشكله تقنيات الاستنساخ يحسن التعرف على شيء عما تمثله الأسلحة البيولوجية من خطر قد يداهم أمتنا في أي وقت باعتبار أن أي هجوم بهذه الأسلحة يمثل جريمة شنيعة يجب التصدي لها ومنعها قبل وقوعها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) موقع http//alwattan.com /Graphics/200/Oct/12,10/h eads/ 2Ot 4.htm في ١٨/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

(٢) الأسلحة البيولوجية بين الحرب والمخابرات والإرهاب: ص ١٩٠.

(٣) في موقع مساواة الإسرائيلي www.mossawa center.org/ar/pressreleases في ٤/ ٩/ ٢٠٠٤ م، وكذلك موسوعة السياسة: ٢٥٤.

المطلب الثاني:

تاريخ الحرب البيولوجية

خلال القرن الرابع عشر الميلادي كانت بعض الجيوش التي تحاصر المدن تقذف بالمنجنيق جثث المصابين بالطاعون أو الجدري، وكذا بعض النباتات الملوثة من فوق سور المدينة بقصد نشر الوباء داخل صفوف العدو، كما نشر الأوروبيون وباء الجدري والحمى بقصد بين صفوف الهنود الحمر (السكان الأصليين لأمريكا) خلال مبادلاتهم التجارية معهم في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وفي القرن العشرين استخدم السلاح البيولوجي في عدد من الحروب، فاستخدمته ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، ونشرت اليابان وباء الطاعون خلال الحرب العالمية الثانية في عدد من المدن الصينية عن طريق إنزال كميات من الجرذان المصابة بالوباء بواسطة المظلات؛ مما أدى إلى مقتل عدد كبير من الناس، كما استخدمت اليابان سجناء الحرب الصينيين لتجريب بعض أنواع الأسلحة البيولوجية[1].

---

(١) موقع: http://najah...edu/arabic/newsletter/issue68/page10.htm في ٨/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

تشير بعض المصادر إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد استخدمت السلاح البيولوجي ضد كوريا الشمالية والصين خلال الحرب الكورية ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣ م، وفي ڤيتنام، كما يُتهم الاتحاد السوفييتي بأنه استخدم الأسلحة البيولوجية ضد أفغانستان خلال احتلاله لها في عقد الثمانينيات من القرن الماضي، وقد فجرت بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٤٣ م) قنبلة محشوة بجراثيم الجمرة الخبيثة في جزيرة جريونارد الأسكتلندية على سبيل أنه من تجاربها على الأسلحة الجرثومية؛ مما أدى إلى مقتل كثير من الحيوانات والنباتات، وظلت منذ ذلك الوقت منطقة محرمة حتى أعلن مؤخراً خلوها من الجرثومة القاتلة[1].

ويذكر البعض أن أول من استخدم الحروب البيولوجية التتار حيث ألقوا بجثث موتاهم الملوثة بمرض الطاعون على أعدائهم في مدينة (كافا) (فيودسيا) حالياً ممّا أدى إلى انتشار المرض في أوروبا وفي موانئ البحر المتوسط، وتم القضاء على ٢٥ مليون شخص.

وفي عام ١٧١٠ م انتصر الإنجليز على الفرنسيين بعد أن اهتدى القائد البريطاني إلى خدعة الجنود الهنود الموالين لفرنسا عن طريق إهدائهم بطاطين ملوّثة بفيروس الجدري، وقد كانت هذه الطريقة غير مأمونة العواقب لاحتمال أن يصاب أفراد الجيشين المتحاربين نتيجة للعوامل الطبيعية التي توفر الأجواء المناسبة.

ولذا استخدم اليابانيون الطائرات في عام ١٩٤٠ م لإسقاط حشرات حاملة لوباء الطاعون على الصين إلى جانب الحبوب التي تجذب الفئران

---

(١) موقع: http://najah...edu/arabic/newsletter/issue68/page10.htm في ٨/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

مما أدى إلى نقلها إلى السكان الصينين، واستعملت اليابان ٣٠٠٠ أسير صيني في تجاربها البيولوجية[١].

وفي عام ١٩٤١ م دخلت الولايات المتحدة غمار هذه التجارب وتم تشكيل لجنة ناس (NAS) وتم تأسيس محطة لإنتاج هذه الأسلحة في عام ١٩٤٣ م.

وفي الحرب الكمبودية (١٩٤٣ م ـ ١٩٦٩ م) أطلقت طائرات الولايات المتحدة دخان ذي ألوان (أصفر ـ أخضر ـ أبيض) على الكمبوديين مما أدى إلى فقدان التوازن للكائنات الحية ووقع الكثير فريسة للمرض بل هلك العديد من الناس جراء ذلك وعانت أفغانستان من نفس السحابة وأطلق عليها في ذلك الوقت المطر الأصفر.

وفي عام ١٩٤٦ م أعلنت الولايات المتحدة للعالم بأسره أنها تصنع الأسلحة البيولوجية.

وفي عام ١٩٤٩ م تم إجراء أول تجربة لاختبار الأسلحة البيولوجية التي تحتوي على الجراثيم الممرضة في كامب ديتريك بأمريكا.

وفي عام ١٩٥٠ م ـ ١٩٥٣ م تم إسقاط ريش طيور فوق كوريا الشمالية ملوث بالجمرة الخبيثة، كما تم حقن البعوض بمرض الطاعون والحمة الصفراء وتم نشره في البلاد وقد اتهمت الولايات المتحدة بهذه الأفعال[٢]. . .

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) موقع: http://www.feedo.net/investigation 1/factsaboutanthrax.htm في ١٠/ ١١/ ١١٤٢٥ هـ

يقول الدكتور عبد الهادي مصباح: يمكن صنع ترسانة من الأسلحة البيولوجية التي يمكن أن تفني مئات الآلاف من البشر، لأن خلية البكتيريا تنقسم كل عشرين دقيقة ويمكنها أن تعطي بليون نسخة من هذه البكتيريا خلال عشر ساعات فقط، ولو أخذنا زجاجة صغيرة من تلك الكائنات الدقيقة وزرعناها في وسط مناسب فإنها سوف تعطي عدداً ضخماً ولا نهائياً في خلال أسبوع واحد، وهذه الترسانة البيولوجية الضخمة لا تحتاج إلى أكثر من عشرة آلاف دولار للأجهزة المستخدمة وحجرة لا تزيد مساحتها عن ٢٥ متراً مربعاً[١].

وهناك أنواعاً من الأسحلة البيولوجية منها:

١ ـ الجمرة الخبيثة (الأنثراكس)[٢] وهي أنواع:

ـ الأنثراكس المعوي.

---

(١) الأسلحة البيولوجية بين الحرب والمخابرات والإرهاب: ص ١٨٦.

(٢) مرض الجمرة الخبيثة: مرض بكتيري حاد يصيب الجلد عادة ونادراً ما يصيب الرئتين أو القناة المعوية. أسماء أخرى: البثرة الخبيثة، الحمى التفحمية، القحيمة، الأوديما الخبيثة، مرض ندافي الصوف، مرض ملتقطي الخرق، هذا وقد توصلت بعض الدول لمعالجة البكتيريا وراثياً لتقاوم المضادات الحيوية، وهذه الأنواع المعالجة وراثياً هي التي تستخدم في القنابل البيولوجية والحروب البيولوجية، وفي تقرير صادر عام ١٩٩٣ م من مكتب التقييم التكنولوجي التابع للكونجرس الأمريكي جاء فيه أن إطلاق مائة كيلوجرام من بكتيريا الجمرة الخبيثة في الجو في واشنطن يمكن أن يؤدي إلى وفاة ما بين ١٣٠ ألف ـ ٣ ملايين شخص، وقد بدأ المرض منذ زمن بعيد وذلك في عهد المصريين القدامى والرومان واختفى قبل ٥٠ عاماً فقط وتم تطويره أخيراً كسلاح كيماوي، وسميت بهذا الاسم نسبة لكلمة رومانية كانت تعني الفحم، وذلك بسبب البقعة السوداء التي تتركها البثور على الجلد بعد انقضاء المرض. ينظر: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة إعداد: د. عبد الرحمن القرشي الأستاذ المشارك (بكلية الطب) استشاري الميكروبات الطبية بمستشفى الملك فهد الجامعي بالخبر جامعة الملك فيصل.

ـ الأنثراكس التنفسي أو الالتهاب الدماغي (مرض غزل الصوف)

ـ الأنثراكس الجلدي.

٢ ـ الجدري.

٣ ـ الطاعون.

٤ ـ الڤيروسات مثل ڤيروس إيبولا.

٥ ـ الكوليرا.

٦ ـ السموم مثل الريسين وغير ذلك[١].

ولا يقتصر استخدام هذه الأسلحة على زمن الحروب فحسب فربما استخدمت كذلك في وقت السلم وقد يكون هذا الاستخدام أشد أثراً حيث يستهدف المحاصيل الزراعية أو موارد المياه أو غير ذلك، ويمكن حصر العناصر المستهدفة بالضرر البيولوجي فيما يلي:

١ ـ الاستخدام ضد الدول في أوقات الحرب.

٢ ـ الاستخدام ضد الجماعات، كما حدث في ولاية (أريجون) من استخدام ميكروب (السالمونيلا) المسبب للنزلات المعوية عام ١٩٤٨ م بواسطة جماعة (راجينشيز) الدينية ذات الأصول الهندية، وما حدث في اليابان من هجوم بغاز (السارين) في محطة القطار.

٣ ـ الاستخدام ضد الأفراد، كما حدث في محاولة اغتيال خالد مشعل الناشط الفلسطيني في الأردن[٢].

---

(١) الأسلحة البيولوجية بين الحرب والمخابرات والإرهاب: ص ١٨٨.

(٢) الأسلحة البيولوجية بين الحرب والمخابرات والإرهاب: ص ١٨٨.

٤ ـ إلحاق الأذى بالبيئة كالمحاصيل الزراعية، وبما أن للشعوب عادات غذائية مختلفة فإن بالإمكان تسميم غذاء منطقة أو بلد معين دون إلحاق أذى بالمحاصيل الأخرى.

٥ ـ شل حركة المركبات والطائرات والسفن، كما حصل في أحد الموانئ الفرنسية حيث تعطل قرابة ثلاثين مركباً حربياً بسبب تلوث صهاريج الوقود بجراثيم تتغذى على الفحوم الهيدروجينية مما أدى إلى سد مرشحات المحركات، وإذا ما جرى تخريب احتياطات البنزين والمازوت عند العدو بجرثوم مماثل فإن بالإمكان شل تحركاته فتتوقف عرباته، ولا تقلع طائرته، وتتجمد سفنه ومراكبه[١].

وتجارة السلاح مباحة في الولايات المتحدة باعتبارها تعبيراً عن الحرية وحق الإنسان في الدفاع عن نفسه؛ لكن الحقيقة هي أن لوبي صناعة السلاح هو الذي يقف وراء فلسفة الترويج لحق الإنسان في امتلاك السلاح للدفاع عن نفسه وأمنه. وفي الواقع فإن انتشار الأسلحة وتفجر العنف داخل الولايات المتحدة الأمريكية هو جزء من ثقافة العنف التي قامت على أساسها الحضارة الغربية وارتبطت بسحق الآخر وقتله، بيد أن تغلغل العنف في عصب النفسية الأمريكية يجعله لا يستخدمه ضد الآخر فقط، وإنما يستخدمه ضد مواطن مجتمعه أيضاً، إنها شهوة ممارسة العنف النابعة من الثقافة الغربية إليهودية الصليبية التي يعد العنف أحد أبرز تجلياتها.

---

(١) الأسلحة الكيمياوية والبيولوجية المحرمة والوقاية من أخطارها، د. صلاح يحياوي، مهندس معتز العجلاني، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م، بدون ذكر مكان الطبع: ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

والتطرف يعد من التحديات التي تواجه الأمن القومي الأمريكي في احتمال تصنيع المتطرفين الأمريكان لأسلحة (بيولوجية) يستخدمونها ضد المراكز الحيوية والاستراتيجية في أمريكا، وكان المجتمع الأمريكي يظن أن التطرف يأتي من العالم العربي والإسلامي فقط، لكنه عاين في ١٥/ ٤/ ١٩٩٥ حادثة ضخمة قام بها شاب أمريكي راح ضحيتها ١٥٩ شخصاً، هذه الحادثة هي نسف المبنى التجاري في (أوكلاهوما). وفي الواقع فإن بعض الكتاب الأمريكان بدؤوا الكتابة عن خطر التطرف الأمريكي على المجتمع خاصة فيما يتصل بقدرته على استخدام الهندسة الوراثية في تصنيع الأسلحة البيولوجية، واجتمع (كلينتون) فعلاً مع مجموعة من المتخصصين في الهندسة الوراثية وناقش معهم ومع كبار المسؤولين في الإدارة الأمريكية التحديات التي تواجه الأمن القومي الأمريكي إذا استطاعت العناصر المتطرفة الأمريكية صنع أسلحة جرثومية[١].

---

(١) غروب الحضارة الأمريكية القرن الحادي والعشرون قرن الانحطاط الأمريكي: كمال حبيب، مجلة العربي العدد ١٣٣.

المطلب الثالث:

الموقف الشرعي من الحرب البيولوجية

تحرم الشريعة الإسلامية كافة أشكال الإبادة الجماعية، ويظهر ذلك جلياً في النصوص التي تحرم القضاء على الشيوخ والنساء والأطفال أثناء الحرب، ولو سمح بذلك لكان إبادة للأعداء، ويستفاد التحريم أيضاً من النصوص التي تحرم قتل جميع الكائنات الحية ومنها حديث النبي ﷺ: لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها(١).

كما حرم النبي ﷺ وسائل القتل التي يتعذب المقتول بها كالنار حيث قال عليه الصلاة والسلام لا يعذب بالنار إلّا رب النار(٢).

---

(١) سنن أبي داود [٢ / ١٢٠] باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره برقم (٢٨٤٥)، سنن الترمذي [٤ / ٧٨] باب ما جاء في قتل الكلاب برقم (١٤٨٦) قال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

(٢) سنن أبي داود [٢ / ٦١] باب في كراهية حرق العدو بالنار، برقم (٢٦٧٣)، مسند أحمد [٢٥ / ٤٢١] برقم (١٦٠٣٤)،السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا [٩ / ٧٢] برقم (١٧٨٤٣) وهو حديث صحيح.

ولئن جاء المنع هنا في حق الحيوان فهو في حق البشر من باب أولى، ولذا فإن استعمال هذه الأسلحة محرم شرعاً، لما تفضي إليه من الدمار الشامل والتعذيب المنهي عنه حتى في حال الحرب.

هذه الوجوه التي تبدو لخير الإنسان في تبديل الثروة الوراثية عند المخلوقات يقابلها مع الأسف وجوه فيها شر له فمنذ سنوات يجري بعض علماء الوراثة التجارب والأبحاث بهدف إنتاج الأسلحة الجرثومية التي قد تكون أفتك من الأسلحة الذرية والكيمائية، وذلك بتعديل الثروة الوراثية في بعض الجراثيم والڤيروسات وتصنيعها في قنابل جرثومية وربما توصل إلى شيء على هذا الصعيد لكنه لا يزال سراً حربياً، وهذه التجارب هي من وسوسة الشيطان مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا[1]﴾ وسيذوق من يفعل ذلك وبال ما غيرت يداه سوءاً وشراً في ثروة المخلوقات المسخرة أصلاً من خالقها لتكون في خدمة الخير وليس الشر، وقد جاء عن الرسول الكريم عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير يقولها ثلاثاً ثم قال ألا أنشر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء[2].

وتبقى مسألة تحصيل هذه الأسلحة دفاعاً عن النفس كما فعلت

---

(١) سورة النساء/ الآية: ١١٩.

(٢) سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها: [١ /١١٦] برقم (٣٧٠) قال حسين سليم أسد: الحديث مرسل.

الولايات المتحدة وغيرها من الدول خياراً يقره أصحاب الحل والعقد في الدولة المسلمة[1].

أمّا النصوص الشرعية فيمكن تلمس جواز هذا العمل من النصوص التي تحض على المجازاة بالمثل نحو:

ـ قوله تعالى ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[2]﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ[3]﴾.

ـ وقوله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ[4]﴾.

ـ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا[5]﴾.

---

(١) الاستنساخ البشري بين الإباحة والتجريم في ضوء الشريعة ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٩٤.

(٣) سورة النحل/ الآية: ١٢٦.

(٤) سورة الشورى/ الآية: ٤٠.

(٥) النساء: ١١٩.

المطلب الرابع:

المسلمون والسلاح الجيني

يعد الحمض النووي في تسعة تسعين وتسعة من عشرة في المائة من البشر متشابه تماماً، وفي واحد من عشرة في المائة هناك اختلافات تعطى لكل إنسان من البشر بصمته الجينية المثميزة، وبالطبع هذا الاختلاف يكون أقل في الأجناس المتشابهة؛ فمثلاً الجنس الأفريقي يختلف عن الجنس الأمريكي، إلّا أن هذه الاختلافات غالباً ما تتأثر بالظروف البيئية؛ فمثلاً الجين المسؤول عن لون الجلد للأفارقة الذين يعيشون بالقرب من خط الاستواء يعطي هؤلاء البشرة السوداء التي تتحمل تعرضهم للشمس، على عكس أصحاب البشرة البيضاء التي لا تظهر عندهم الشمس إلّا قليلاً؛ حيث يكون لديهم مقدرة أكثر على تصنيع فايتمين، ولكنهم أكثر عرضة للأورام السرطانية للجلد عند تعرضهم للشمس بكميات كبيرة أكثر من السود[١].

وهناك علم يسمى جغرافيا الجينات يبحث في الاختلاف الجيني بين

---

(١) ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشفرة الوراثية ومستقبل البشر، موسى محمد العبد الخلف مجلة العربي، العدد ٥٠٢، سنة ١/ ٩/ ٢٠٠٠ م.

الأجناس المختلفة في القارات المختلفة، وحتى الآن لا نستطيع أن نقول: إن هناك تميزاً واضحاً في بعض الأجناس على الأخرى؛ فحيناً تجد بعض الأمراض الموروثة تزيد في جنس؛ ففي الدول التي تعيش بالقرب من حوض البحر المتوسط توجد أمراض مثل: أنيميا البحر المتوسط، والأنيميا المنجلية وغيرها، بينما نجد مثلاً أن هناك أمراضاً أخرى تزيد في اليهود مثل: مرض تاي ساكس الذي يصيب اليهود نتيجة زواجهم من بعضهم، وينتقل بشكل موروث، وهو مرض ينتج عن خلل في تمثيل الدهون؛ مما يؤدي إلى تراكمها في الجهاز العصبي، ويؤدي إلى أعراض عصبية عنيفة تنتهي بالموت، وقد نجحوا الآن في إيجاد فحص جيني يمكن أن يكتشف هذا المرض في النطفة قبل وضعها في رحم الأم[1].

وليس من المستبعد في ظل معرفة الخريطة الجينية في مشروع الجينوم البشري، ودراسة الفروق بين الأجناس المختلفة أن يتم استغلال جينات معينة تميز جنساً أو شعباً بعينه؛ لكي يتم تسليط سلاح بيولوجي عليه يحمل نوعاً معيناً من الڤيروسات التي لا تصيب إلّا من يحمل هذا النوع من الجينات، وهذه النقطة لم تحدث بعدُ، ولكن من الناحية النظرية قابلة للحدوث؛ ولذلك يجب علينا نحن العرب والمسلمين أن نكون في طليعة الباحثين في هذا المجال؛ حتى نستعد لما يمكن أن نواجهه في المستقبل؛ عملاً بقول الله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ[2]، [3]﴾.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة الأنفال/ الآية: ٦٠.

(٣) ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشفرة الوراثية ومستقبل البشر، موسى =

إن انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية والمقدسة قد بلغ حداً مريعاً مفزعاً، وهذا ما نراه في التلاعب بالمورثات (الجينات) أو في عواقب الغطرسة العلمية التي تتجلى في أبشع صورها في مرض جنون الأبقار(١).

ومع كل هذه الثورة الجينة والتطور العلمي لا بد للعرب والمسلمين أن يكون لهم دور فاعل في ذلك يقول الدكتور محمد فتحي: يبقى أن تبادر البلاد العربية مجتمعة بعمل دراسات حول السمات الخاصة للإنسان العربي (جينوم عربي) للوقاية من أي حرب وراثية مستقبلاً عن طريق كائنات دقيقة محورة وراثياً أو عن طريق محاصيل زراعية تضر بصحة الإنسان، كما ينبغي السعي لتحصيل لقاحات الأمراض وخصوصاً المندثرة منها، مع تشجيع العلماء على البحث وتطوير الأمصال واللقاحات التي تقي الشعوب ويلات هذه الحروب المدمرة(٢).

محمد العبد الخلف مجلة العربي، العدد ٥٠٢، سنة ١/٩/٢٠٠٠ م.

(١) كيف ندعو الناس: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م: ص ١٨٧.

(٢) استنساخ البشر والجينوم، د. محمد فتحي، القاهرة، كتاب الجمهورية، مطابع دار الجمهورية للصحافة، أغسطس، ٢٠٠٠ م: ص ١٥٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذه خاتمة هذه الدراسة والتي عشت ألتمس كشف الغامض في ظلالها، وأتعرف على عظمة الخالق تبارك وتعالى من خلالها، وقد توصلت فيها إلى النتائج الآتية:

١ ـ إنه لا يوجد تعارض بين الدين الحق والعلم الحق فكلاهما يسير جنباً إلى جنب وكلاهما يؤيد الآخر، وقد اهتم الإسلام بالإعجاز العلمي ولا أدل من أن أول كلمة نزلت على قلب الرسول ﷺ: (اقرأ) وإنه ليس في القرآن الكريم مسألة واحدة تناقض العلم الحديث، بل إن كل ما ورد فيه من آيات وإشارات في علم الفلك، وعلوم الحيوان والنبات، وعن التناسب البشري.. يوافق تمام الموافقة معطيات المعارف العصرية التي كانت مجهولة في عصر النزول.

٢ ـ إن القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً بحتاً بالمعنى الحرفي لكنه حوى

أصول العلوم وأشار إليها إشارة فهمت في زمن التنزيل، وكشف لنا بعض معانيها في الوقت الحاضر وهناك إشارات كثيرة لم تكتشف إلى الآن والله أعلم بمرادها.

٣ ـ لقد شاء الله أن يضع أكبر سر من أسرار خلق الإنسان ضمن ما يسمى بالمادة الوراثية الموجودة في كل خلية من خلايا الجسم، على شكل خيوط رفيعة متطاولة ومتناثرة ضمن النواة، وهذه الخيوط تسمى بالحمض النووي الـ (DNA).

٤ ـ تعد الخارطة الجينية من أعظم ما كشفه الإنسان في الوقت الحاضر، وهي سجل حوى ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله.

٥ ـ إن قراءة الجينوم البشري وهو: (رسم خريطة الجينات الكاملة للإنسان) وهو جزء من تعرف الإنسان على نفسه، ولما كان قراءة الجينوم وسيلة للتعرف على بعض الأمراض الوراثية أو القابلية لها فهي إضافة قيمة إلى العلوم الحية في مسعاها لمنع الأمراض أو علاجها أصبح هذا العلم من العلوم المهمة والتي ينبغي تعلمها والتدراس فيها في المجتمعات الإسلامية.

٦ ـ الجينات هي وحدات وراثية توجد على الكروموسومات وهي التي تنقل الصفات الوراثية وتحملها من جيل إلى جيل.

٧ ـ تتكون المادة الوراثية من الكروموسومات (الصبغيات) والتي يبلغ عددها ٢٢ زوجاً من الصبغيات البدنية (Autosomes) وزوجاً واحداً من الصبغيات الجنسية (Sex Chromosomes) التي تحدد جنس الفرد ذكراً (XY) أم أنثى (XX).

٨ ـ يحوي نواة الخلية البشرية على ٤٦ صبغاً (كروموسوماً) قد جمعها الله

مناصفة ٢٣ صبغاً من كل من الأب والأم (البييضة والحوين المنوي)، ويبلغ عدد المورثات (الجينات) الموجودة في نواة الخلية الواحدة ما يقرب من مائة ألف مورثة، تترتب هذه المورثات بطريقة تتابعية وعلى شكل صيغ كيميائية ذات تسلسل بين أربع قواعد نيتروجينية هي الأدنين (A) والثيمين (T)، والسيتوزين (C)، والجوانين (G).

٩ ـ وقد اتفق العلماء على تسمية هذا الترتيب للعناصر الوراثية بالشيفرة، ومن الجدير بالذكر أن من أصعب الأمور التي تواجه العلماء ليس في قراءة الشيفرة فحسب، بل في الفهم الصحيح لهذه القراءة.

١٠ ـ وقد اهتم الإسلام بالعلوم الطبية وأعطاها أهمية وأولوية وجعل عقوبة لكل من لم يكن أهلاً للطب من أن يعد من أهله، قال الإمام الشافعي رحمه الله: (لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب).

١١ ـ ساهم كشف الخارطة الجينية في دحض وإبطال أكبر كذبة وجدت لها صدى كبيراً في الأوساط العلمية والاجتماعية إلّا وهي نظرية داروين والتي لا زالت تجد لها أنصاراً وأتباعاً رغم إثبات فشلها علمياً وجاءت الخارطة الجينية لتدق آخر مسمار في نعش الداروينية القديمة والحديثة على حد سواء.

١٢ ـ الخلايا الجذعية هي: اللبنات الأولى التي يتكون منها الجنين وبالتالي كافة أنواع خلاياه وأنسجته المختلفة، وتستخدم خلايا المنشأ فيما يعرف بعلاجات الخلية حيث يمكن استخدامها بعد تحفيزها حتى تصير خلايا متخصصة في تكوين بعض الأنسجة كالجلد، وغيره، ويعقد عدد من الباحثين آمالاً كثيرة على القدرة على التعامل مع الخلايا الجذرية مع إمكان معالجة عدد من الأمراض المستعصية وتعويض الأجزاء التالفة في

الجسم بواسطة ذلك.

١٣ ـ حصل خلاف في تحديد حياة الجنين ومتى يسمى جنيناً ورجح عندي القول بأنه لا يكون حياً حياة معتبرة إلّا بعد مرور (١٢٠) يوماً ويؤيد العلم الحديث موعد نفخ الروح طبقاً لما جاء في حديث ابن مسعود.

١٤ ـ الهندسة الوراثية هي التقنية التي تتعامل مع الجينات أو الوحدات الوراثية المتواجدة على الكروموزومات فصلاً ووصلاً وإدخالاً لأجزاء منها من كائن إلى آخر بغرض إحداث حالة تمكن العلماء من معرفة وظيفة (الجين) أو بهدف الحصول على طبعات كثيرة من نواتجه أو بهدف استكمال ما نقص منه في خلية مستهدفة.

١٥ ـ لا مانع شرعاً من الاستفادة من علم الهندسة الوراثية في الوقاية من المرض أو علاجه أو تخفيف ضرره بشرط أن لا يترتب على ذلك ضرر أكبر.

١٦ ـ بالرغم من دخول الجين البشري في المكانة التي تحظى بها اللقائح كونه جزء لا ينفك عنها إلّا أنه يفوقها قدراً ومكانة لما يحويه من معلومات دقيقة ومفصلة عن ماضي وحاضر ومستقبل الإنسان صاحب الجين، ويمكن استقراء أهمية الجينات ومكانتها من خطورة المعلومات التي تحويها مما يتطلب قدراً كبيراً من الحماية الجنائية لها.

١٧ ـ أرى أن يترك موضوع الاستنساخ البشري الكامل، ولا نفتح له الباب في المجال التطبيقي البشري، لما يكتنفه من إشكالات أخلاقية كبيرة، ولا أرى حاجة ملحة تدعو إلى مثل هذا الاستنساخ، أمّا في المجال الحيواني والنباتي فالأمر فيه متسع.

١٨ ـ لا أرى بأساً من العلاج الجيني لأنه يهدف إلى نقل أو حذف أو

تصحيح أو تثبيط أو بتر الجين المعيب وإيلاج جينات صحيحة مرغوبة تتفاعل مع محيطها الجديد فتعبر عن وضع صحي آمن.

١٩ ـ إن مقصود الشرع التيسير على العباد لا التعسير عليهم وفي إجازة نقل الأعضاء الآدمية تيسير على العباد ورحمة بالمصابين والمنكوبين وتخفيفاً للألم وكل ذلك موافق لمقصود الشرع.

٢٠ ـ إن نقل وزرع الأعضاء مرهون بالحكم على إنسان بالموت حتى يمكن الاستفادة من أجزائه عند القائلين بجواز ذلك، لكن هذا الأمر يعتمد على تعريف الموت وهل يعد موت الدماغ موتاً حقيقياً الذي يترجح هو القول بعدم اعتبار الإنسان ميتاً بمجرد موت دماغه وتلفه.

٢١ ـ لا يجوز بيع الإنسان شيئاً من جسده لأن أعضاء الإنسان ليست ملكاً له ولم يؤذن ببيعها شرعاً فكان بيعها داخلاً في بيع الإنسان لما لا يملكه، وبالنسبة لنقل الخصية أو المبيض فالذي يترجح هو القول بحرمة نقلهما مطلقاً لما قد يكون لهما من أثر في نقل الصفات الوراثية من شخص لآخر، كما لا يجوز استنساخ الخصية والمبيض لغير صاحبيهما لكونهما يحملان ويفرزان الصفات الوراثية للمنقول منه حتى بعد زرعهما في متلق جديد.

٢٢ ـ الشريعة الإسلامية لا تمانع في إيجاد وسيلة أو دليل يوصل إلى الحقيقة مادام في إطار ما شرعه الله، وبينه رسول الله ﷺ وقد دلت الأبحاث الطبية التجريبية على أن نسبة النجاح في إثبات النسب أو نفيه عن طريق معرفة البصمات الوراثية يصل في حالة النفي إلى حد القطع أي بنسبة ١٠٠٪ أما في حالة الإثبات فإنه يصل إلى قريب من القطع وذلك بنسبة ٩٩٪ تقريباً.

٢٣ ـ أرى أن دابة الأرض التي ورد ذكرها في القرآن قد تكون نتيجة لإحدى التجارب العلمية التي يقوم بها بعض العلماء بقصد أو بدون قصد محاولة منهم لجمع الأضداد في كائن واحد وبهذا قد تخرج دابة الأرض إلى الناس وهذا مجرد احتمال وقد تكون الدابة خلقاً مستقلًا من غير مثال سابق.

٢٤ ـ إن استخدام البصمة الوراثية في الوصول إلى معرفة الجاني، والاستدلال بها كقرينة من القرائن المعينة على اكتشاف المجرمين، وإيقاع العقوبات المشروعة عليهم في غير الحدود والقصاص، أمر ظاهر الصحة والجواز، لدلالة الأدلة الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة.

٢٥ ـ الجينات لا تبرر الجريمة لأن كل عاقل بلغته الدعوة مسؤول عما يفعل، وإذا كانت بعض الجينات تحبب إلى حاملها الميل إلى الشرور والإجرام، فإنه مع وجود العقل لا تسقط المسؤولية، ولا تعدو أن تكون هذه الجينات نوعاً من المغريات، عليه كبح جماحها، والتغلب عليها؛ وبناء على هذا لا يصح اعتبار ذلك عذراً يعفي أصحابها من المسؤولية عن جناياتهم.

٢٦ ـ وليس من المستبعد في ظل معرفة الخريطة الجينية في مشروع الجينوم البشري، ودراسة الفروق بين الأجناس المختلفة أن يتم استغلال جينات معينة تميز جنساً أو شعباً بعينه؛ لكي يتم تسليط سلاح بيولوجي عليه يحمل نوعاً معيناً من الڤيروسات التي لا تصيب إلّا من يحمل هذا النوع من الجينات، وهذه النقطة لم تحدث بعدُ، ولكن من الناحية النظرية قابلة للحدوث؛ ولذلك يجب علينا نحن العرب والمسلمين أن نكون في طليعة الباحثين في هذا المجال؛ حتى نستعد لما يمكن أن نواجهه في المستقبل.

وختاماً أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يثقل بها موازين حسناتنا وأن يتقبله منا بمنه وكرمه، وهذا جهد المقل فإن كان فيه خيراً فهو من فضل الله وحسن توفيقه وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، وحسبي أني لم أقصد إلّا رضى الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر

بعد القرآن الكريم

١ ـ الإتقان في علوم القرآن جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت ١٩/ ٥/ ٩١١ هـ) تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ إثبات النسب بالبصمة الوراثية، ضمن ثبت أعمال الوراثة والهندسة الوراثية، ملخص أعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية في إثبات النسب.

٣ ـ إثبات فشل نظرية داروين بطريقة الاحتمالات في الأحد مارس ٣٠، ٢٠٠٨ ٧: ٥٨ pm الموقع: منتدى طلاب قسم الإحياء.

٤ ـ الإجرام والعقاب في مصر للدكتور حسن المرصفاوي.

٥ ـ أجوبة حول المحاصيل المعدلة وراثياً، مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية ـ مصر، EGYPT-BIOTECHNOLOGY INFORMATION CENTER

٦ ـ أحاديث في الفتن والحوادث، محمد بن عبد الوهاب، (ت ١٢٠٦ هـ)

تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد، مطابع الرياض، الرياض.

٧ ـ أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، إعداد الدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي، رسالة دكتوراه بقسم الفقه، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، مكتبة الصحابة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م.

٨ ـ الأحكام السلطانية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، تحقيق: عبد الحميد حمدان، عالم الكتب، الطبعة أولى، ٢٠٠٧ م.

٩ ـ الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، أحمد شرف الدين، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

١٠ ـ الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

١١ ـ إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

١٢ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تأليف: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٤ هـ، سنة ٢٠٠٣ م.

١٣ ـ الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩.

١٤ ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق ـ كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي بيروت.

١٥ ـ الأساليب الوراثية لإثبات النسب، موقع إسلام أون لاين الثلاثاء. مارس. ٧، ٢٠٠٠.

١٦ ـ الاستنساخ. . حقيقته وما وراءه د. محمد بن عبد الله الشباني، مجلة البيان العدد ١١٧.

١٧ ـ الاستنساخ، العالم الثالث حقل تجارب، المنتدى الرسمي للدكتور طارق سويدان، ١/٨/ ٢٠١٠ م.

١٨ ـ استنساخ الإنسان بين الحقائق والأوهام: مارتاسينسيوم، كارس سانشيتين، تقرير اللجنة الوطنية في مقدمة الكتاب.

١٩ ـ استنساخ البشر والجينوم، د. محمد فتحي، القاهرة، كتاب الجمهورية، مطابع دار الجمهورية للصحافة، اغسطس، ٢٠٠٠ م.

٢٠ ـ الاستنساخ البشري محاذيره وفوائده: أ. د سالم نجم منتديات الجلفة، لكل الجزائريين والعرب، ٩/ ٢/ ٢٠١٠ م.

٢١ ـ الاستنساخ البشري مرفوض دينياً وأخلاقياً وضد الفطرة الإنسانية، موقع العالم الإسلامي الصفحة السادسة، متابعات العدد ١٧٧٧ ـ الجمعة ١٤ ذو القعدة ١٤٢٣ هـ إسلامية أسبوعية جامعة.

٢٢ ـ استنساخ الخلايا الجذعية ضرورة أم افتعال، طارق قابيل موقع مدارك، إسلام أون لاين. نت ٤,/ ١٢/ ٢٠٠١ م.

٢٣ ـ الاستنساخ بالشروط الخمسة، مقال في جريدة «المسلمون» عدد ٦٤٤ غرة صفر، ١٤١٨ هـ في ٦/يونيو/١٩٩٧ م.

٢٤ ـ الاستنساخ بين العلم والدين. د. عبد الهادي مصباح، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩ م http://www.islamonline.net/arabic/science/article06

٢٥ ـ الاستنساخ بين العلم والفقه، د. داود سلمان السعدي بيروت، دار الحرف العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

٢٦ ـ الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق: عبد الواحد علوان وآخرون، بيروت، دمشق، دار الفكر، الطبعة ألأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١م.

٢٧ ـ الاستنساخ في ضوء الأصول والمقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، الرياض، دار الزاحم للنشر والتوزيع، ط/١، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.

٢٨ ـ الاستنساخ في ضوء القواعد الشرعية، د. محمد رأفت عثمان، بحث مقدم لمؤتمر القانون وتطور علوم البيولوجيا، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ٣٠/ سبتمبر/ ١ أكتوبر سنة ٢٠٠٠ م.

٢٩ ـ الاستنساخ في ميزان الإسلام: رياض أحمد الحوامدة، رسالة ماجستير، جامعة القدس، ٢٠٠١ م: ١٧٨ ـ ١٨٨.

٣٠ ـ الاستنساخ في ميزان الشريعة الإسلامية، د. محمد سليمان الأشقر، بحث ضمن ندوة رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة، الجزء الثاني الاستنساخ.

٣١ ـ الاستنساخ قنبلة العصر: د. صبري الدمرداش، الرياض، مكتبة

العبيكان، ط/١، ١٤١٨ هـ.

٣٢ ـ الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء، د. كارم السيد غانم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط/١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

٣٣ ـ الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء د. كارم السيد غنيم، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة ألأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م.

٣٤ ـ الاستنسال البيولوجي، د: إياد محمد علي العبيدي، عمان، الأردن، دار المسيرة، للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

٣٥ ـ الأسرار الخفية في حياة الخلية الأستاذ الدكتور عبد الكريم جبر السلال جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، بحث في موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٣٦ ـ الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخابرات والإرهاب، د. عبد الهادي مصباح، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة ألأولى، ١٤١٢ هـ ٢٠٠٠ م.

٣٧ ـ الأسلحة الكيمياوية والبيولوجية المحرمة والوقاية من أخطارها، د. صلاح يحياوي، مهندس معتز العجلاني، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م، بدون ذكر مكان الطبع.

٣٨ ـ أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: د . إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / لبنان ـ ١٩٨٧ م، الطبعة: الثانية.

٣٩ ـ الأسماك المجازفة عالية صدر في مارس/آذار ٢٠٠٣ الموقع: منظمة

الأغذية للأمم المتحدة.

٤٠ ـ أسنى المطالب شرح روض الطالب، القاهرة، الناشر دار الكتاب الإسلامي، تحقيق عبد الرزاق غالب، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤١ ـ أسئلة وأجوبة حول المحاصيل المعدلة وراثياً، مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية ـ مصر.

٤٢ ـ إشارات علمية تتفق مع ظهور دابة الأرض، منتدى التوحيد، قسم الحوار عن الإسلام، رابط الموقع: www.eltwhed.com

٤٣ ـ الأشباه والنظائر ـ للإمام العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٤٤ ـ الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٤٥ ـ الأشباه والنظائر لابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم إبراهيم المعروف بابن نجيم الدمشقي (ت ٩٧٠ هـ)، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

٤٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

٤٧ ـ أصل الأنواع: نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الاحتفاظ بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة / تأليف تشارلس داروين؛ ترجمة مجدي محمود المليجي؛ تقديم سمير حنا

صادق. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.

٤٨ ـ الأصل المعروف بالمبسوط، محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله (ت ١٨٩ هـ) تحقيق أبو الوفا الأفغاني، الناشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.

٤٩ ـ أصول الفقه على منهج أهل الحديث، تصنيف زكريا بن غلام قادر الباكستاني: دار الخراز الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٥٠ ـ أضواءالبيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٥١ ـ أضواء على الهندسة الوراثية بقلم الدكتور حسين اللبيدي موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.55a.net)

٥٢ ـ الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة إعداد الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم، أستاذ علم الحشرات ـ جامعة الأزهر أمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥٣ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١ هـ، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.

٥٤ ـ الأعلام خير الدين الزركلي: الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، ١٩٨٠ م..

٥٥ ـ الأغذية المعدلة وراثياً من منظور إسلامي أ ـ د / عبد الفتاح محمود إدريس موقع الجندي المسلم، رقم العدد ١٢٦، في ٢٠٠٦/١٢/١ م.

٥٦ ـ إكثار المحاصيل: الثورة الخضراء وآلاف السنين الماضية، موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، آذار ٢٠٠٣.

٥٧ ـ الأم، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠ ـ ٢٠٤ مع مختصر المزني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

٥٨ ـ الإمتاع والاستقصاء لأدلة تحريم نقل الأعضاء: حسن بن علي السقاف، دار الرازي، عمان.

٥٩ ـ أمصال ولقاحات مهندسة للفقراء، طارق يحيى قابيل، موقع إسلام أون لاين، في ٢١/ ١١/ ٢٠٠٠ م.

٦٠ ـ انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً كان أو ميتاً د. عبد السلام داود العبادي من بحوث مجمع الفقه الإسلامي.

٦١ ـ الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م بيروت ـ لبنان.

٦٢ ـ الإنسان لا يملك جسده فكيف يتبرع بأجزائه أو يبيعها، مقال للشيخ الشعراوي في جريدة اللواء الإسلامي العدد ٢٢٦ تاريخ الخميس ٢٧/ جمادى الآخرة / ١٤٠٧ هـ.

٦٣ ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن (ت ٨٨٥ هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٤ ـ أهمية الضمير في القرآن الكريم: هارون يحيى، ترجمة مصطفى ستيتي، م د. ت.

٦٥ ـ بحث الوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني، ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري رؤية إسلامية، التي نظمتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الفترة من ٢٣ ـ ٢٥/ جمادى الأخرى / ١٤١٩ هـ الكويت، مطبوعات المنظمة الإسلامية للعوم الطبية.

٦٦ ـ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، (ت ٩٧٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦٧ ـ بحوث الإعجاز العلمي وأثرها في القضايا الفقهية د. عبد الله المصلح / د. عبد الجواد الصاوي، موقع رابطة العالم الإسلامي، مجلة الإعجاز، العدد التاسع والعشرين، ١/١/١٤٢٩ هـ الموافق ١٠/١/ ٢٠٠٨ م.

٦٨ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، تحقيق: ماجد الحموي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٦٩ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، بيروت.

٧٠ ـ البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ) تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ

السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

٧١ ـ بذور الشيطان. . هدية «ماما أمريكا» للأفغان، طارق قابيل، مقال على موقع إسلام أون لاين.

٧٢ ـ البصمة الجينية وأثرها في إثبات النسب للدكتور حسن الشاذلي ضمن ثبت أعمال ندوة الوراثة والهندسة الوراثية.

٧٣ ـ بصمة الوراثة (بصمة الدنا) للدكتور / شعبان العسولي، ضمن ثبت أعمال ندوة الوراثة والهندسة الوراثية.

البصمة الوراثية تكشف المستور: نهى سلامة. مقال على موقع إسلام أون لايـن http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml فـي ١٨/ ١/ ٢٠٠١.

٧٤ ـ البصمة الوراثية وتأثيرها على النسب إثباتاً أو نفياً للدكتور نجم عبد الواحد، مناقشات جلسة المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي عن البصمة الوراثية في دورته (١٥).

٧٥ ـ البصمة الوراثية ومدي مشروعية استخدامها في النسب والجناية للشيخ د. عمر السبيل ـ بحث منشور ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد ١٥ السنة الثالثة عشرة لسنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

٧٦ ـ البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحرالجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.

٧٧ ـ بين جنون البقر واستنساخ البشر، د. السيد السيد وجيه، القاهرة، مكتبة المعارف الحديثة لم تذكر سنة الطبع، سنة الإيداع ١٩٩٧ م.

٧٨ ـ بيولوجيا الاستنساخ، د. هاني رزق، ضمن كتاب الاستنساخ جدل

العلم والدين والأخلاق: عبد الواحد علوان وآخرون، بيروت، دمشق، دار الفكر، الطبعة ألأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

٧٩ ـ البيئة ومشكلاتها، تأليف: رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٧٩ م برقم (٢٢).

٨٠ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

٨١ ـ تاريخ الطب بين المداواة إلى علم التشخيص، جان شارل سورينا، ترجمة: د. إبراهيم البجلاني، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عام ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

٨٢ ـ تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الشيخ عبد المجيد الزنداني، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الرابط: www.55a.net

٨٣ ـ تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لابن فرحون المالكي، تحقيق: جمال مرعشلي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م.

٨٤ ـ التبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، تأليف: د. عبد الحسن صالح، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٨١ م. برقم (٤٨).

٨٥ ـ التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، دراسة وتحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨٦ ـ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

٨٧ ـ تخليق جنين فأر دون الاستعانة بأب، بقلم بول رينكون، بي بي سي أون لاين علوم، الأربعاء ٢١/ أبريل/ ٢٠٠٤ م، ٢٠:٥٤ .GMT
BBC.ARABIC.COM

٨٨ ـ تطبيقات الخلايا الجذرية، الدكتور سمير عباس مدير مراكز الدكتور سمير عباس الطبية ومختبرات جينتيك حلقة نقاش «بحوث الخلايا الجذرية... نواحي أخلاقية» الرياض، السعودية، ١٨ رجب ١٤٢٣ هـ.

٨٩ ـ تطبيقات المجين الطبية والبحثية، د. زهير الحصان، حلقة نقاش (من يملك الجينات) الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعوم والتقنية، في ٥ شعبان، ١٤٢٥ هـ.

٩٠ ـ تعريف الفحص الوراثي، إعداد الأستاذ الدكتور محسن بن علي الحازمي ضمن حلقة نقاش «الفحص الوراثي ودلالاته... نواحي أخلاقية» مجموعة من العلماء ١٥ شعبان ١٤٢٥ هـ.

٩١ ـ تعريف أهل الإسلام بأن نقل العضو حرام، ومعه أجوبة هامة في الطب، تأليف: أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني، تحقيق وتعليق: الأستاذ صفوت جودة أحمد، مكتبة القاهرة، مصر، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

٩٢ ـ التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

٩٣ ـ تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي

[ت ٧٧٤ هـ] تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٩٤ ـ تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٩٥ ـ تفسير البحر المحيط: العلامة أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٩٦ ـ تفسير البيضاوي، للإمام البيضاوي، دار الفكر ـ بيروت.

٩٧ ـ تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى.

٩٨ ـ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر ـ بيروت / لبنان ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

٩٩ ـ تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب): الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

١٠٠ ـ تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠١ ـ تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠ هـ)

تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

١٠٢ ـ تفسير القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

١٠٣ ـ تفسير الماوردي، المسمى بالنكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

١٠٤ ـ التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبه وهبه، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة. ٢٠٠٠ م.

١٠٥ ـ تقنيات الاستنساخ للخلايا والجينات الإنسانية لتشخيص وعلاج الأمراض الدكتور نجم عبد الله عبد الواحد ـ المستشفى الإسلامي ـ عمان ـ الأردن: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي السنة العاشرة العدد ١٢ ص: ١٤٥ ـ ١٤٦.

١٠٦ ـ تنقيح تحقيق أحاديث التعليق: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (ت ٧٤٤ هـ) تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م، بيروت.

١٠٧ ـ التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ـ بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

١٠٨ ـ تيسير التحرير: محمد أمين ـ المعروف بأمير بادشاه، المتوفى ـ ٩٧٢ هـ، دار الفكر.

١٠٩ ـ الثروة السمكية مهددة. . والهندسة الوراثية هي الحل، أحلام الزيدي، جريدة الأهرام، الأحد، ١٨/ جمادى الأولى/ ١٤٢٠ هـ الموافق، ٢٩/ أغسطس/ ١٩٩٩ م العدد: ٤١١٧٣.

١١٠ ـ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، مقال للدكتور منصور أبو شريعة العبادي جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، منتديات الديار العربية، المنتديات العامة، القسم الإسلامي، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، (www.55a.net) ٢٤/ ١٠/ ٢٠٩٩ م.

١١١ ـ ثورة الجينات هل انتهى زمن الألغاز؟ حل الشفرة الوراثية ومستقبل البشر، موسى محمد العبدالخلف مجلة العربي، العدد ٥٠٢، سنة ١/ ٩/ ٢٠٠٠ م.

١١٢ ـ الثورة في علم الهندسة الوراثية وحقوق الإنسان د. عبد الرزاق الدواي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١١٣ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني ـ مطبعة الملاح ـ مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م.

١١٤ ـ جامع العلوموالحكم المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

١١٥ ـ الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي: الأمام محمد أبو هرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨ م.

١١٦ ـ جينات السلوك الإجرامي لدى الأطفال، د. معتز محيي عبد الحميد،

موقع EGYPT.com في ٦/٦/٢٠٠٧م.

١١٧ ـ الجينات.. لا تبرر الجريمة، د. وجدي سواحل، الأربعاء ٣ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ/ ٥ يوليو ٢٠٠٠ م الموقع: www.science-cafe.net/files/ naif_crine_slides.pps.

١١٨ ـ الجينوم البشري البشري... كتاب الحياة. أ. د. صالح عبد العزيز الكريّم أستاذ علم الأجنة التجريبي، مقال في موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

١١٩ ـ الجينوم البشري القضايا العلمية والاجتماعية: دانييل كيفلس وليروي هود، ترجمة د. أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ م، ص: ٧.

١٢٠ ـ حاشية ابن القيم على سنن أبي داود المؤلف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٥: (٦ / ٢٦١).

١٢١ ـ حاشية ابن عابدين، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩، الطبعة الثانية، ١/ ٣٠٢.

١٢٢ ـ حاشية الخرشي على مختصر خليل، محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي (ت ١١٠١ هـ) خرج أحاديثه: كريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٢٣ ـ حاشية الدسوقي على تحفة الطلاب، محمد بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي، بيروت، دار الفكر.

١٢٤ ـ الحاوي الكبير: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق وتعليق:

علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

١٢٥ ـ الحدود الشرعية والأخلاق والإنسانية لبحوث الخلايا الجذعية المستخدمة في العلاج بالخلايا أ. د. بلحاج العربي بن أحمد: = ٤٦١ http://links.islammemo.cc/kashaf/printnews.asp?dnew في ١٧/ ٤/ ١٤٢٥ هـ.

١٢٦ ـ الحماية الجنائية للجسم البشري في ظل الاتجاهات الطبية الحديثة، د: مهند صلاح أحمد العزة، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٢ م.

١٢٧ ـ الحمض النووي DNA بين الشريعة والعلم. بقلم: د. يحيى هاشم حسن فرغل.

١٢٨ ـ حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، د. محمد صالح المحب، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م: ص ٧٣.

١٢٩ ـ حيثيات الأحكام الشرعية لبعض المسائل الطبية، ندوة في أول ربيع الأول ١٤٢٥ هـ ـ الكويت أطفال الأنابيب.

١٣٠ ـ الحيوانات منتجات غير متوقعة، صدر في مارس/آذار ٢٠٠٣ الموقع: منظمة الأغذية للأمم المتحدة.

١٣١ ـ خديعة التطور، الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيدلوجية، هارون يحيى، ترجمة: سليمان بايبارا، مراجعة: د. أحمد ممتاز سلطان، أورخان محمد علي، بدون ذكر سنة الطبع أو مكان النشر.

١٣٢ ـ خريطة الجينات وإحراق «دارون»! أورخان محمد علي ـ إسطنبول ١٩٩٩ ـ ٢٠١٠ إسلام أون لاين.

١٣٣ ـ الخلايا الجذعية واستنساخ الأجنة الخلفيات والتوقعات والمحاذير: أ. د أمين كشميري، بحث مقدم إلى مدينة الملك عبد العزيز للعوم والتقنية.

١٣٤ ـ الخلايا الجذعية والقضايا الأخلاقية والفقهية: د. محمد علي البار، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة ألولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

١٣٥ ـ الخلايا الجذعية.. علاجٌ أخلاقي يبدأ غداً، ريم مهنا، الموضوع نقلاً عن مجلة العربي الكويتية، الملحق العلمي، العدد الثامن، ديسمبر ٢٠٠٥ عن موقع إسلام أون لاين.

١٣٦ ـ الخلق.. بين الحقائق القرآنية والنظريات البشرية د. عبدالخالق حامد السباعي ـ أستاذ متفرغ بكلية الزراعة جامعة الإسكندرية ـ الشاطبي ـ جمهورية مصر العربية بحث على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

١٣٧ ـ الخلية: تأليف الدكتور محمود حياوي، رئيس قسم التشريح والأنسجة والأجنة، كلية الطب ـ جامعة بغداد، طبع بمطابع مديرية الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د. ت.

١٣٨ ـ دوللي.. من الميلاد.. إلى القتل الرحيم، جريدة الأهرام، السبت، ١٣/ ذو القعدة/ ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٥/ ديسمبر/ ٢٠٠٤ م العدد ٤٣١١٨.

١٣٩ ـ رفاعة رافع الطهطاوي: تأليف: جمال الدين الشيال، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.

١٤٠ ـ روائع الطب الإسلامي: تأليف العلامة الدكتور الطبيب محمد نزار الدقر اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي دكتور «فلسفة» في العلوم الطبية كاتب تخصص في الطب الإسلامي، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net

١٤١ ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين: محي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض: دار الكتب العلمية.

١٤٢ ـ روضة القضاة وطريق النجاة: للسمناني، تحقيق: صلاح الدين الناهي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأول، ١٩٨٤ م.

١٤٣ ـ رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصر، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة.

١٤٤ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت ـ الكويت، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

١٤٥ ـ السراج الوهاج على متن المنهاج العلامة محمد الزهري الغمراوي، دار المعرفة للطباعة، بيروت ـ لبنان.

١٤٦ ـ سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ـ بيروت.

١٤٧ ـ سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٤٨ ـ سنن أبي داود المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٤٩ ـ سنن البيهقي الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

١٥٠ ـ سنن الترمذي المسمى (الجامع الصحيح): محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٥١ ـ سنن الدارقطني المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦.

١٥٢ ـ سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها.

١٥٣ ـ سنن النسائي الكبرى المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ ـ ١٩٩١.

١٥٤ ـ سنن النسائي المسمى (المجتبى من السنن): أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

١٥٥ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، المحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

١٥٦ ـ شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥٧ ـ شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل: عبد الباقي يوسف الزرقاني المصري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م.

١٥٨ ـ الشرح الكبير: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد الله تركي، القاهرة، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.

١٥٩ ـ شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى: ٩٧٢ هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٦٠ ـ شرح النووي على صحيح مسلم، المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.

١٦١ ـ شرح سنن ابن ماجه: السيوطي، عبد الغني، فخر الحسن الدهلوي، الناشر: قديمي كتب خانة ـ كراتشي، (د. ت).

١٦٢ ـ شرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد، بيروت، دار التراث، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.

١٦٣ ـ شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

١٦٤ ـ شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

١٦٥ ـ الشفرة الوراثية للإنسان: القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجيونم البشري، تحرير: دانييل كيفلس، وليروي هود، ترجمة: د. أحمد مستجير، يناير / ١٩٩٧ م: ضمن سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

١٦٦ ـ الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الرابعة ـ يناير ١٩٩٠ م.

١٦٧ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣.

١٦٨ ـ صحيح البخاري المسمى بـ (الجامع الصحيح المختصر)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة ـ جامعة دمشق، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٦٩ ـ صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري ـ د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة ـ بيروت، لطبعة الثانية، ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩.

١٧٠ ـ ضرورة العلم دراسات في العلم والعلماء، تأليف: ماكس بيروتي، ترجمة: وائل أتاسي، د. بسام معصراني، مراجعة: د. عدنان الحموي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب ـ الكويت ١٩٩٩ م.

١٧١ ـ الطب الوراثي وحافة الخطر، مصطفى إبراهيم فهمي، مجلة العربي العدد ٤٢٩ في ١/٨/١٩٩٤ م.

١٧٢ ـ طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٧ هـ، الطبعة الأولى.

١٧٣ ـ طبقات الشافعية الكبرى: الإمام العلامة تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤١٣ هـ الطبعة الثانية.

١٧٤ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني ـ القاهرة.

١٧٥ ـ ظاهرة العلم الحديث: ، دراسة تحليلية وتاريخية، تأليف: د عبد الله العمر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٩٨٣ م.

١٧٦ ـ العبر في خبر من غبر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤، الكويت.

١٧٧ ـ عجز العقل العلماني، عيد الدويهي، الطبعة الأولى، شوال ١٤٢٠ هجرية، يناير ٢٠٠٠ ميلادية، دون ذكر مكان الطبع.

١٧٨ ـ العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، تأليف الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي الشافعي (ت ٦٢٣

هـ)، تحقيق: وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

١٧٩ ـ عسكرة الهندسة الوراثية، د. خير الدين عبد الرحمن، مجلة الحرس الوطني، عدد ٢٥٠، محرم، ١٤٢٤ هـ.

١٨٠ ـ عصر الجينات والإلكترونات، د. والتر تروت أندرسون، ترجمة: د. أحمد مستجير، القاهرة، مطابع دار إلياس العصرية للطباعة والنشر، أودع دار الكتب المصرية عام ١٩٩٧ م.

١٨١ ـ العصر الجينومي استراتيجية المستقبل البشري، د. موسى الخلف، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، مطابع السياسة، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

١٨٢ ـ العظمة في كل مكان / هارون يحيى.

١٨٣ ـ العلاج الجيني من منظور الفقه الإسلامي، الترعيف بالعلاج الجيني وما يرتبط به، أ. د. علي محيي الدين القرة داغي ـ موقع أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة، في ٢٨/ ٩/ ٢٠١٠ م.

١٨٤ ـ علم الوراثة وصحتك، د. راين ألفورد، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط/ ١، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.

١٨٥ ـ العلم في الإسلام: أنور الجندي، سلسلة دراسات إسلامية معاصرة ٢٣، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، د، ت.

١٨٦ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: المؤلف: بدر الدين أحمد العيني الحنفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٨, م.

١٨٧ ـ عمل اليوم والليلة: أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن، تحقيق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

١٨٨ ـ عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، تأليف جان ماري بيلت، ترجمة: السيد محمد عثمان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٩٤ م، برقم (١٨٩).

١٨٩ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥.

١٩٠ ـ غروب الحضارة الأمريكية القرن الحادي والعشرون قرن الانحطاط الأمريكي: كمال حبيب، مجلة العربي العدد ١٣٣.

١٩١ ـ غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، لمولانا زين العابدين إبراهيم الشهير بابن نجيم المصري، شرح: مولانا السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

١٩٢ ـ الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ لبنان، الطبعة الثانية.

١٩٣ ـ فتاوى الشبكة الإسلامية ـ بإشراف د. عبد الله الفقيه (ج ٨/ص ٤٤٩٨) رقم الفتوى ٥٥٤٥٢ لا بأس باستخدام علم الهندسة الوراثية في المحاصيل الزراعية بضوابط تاريخ الفتوى: ٢٥ رمضان ١٤٢٥.

١٩٤ ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إعداد: أحمد بن عبد

الرزاق الدرويش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.

١٩٥ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية).

١٩٦ ـ فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للشيخ زين الدين بن عبد العزيز المليباري الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م..

١٩٧ ـ الفتن المؤلف: نعيم بن حماد المروزي الناشر، تحقيق: سمير أمين الزهيري: مكتبة التوحيد ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

١٩٨ ـ الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ: أ. د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله، بجامعة دمشق ـ كلّيَّة الشَّريعة، دار الفكر ـ سوريَّة ـ دمشق، الطَّبعة الرَّابعة.

١٩٩ ـ القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: سعدي أبو جيب، دار الفكر. دمشق ـ سورية، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

٢٠٠ ـ قرار المجمع في الدورة الثامنة المنعقدة في مكة في الفترة من السبت ٢٨/ ربيع ألآخرة / ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩ ـ ٢٨ يناير ١٩٨٥ م القرار الثاني.

٢٠١ ـ القرآن والعلم الحديث بقلم: الأستاذ أحمد محمد جمال رحمه الله مقال منشور، منتديات اتباع المرسلين، ٢٠٠٨ م.

٢٠٢ ـ قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، الشيخ نديم الجسر، طرابلس، لبنان.

٢٠٣ ـ قضايا فقهية في الجينات البشرية من منظور إسلامي د. عارف علي عارف، بحث ضمن دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، الأردن، دار النفائس، ط/١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

٢٠٤ ـ القطتان المستنسختان «تبولة» و«بابا غنوج» موقع البي بي سي الإخباري، ٢٢/ ٧/ ١٤٢٥ هـ BBC.ARABIC.COM

٢٠٥ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، (ت ٦٦٠ هـ)، دراسة وتحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت ـ لبنان.

٢٠٦ ـ قواعد الفقه: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي دار النشر ـ الصدف ـ ببلشرز.

٢٠٧ ـ القواعد الفقهية والأصولية ومقاصد الشريعة ذات الصلة ببحوث الخلايا الجذعية، الدكتور سعد بن ناصر ضمن مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٨ لسنة ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.

٢٠٨ ـ القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير: عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٠٩ ـ قوانين الأحكام الفقهية، لأبي القاسم بن جزي، الطبعة ألأولى، دار الفكر العربي، ١٩٩٨ م.

٢١٠ ـ كاجويا. . . تنبئ بانقراض الذكور!، د. طارق قابيل، موقع إسلام

أون لاين، علوم وتكنولوجيا، هندسة وراثية، في ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٤ م.

٢١١ ـ الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل: عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد(ت ٦٢٠ هـ)، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت.

٢١٢ ـ كتاب فرنسيس كريك مكتشف الشفرة الوراثية تأليف: مات ريدلي ترجمة وتحقيق: إيمان فتحي سرور ـ أسماء محمد عادل، الناشر، كلمات عربية، سلسلة: سير العظماء، تاريخ النشر ٢٠١٠ م.

٢١٣ ـ كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق: محمد أمين الصاوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

٢١٤ ـ الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م الطبعة: الأولى.

٢١٥ ـ الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرى ـ دراسة مقارنة، رسالة ماجستير إعداد الطالب: أشرف أحمد محمد محمد عماشة، المعيد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة، إشراف: الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي، ١٨ مارس ٢٠٠٣ م.

٢١٦ ـ كيف ندعو الناس: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

٢١٧ ـ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى.

٢١٨ ـ لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت.

٢١٩ ـ لغة الكيمياء، عند الكائنات الحية، تأليف: د أحمد مدحت إسلام، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٨٥ م.

٢٢٠ ـ اللمع في أصول الفقه: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ.

٢٢١ ـ اللولب المزدوج «يحكي قصة الحياة، د. طارق قابيل موقع إسلام أون لاين، الأربعاء. ١١/يونيو/ ٢٠٠٣ م.

٢٢٢ ـ ماذا يحدث إذا كان العلم بلا إيمان؟ إبراهيم بن محمد الحقيل، مجلة العربي العدد ١٧١.

٢٢٣ ـ مبادئ الأحياء للصف الأول المتوسط، جمهورية العراق، وزارة التربية، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م.

٢٢٤ ـ مجلة (المسلمون) مجلة العالم الإسلامي، شهرية، يصدرها المركز الإسلامي، مصر.

٢٢٥ ـ مجلة (دراسات) الصادرة عن الجامعة الأردنية المجلد ١٢ العدد ٣ جمادى الآخرة عام ١٤٠٥ هـ.

٢٢٦ ـ مجلة الإعجاز العلمي: العدد السابع والعشرين جمادى الأولى ١٤١٧ هـ موقع: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢٢٧ ـ مجلة البحوث الإسلامية ـ مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة، تأليف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء: http://www.alifta.com

٢٢٨ ـ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السعودية، مسائل في الفقه، العدد العاشر، ١٤١٢ هـ.

٢٢٩ ـ مجلة الرسالة الإسلامية، مجلة فكرية إسلامية، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية.

٢٣٠ ـ مجلة العربي، مجلة عربية مصورة شهرية جامعة تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت.

٢٣١ ـ المجلة العربية للدراسات الأمنية في الرياض، شهر ذي الحجة ١٤٠٦ هـ الموافق شهر آب «أغسطس» عام ١٩٨٦ م.

٢٣٢ ـ المجلة العلمية Journal of MelecularEvolution العدد ٢٦.

٢٣٣ ـ مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مجلة دورية محكمة يصدرها المجمع الفقهي الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي، المشرف العام الأستاذ الدكتور: عبد الله عبد المحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة. الطبعة الخامسة.

٢٣٤ ـ المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة، موقع BBC.ARABIC.comفي ٢/ ١/ ٢٠٠٧.

٢٣٥ ـ المحاصيل المعدلة وراثياً والبيئة. مركز معلومات التكنولوجيا العضوية ـ مصر. K4.

٢٣٦ ـ المحلى لابن حزم، بيروت، دار آفاق الجديدة.

٢٣٧ ـ المحيط في اللغة: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آلياسين، عالم الكتب ـ بيروت / لبنان ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م، الطبعة: الأولى.

٢٣٨ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، بيروت، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.

٢٣٩ ـ المخصص ـ لابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.

٢٤٠ ـ المدخل الإسلامي للهندسة الوراثية البشرية: الدكتور سالم نجم، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي السنة الثامنة العدد العاشر.

٢٤١ ـ مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم د. عماد الدين خليل، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net

٢٤٢ ـ المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) رواية سحنون، تحقيق: علي بن السيد هاشم، طبع على نفقة الشيخ زايد آل نهيان، ١٤٢٢ هـ.

٢٤٣ ـ مراتب الإجماع لابن حزم الظاهري الأندلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة ألأولى، بيروت، ١٩٨٣ م.

٢٤٤ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: الملا علي القاري، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٧ م.

٢٤٥ ـ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م.

٢٤٦ ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: للحافظ ابن النجار البغدادي انتقاء الحافظ أبي الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٢٤٧ ـ مستقبلنا الوراثي: الجمعية الطبية البريطانية، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، نيويورك، مطبعة جامعة أكسفورد، الناشر، المكتبة الأكاديمية، بالقاهرة، ١٩٩٥ م.

٢٤٨ ـ مسند أبي يعلى المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤.

٢٤٩ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

٢٥٠ ـ مسند البزار (البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢ هـ) تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩ هـ بيروت، المدينة.

٢٥١ ـ مسند الشافعي: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٥٢ ـ مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة

الثانية، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦.

٢٥٣ ـ المسند للشاشي أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي (ت ٣٣٥ هـ) تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٠ هـ المدينة المنورة.

٢٥٤ ـ مصباح الزجاجة شهاب الدين البوصيرى، دار الجنان ـ بيروت.

٢٥٥ ـ المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.

٢٥٦ ـ معالم التنزيل لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٥٧ ـ معالم السنن: للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابى البستي (ت ٣٨٨ هـ) طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ، في مطبعته العلمية بحلب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٥٢ هجرية وسنة ١٩٣٣ ميلادية.

٢٥٨ ـ معاني القرآن الكريم، للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٢٥٩ ـ المعجزة العلمية في القرآن والسنة، مقال منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢٦٠ ـ معجزة القرآن: الشعراوي الطبعة الأولى، المختار الإسلامي /١٩٧٨ م ـ ١٣٩٨ هـ.

٢٦١ ـ المعجم الصغير للطبراني: المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو

القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير المكتب الإسلامي، دار عمار ـ بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

٢٦٢ ـ المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٣.

٢٦٣ ـ المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٢٦٤ ـ معجم مصطلحات البيولوجيا، شريف فهمي بدوي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط/١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.

٢٦٥ ـ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٢٦٦ ـ معونة أولي النهي: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٨ م.

٢٦٧ ـ معين الحكام في ما يتردد بين الخصمين من الأحكام، تأليف علاء الدين أبي الحسين علي بن خليل الطرابلسي الحنفي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م، الطبعة الثانية.

٢٦٨ ـ المغني، لابن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، الرياض، دار عالم الكتب، ط/٤، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م: ١٢/٦٣.

٢٦٩ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب

الشربيني، دار الفكر، بيروت.

٢٧٠ ـ مفسر المصطلحات العلمية محمد حسين غزال، الأردن، ط/١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

٢٧١ ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، دمشق، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.

٢٧٢ ـ المقاصد الشرعية والقضايا البيولوجية، د: مصدق حسن رسالة دكتوراه، تونس جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين ١٤٢٠ هـ ١٤٢١ هـ.

٢٧٣ ـ المقنع لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) مع الشرح الكبير لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

٢٧٤ ـ ملخص أعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية، الكويت، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٠ م.

٢٧٥ ـ من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم، الدكتور عدنان الشريف، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة ألأولى، ١٩٩٠ م.

٢٧٦ ـ من يخاف استنساخ الإنسان، جريجوري أي بنس، ترجمة: د. احمد مستجير، د. فاطمة نصر، القاهرة، مطابع لوتس بالفجالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

٢٧٧ ـ المنتقي شرح موطأ مالك، تأليف القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي (ت ٤٩٤ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.

٢٧٨ ـ المنثور في القواعد: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.

٢٧٩ ـ المهذب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار الفكر، بيروت.

٢٨٠ ـ موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.

٢٨١ ـ الموسوعة الطبية، الشركة للمطبوعات، ١٩٩٨ م، ولم يذكر مكان الطبع.

٢٨٢ ـ الموسوعة الطبية العربية، د. عبد الحسين بيرم، بيروت، الدار الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع / ط/ ١، ١٩٨٩ م.

٢٨٣ ـ الموطأ للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ مصر.

٢٨٤ ـ موقع: http://najah...edu/arabic/newsletter/issue68/page10.htm في ٨/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

٢٨٥ ـ موقع: /http://www.feedo.net/investigation 1 factsaboutanthrax.htm في ١٠/ ١١/ ١١٤٢٥ هـ.

٢٨٦ ـ موقع: http://www.smsec.com/family/sc4all//war/htm في ٩/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

٢٨٧ ـ موقع: www.bbc.com في ٢٤/ ١/ ٢٠٠١.

٢٨٨ ـ مـوقـع: WWW.islamset.com/arabic/anews/genet فـي ٢٩/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

٢٨٩ ـ موقع: الابتسامة. . . June 11, 2009, 04:10 AM

٢٩٠ ـ موقع BBC ARABIC.COM الخميس ٢٥/ ديسمبر /٢٠٠٣.

٢٩١ ـ مـوقـع http://www.islamonline.net/arabic/science/article06.shtml في ١٨/ ١/ ٢٠٠١.

٢٩٢ ـ موقع إسلام أون لاين:

٢٩٣ ـ مـوقـع الـصـلـيـب الأحـمـر الـدولـي، /WWW.icrc.org/web/ara siteara.nst/wiblist

٢٩٤ ـ مـوقـع الـوطـن: http//alwattan.com /Graphics/200/Oct/12,10/h eads/ 2Ot 4.htm في ١٨/ ١١/ ١٤٢٥ هـ.

٢٩٥ ـ موقع مساواة الإسرائيلي wwwmossawa center.org/ar/pressreleases

٢٩٦ ـ موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة /ar.wikipedia.org/wiki

٢٩٧ ـ موقف الدين من العلم: د. علي فؤاد باشكيل، ترجمة: أورخان محمد علي، ط/٣، دار الأنبار، للطباعة والنشر، سنة ١٩٨٨.

٢٩٨ ـ موقف الشرع إزاء ملكية الجينات البشرية، ينظر: أ. د. أمين بن صالح كشميري، ورقة عمل ضمن سجل الأوراق العلمية لحلقة نقاش

(من يملك الجينات؟) التي عقدت في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض.

٢٩٩ ـ النباتات المعدلة وراثياً . . والبيئة، د. نهلة بركات، على الموقع: www.slidefinder.net/g/genetically...20plants...20environment/10694795

٣٠٠ ـ ندوة رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة، الجزء الأول (الاستنساخ) عقد في الدار البيضاء، في الفترة ١٤ ـ ١٧/يونيو/١٩٩٧. ثبت الندة: ١ ـ د. محمد المختار السلامي، بحث بعنوان (الاستنساخ). ٢ ـ د. محمد سليمان الأشقر، الاستنساخ في ميزان الشريعة. ٣ ـ د. فريد نصر وأصل، الاستنساخ البشري وأحكامه الطبية والعملية في الشريعة الإسلامية. ٤ ـ د. أحمد رجائي الجندي، بحث الاستنساخ البشري بين الإقدام والإحجام. ٥ ـ د. حسن حتحوت، بحث استنساخ البشر. ٦ ـ د. حسن علي الشاذلي، الاستنساخ حقيقته أنواعه ـ حكم كل نوع في الفقه الإسلامي. ٧ ـ د صديقة العوضي، الاستنساخ.

٣٠١ ـ نظرية التطور بين الدين والعلم والعقل أنور الجندي / منشورات المكتبة العصرية / صيدا ـ بيروت.

٣٠٢ ـ النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود، تأليف: د. عبد الله الركبان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م، الطبعة الأولى.

٣٠٣ ـ نهاية السول شرح منهاج الوصول: للإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٣٠٤ ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، (ت

١٠٠٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٣٠٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٣٠٦ ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.

٣٠٧ ـ نيل المآرب بشرح دليل الطالب لنيل المطالب في الفقه الحنبلي: للإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تأليف: عبد القادر بن عمر الشيباني، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، ٢٠٠٥ م.

٣٠٨ ـ الهداية شرح بداية المبتدي، أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغياني، (ت ٥٩٣ هـ)، الناشر المكتبة الإسلامية.

٣٠٩ ـ هل تعتبر الأغذية المشتقة من المحاصيل المعدلة وراثياً آمنة؟ K3 مركز معلومات التكنولوجيا الحيوية مصر.

٣١٠ ـ الهندسة الواثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع، د. إياد أحمد إبراهيم، الأردن، دار الفتح، الطبعة لأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.

٣١١ ـ الهندسة الوراثية بين مخاطرها ومواجهة الجوع، أ. د أسامة محمد الطيب: ٢٠٠٥/ ٣/ ٨ الثلاثاء على موقع إسلام أون لاين.

٣١٢ ـ الهندسة الوراثية ما هي؟ مجلة الأهرام المصرية العدد ٤٣١١٨ السنة ٢٥/ ديسمبر / ٢٠٠٤.

٣١٣ ـ الهندسة الوراثية والأخلاق، تأليف ناهدة البقصمي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب ـ الكويت، ١٩٩٣ م.

٣١٤ ـ الهندسة الوراثية.. تلهو بغذائك، نهى سلامة منتديات وهج، في ٢٥/١٢/٢٠٠٩.

٣١٥ ـ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مكة المكرمة إعداد: د. عبد الرحمن القرشي الأستاذ المشارك (بكلية الطب) استشاري الميكروبات الطبية بمستشفى الملك فهد الجامعي بالخبر جامعة الملك فيصل.

فهرست الآيات

الصفحة	السورة ورقمها	الآيــة
٢٠٠	البقرة: ١٠٦	مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
١١٠	البقرة: ١٩٤	ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ
٥٦	البقرة: ١٩٥	وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ
١٤٤	البقرة: ١٧٣	إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
١٤٥	البقرة: ١٨٥	يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ
١١١	البقرة: ٢٠٥	وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ
٥٥	البقرة: ٢٣٣	وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ
٩٤ ١٤١	النساء: ٢٩ ـ ٣٠	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا

الآيـــة	السورة ورقمها	الصفحة
وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا	النساء: ١١٥	١٦١
إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا	النساء: ١١٧ـ١١٩	١٠٩ ١٦٧
وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ	المائدة: ٢	١٣٠
يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ	المائدة: ٤	١٩٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ	المائدة: ٨	٢٩٦ ٢٧٠

الآيـــة	السورة ورقمها	الصفحة
قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	الأنعام: ١٤٥	١٩٦
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ	الأعراف: ٢٧	٧
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	الأعراف: ٣٢	١٩٧
يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ	الأعراف: ١٥٧	١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ٢٠١
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ	الأعراف: ١٧٢	٢

الآيـــة	السورة ورقمها	الصفحة
﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾	الأنفال: ٦٠	٣١٢
﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾	هود: ٨٩	٢٧٠
﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾	يوسف: ٢٦ ـ ٢٨	٢٧٨
﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	يوسف: ٧٦	٤٥

الآيـــة	السورة ورقمها	الصفحة
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾	الأنبياء: ٢٤	٤٥
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾	المؤمنون: ٥ ـ ٧	٢١٢
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾	المؤمنون: ١٢	٣٨
﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	النور: ٣	٢٤١
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	النور: ٤٥	٦٣
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	الفرقان: ٥٤	٢١١
﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾	النمل: ٨٢	٢٥٩ ٢٩٠ ٢٦١
﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	النمل: ٨٨	٢٦٦
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الروم: ٣٠	٢٩٠

الآيــة	السورة ورقمها	الصفحة
ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ	السجدة: ٧	٢٦٥
ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ	السجدة: ٨	٣٨
ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا	الأحزاب: ٥	٢١٣
ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ	يس: ٦٥	١٠٣
قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ	ص: ٧٩ ـ ٨٣	٢٥١
وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ	ص: ٨٨	٥٠
سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ	فصلت: ٥٣	٢ ٢٤ ٤٤
وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ	الشورى: ٤٠	٣١٠
إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ	الشورى: ٥٠	١٠٣
وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ	الجاثية: ١٣	١٩٦

الآيــة	السورة ورقمها	الصفحة
هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	الجاثية: ٢٩	١١٠
يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	الحجرات: ١٣	٢١١
وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	الذاريات: ٤٩	١٥٦ ١٥٨
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	التغابن: ١٦	١٦٢
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا	الإنسان: ٢	٢٠٧
أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَٰدِرُونَ	المرسلات: ٢٠ _ ٢٣	٣٧
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ	الانفطار: ٨	٣
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	التين: ٤	٢٣
عَلَّمَ الْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	العلق: ٥	١٦١

فهرست الأحاديث والآثار

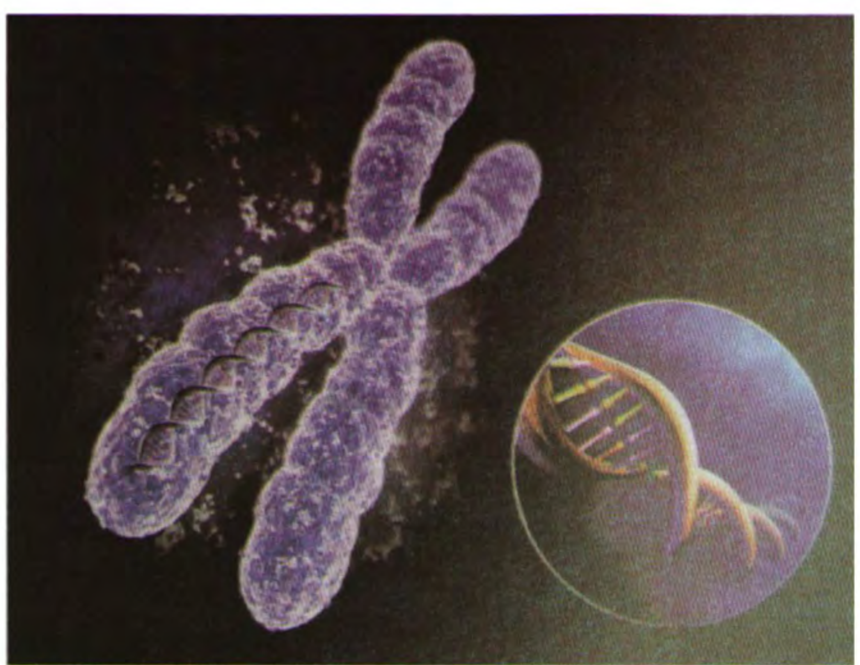
الحديث أو الأثـر	الصفحة
اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيق	٧٦
إذا أتيت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقاً فإذا أبتغي منك آية فضع يدك على ترقوته	٣٤١
إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ	٧٥
إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكاً فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ	١٠٧
اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ	٧٧
إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكاً فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ	١٠٦

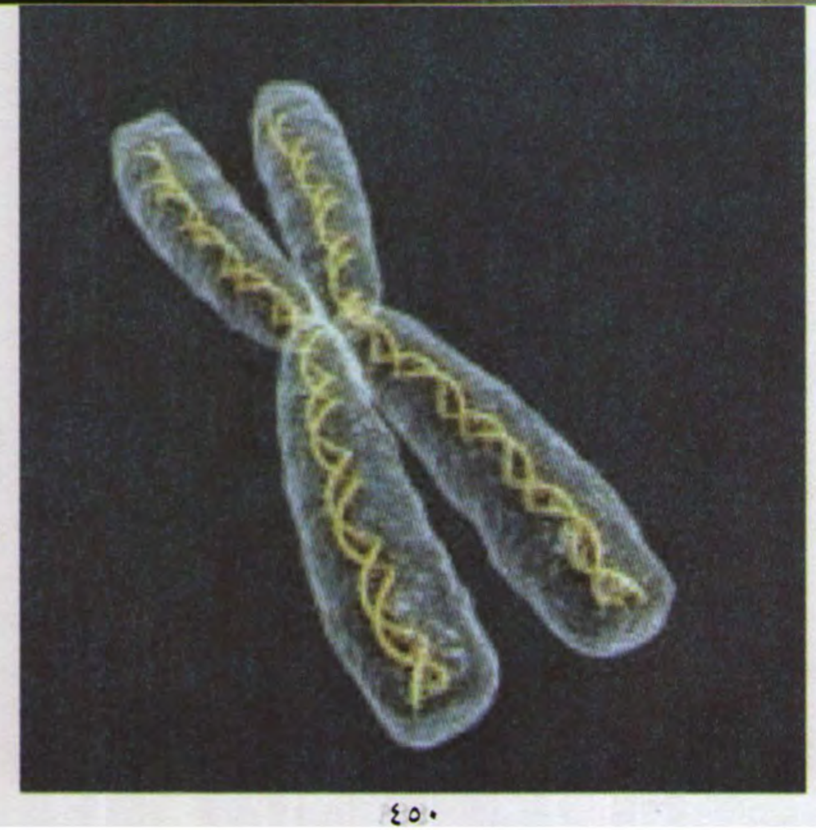
الحديث أو الأثــر	الصفحة
إن الله تعالى تجاوز لأمتي عمّا وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم	٣٥٢
إن الله جميل يحب الجمال	٢٩٢
إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمنهم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومنهم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة	٣٥٢
إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ سُلِّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا	٧٤
أنظرت إليها؟ قال لا قال فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً	٢٩٢
أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللهُ فِي جَنَّتِهِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللهُ مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ	٢٥٨
البينة علي المدعي	٣٤٤
بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب، فذهب بابن أحدهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك أنت فتحاكمتا إلى داود فقضي به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ابنها، فقضي به للصغري.	٣٤٢
تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ	٧٢

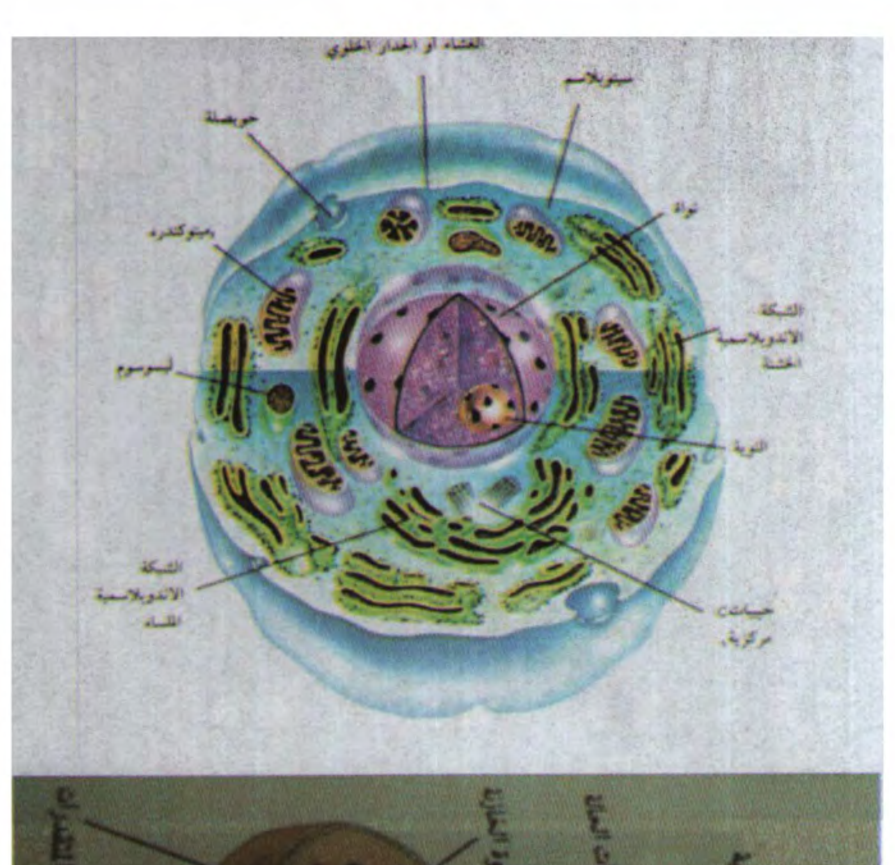
الحديث أو الأثـر	الصفحة
أحتمله معه إلى خيبر حين أجليت بنوا النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حي بن أخطب: ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟ قال: أذهبته النفقات والحروب، قال العهد قريب والمال أكثر من ذلك، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير، فمسه بعذاب فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ها هنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة	٣٤١
عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الزرع والأرض والنخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء وشرط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحي بن أخطب، كان أحتمله معه إلى خيبر حين أجليت بنوا النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حي بن أخطب: ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟ قال: أذهبته النفقات والحروب، قال العهد قريب والمال أكثر من ذلك، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير، فمسه بعذاب فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ها هنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة)	٣٤١
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله طعاماً قط، كان إذا اشتهى شيئاً أكله، وإذا كرهه تركه	٢٣٨ ـ ٢٣٩
عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال (كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء رجل من اليمن، فقال: إن ثلاثة نفر من أهل اليمن أتو علياً يختصمون إليه في ولد، وقد وقعوا على امرأة في طهر واحد، فقال لاثنين منهما: طيبا بالولد لهذا، فغليا، فقال: فقال أنتم شركاء متشاكسون، إني مقرع بينكم فمن قرع فله الولد وعليه لصاحبه ثلثا الدية، فأقرع بينهم،	٢٧٣

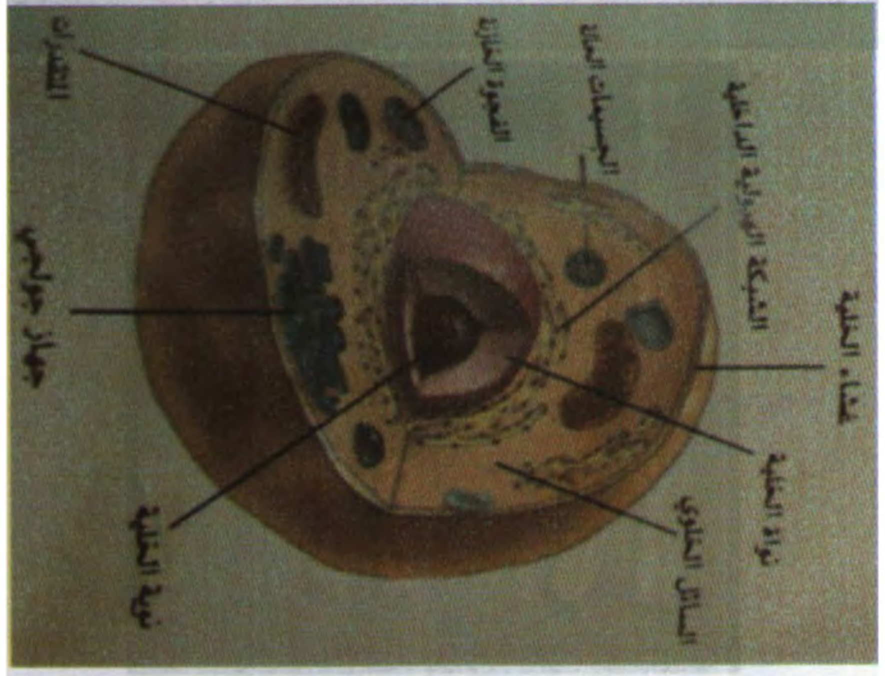
الحديث أو الأثـر	الصفحة
كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ	٧٣
لا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ	٧٧
لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ	١٧٥
لا يعذب بالنار إلاّ رب النار	٣٧٦
لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا	٧٥
اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ	١٧٤
لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها	٣٧٦
لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم	٢٣٩
مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ	٧٨
ما من مولود إلّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء	٣٥٣
ما ولد لك؟ قال: يا رسول الله، ما عسى أن يُولَد لي؟ إمّا غلام وإمّا جارية. قال: «فمن يشبه؟». قال: يا رسول الله، من عسى أن يشبه؟ إمّا أباه وإمّا أمّه. فقال النبي ﷺ عندها: «مه. لا تقولَنَّ هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾» قال: سَلَكك	
مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ	٢٥٨
مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ	٧٦
مَنْ تَطَبَّبَ وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ	٧٨

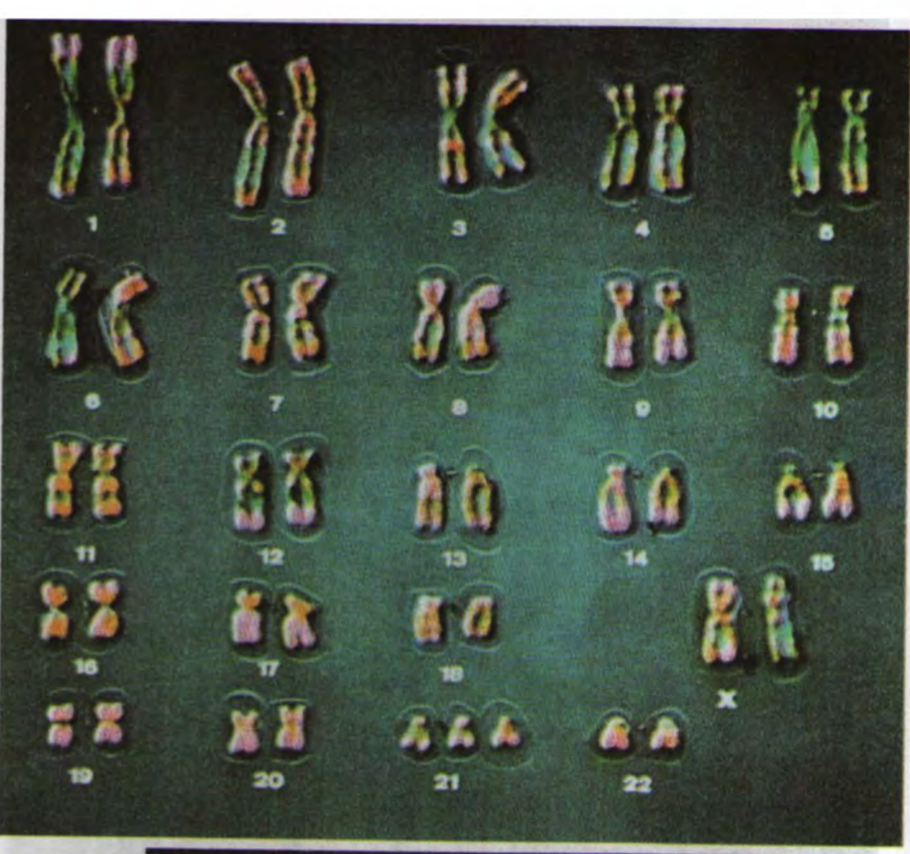
ملحق الصور



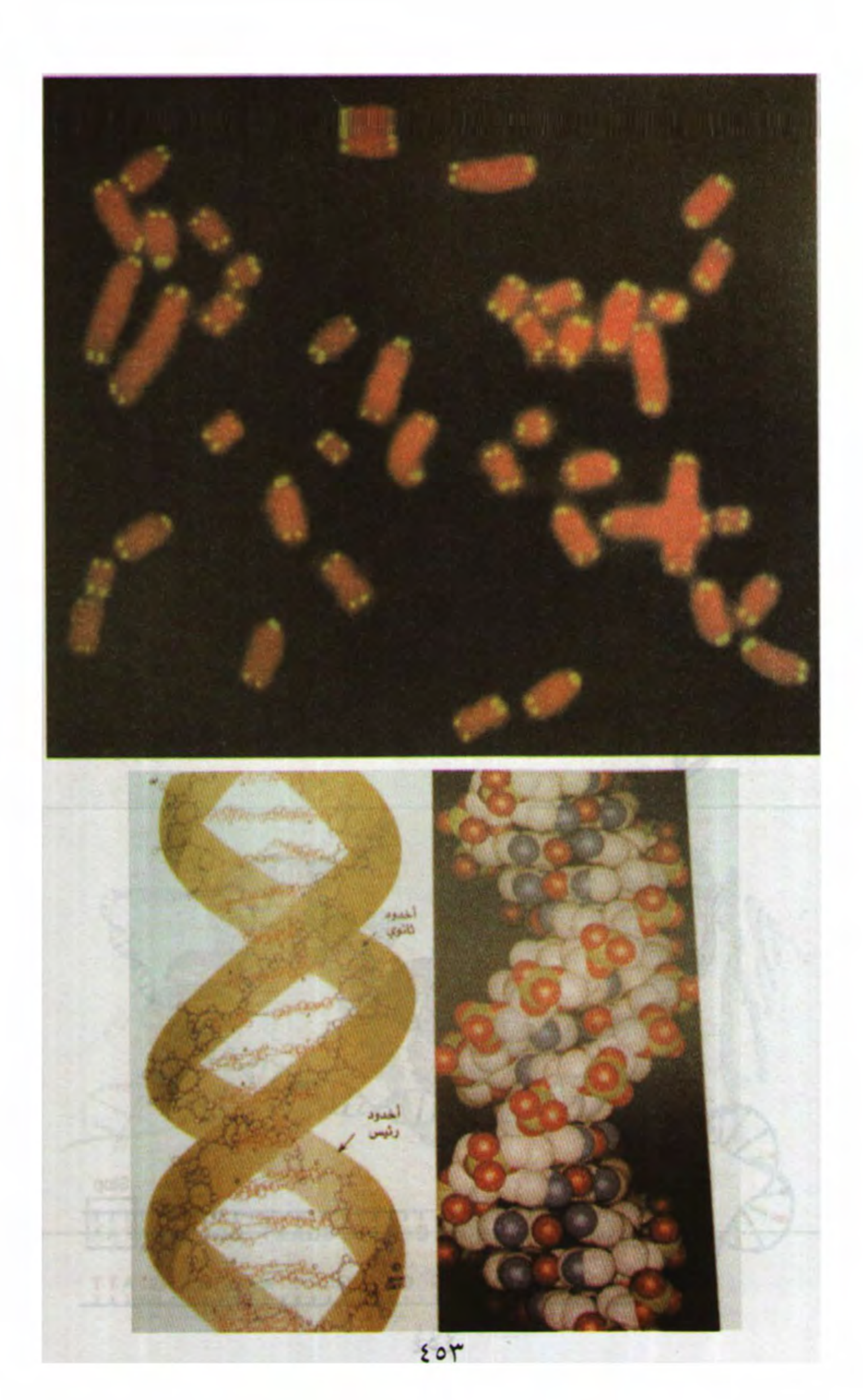



الغشاء أو الجدار الخلوي
سيتوبلازم
حويصلة
نواة
ميتوكندريه
الشبكة الأندوبلازمية الخشنة
ليسوسوم
النوية
الشبكة الأندوبلازمية الملساء
جسيمات مركزية

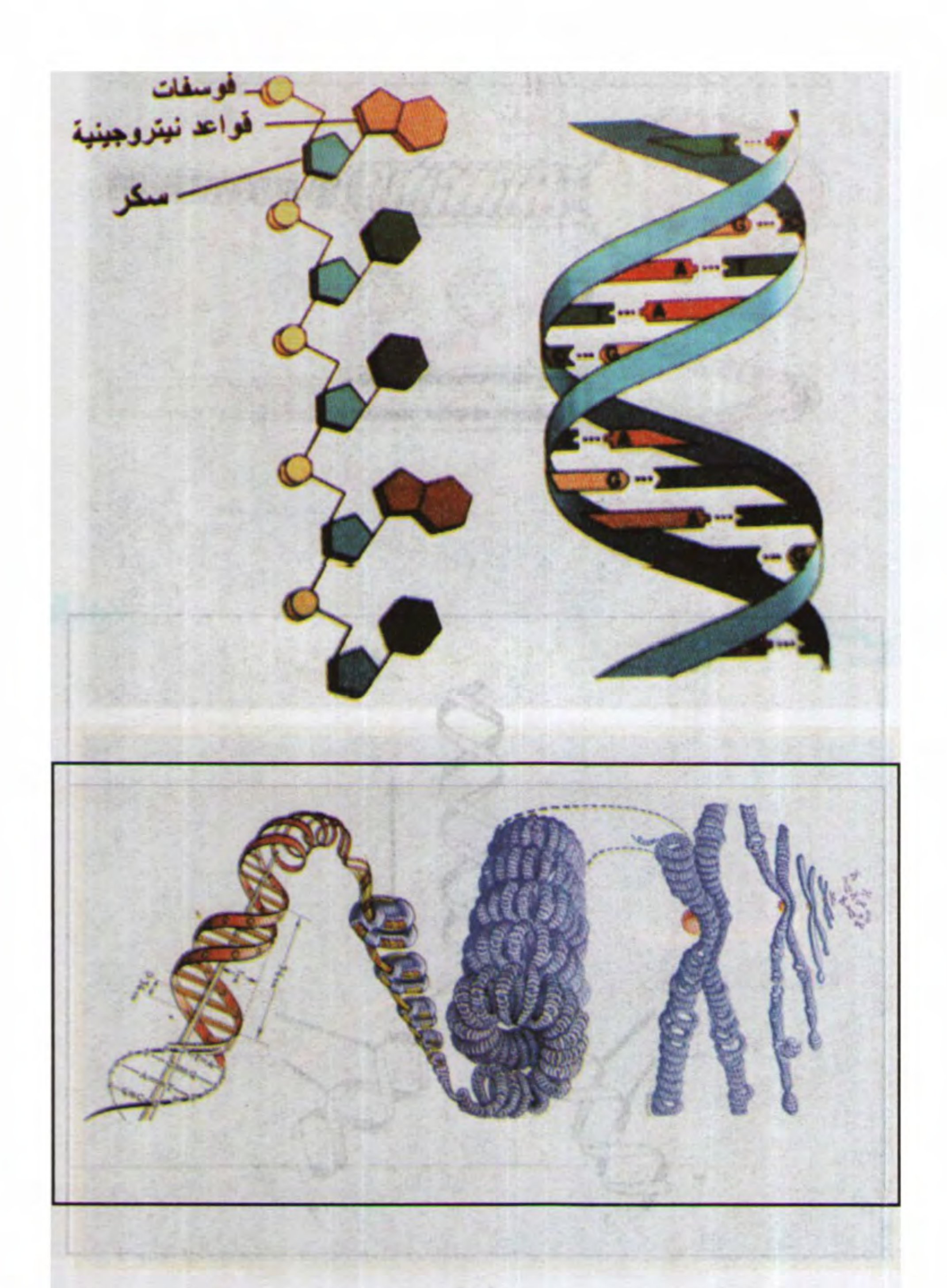

غشاء الخلية
نواة الخلية
السائل الخلوي
نوية الخلية
جهاز جولجي
الفجوة العصارية

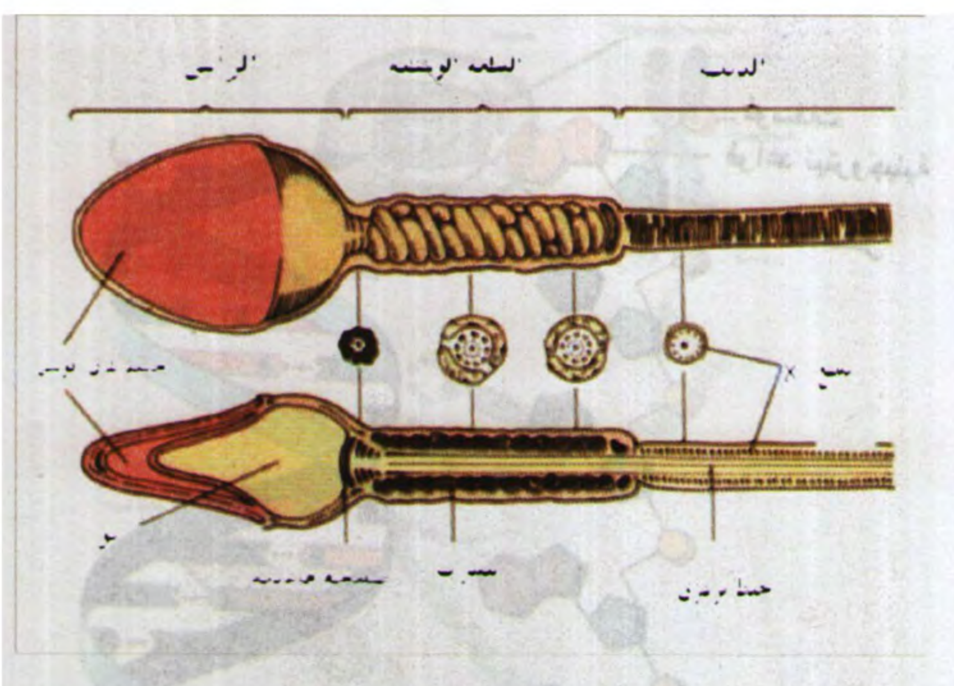

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
X
19
20
21
22

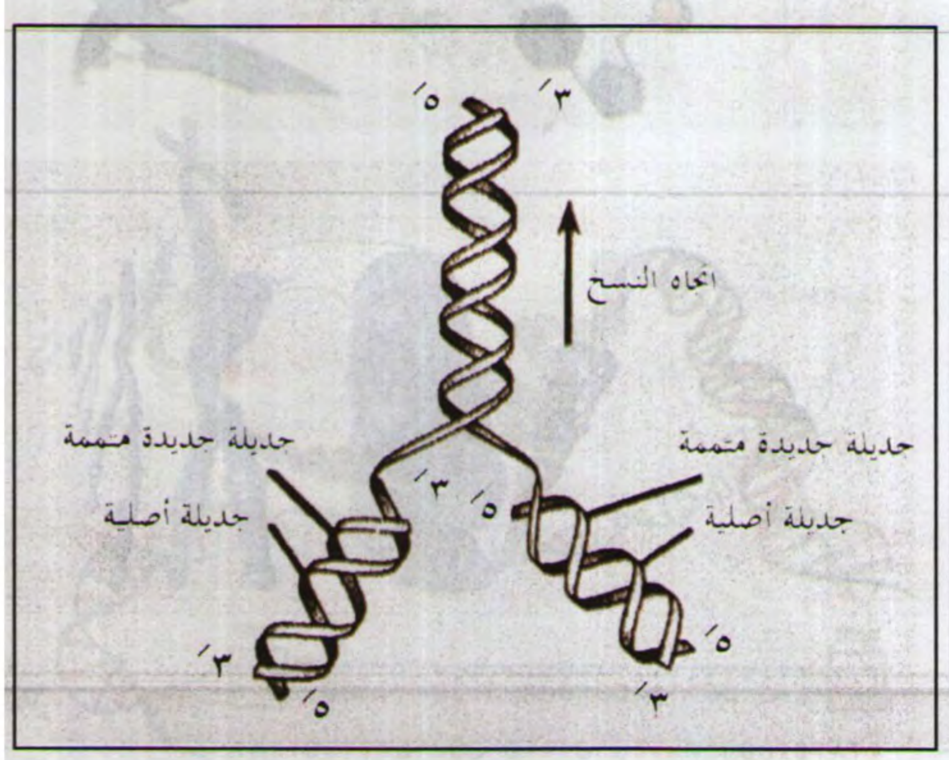


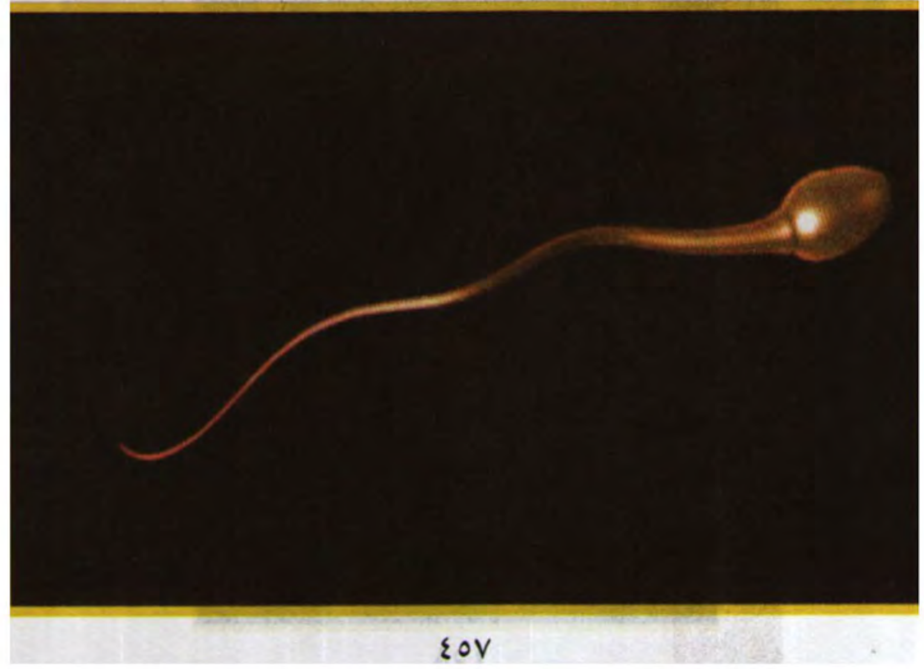

أخدود
ثانوي
أخدود
رئيس

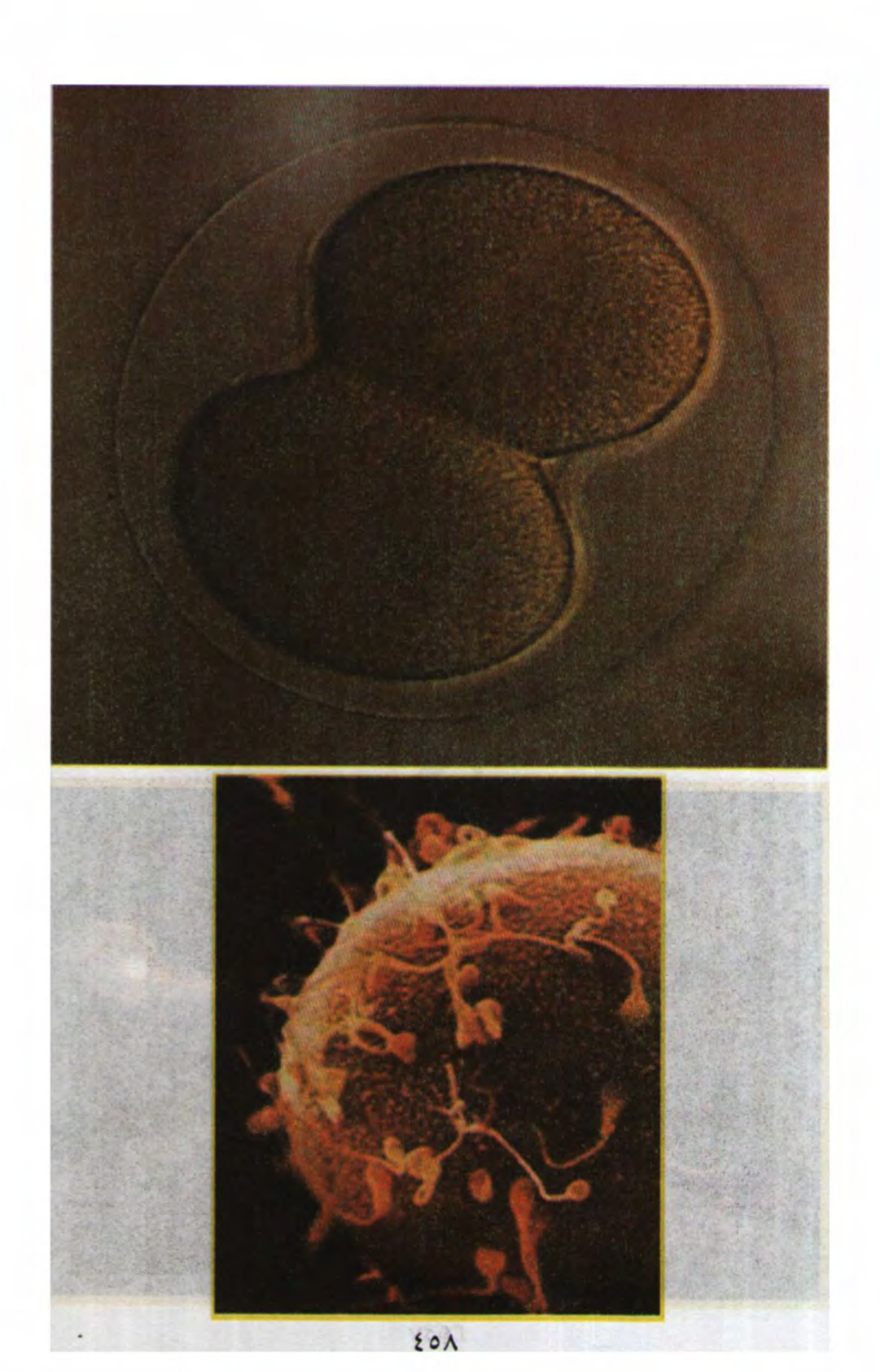

Chromosome
Cell
Start
Stop
ATGACGGATCAGCCGCAAGCGGAATTGGCGACATAA
TACTGCCTAGTCGGCGTTCGCCTTAACCGCTGTATT

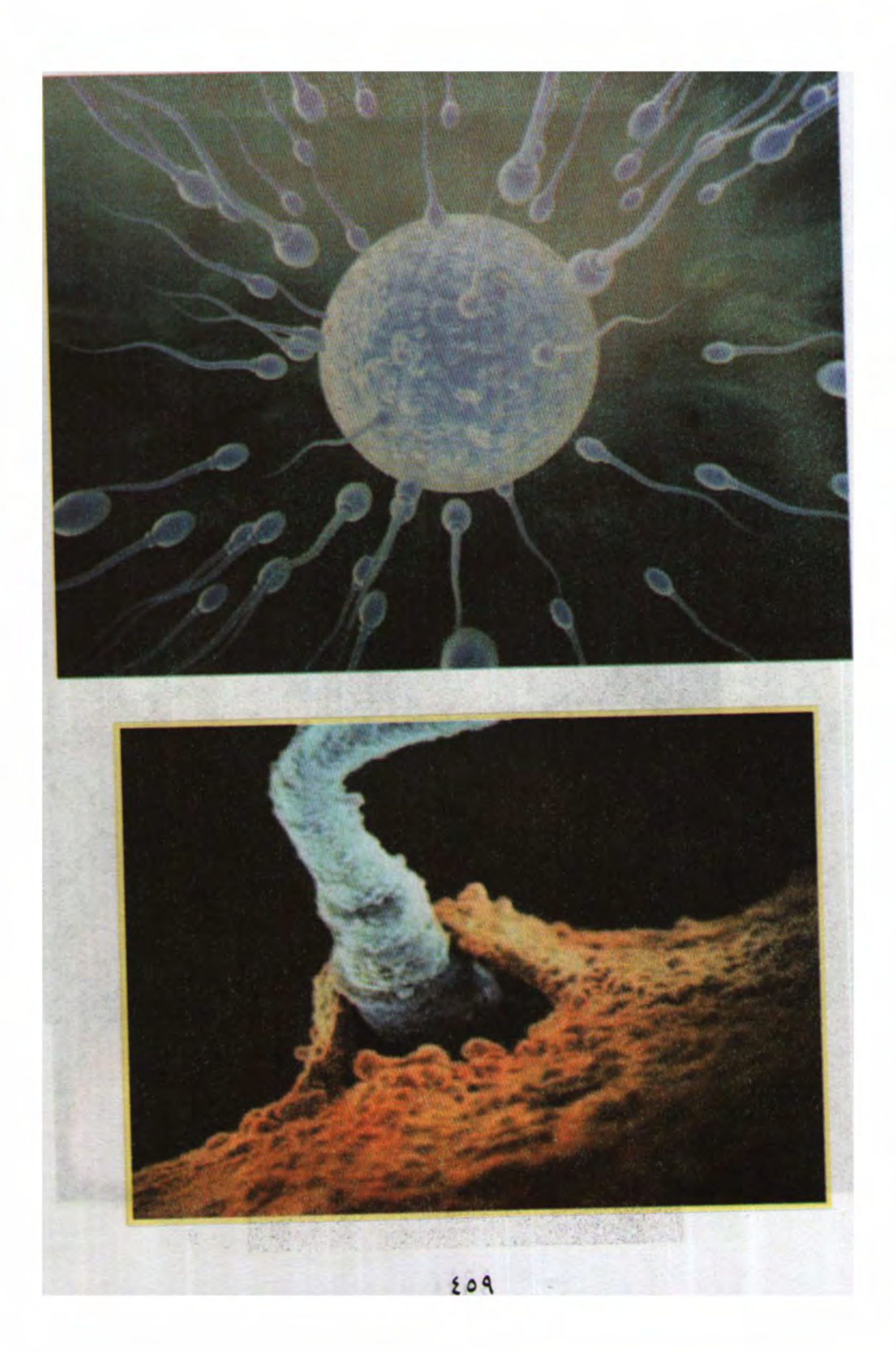

فوسفات
قواعد نيتروجينية
سكر




٥/
٣/
اتجاه النسخ
جديلة جديدة متممة
جديلة أصلية
جديلة جديدة متممة
جديلة أصلية
٣/
٥/
٥/
٣/
٣/
٥/

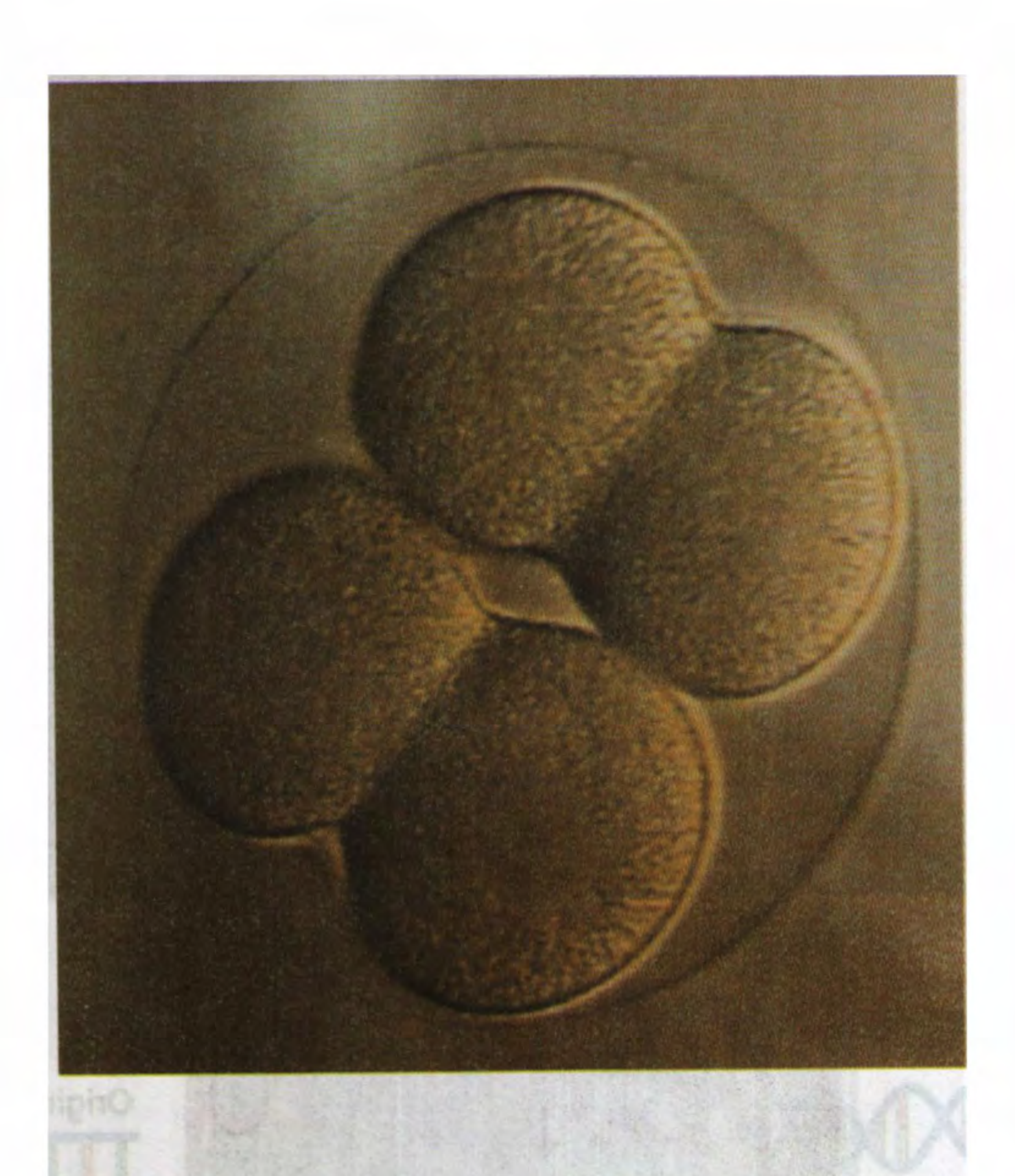


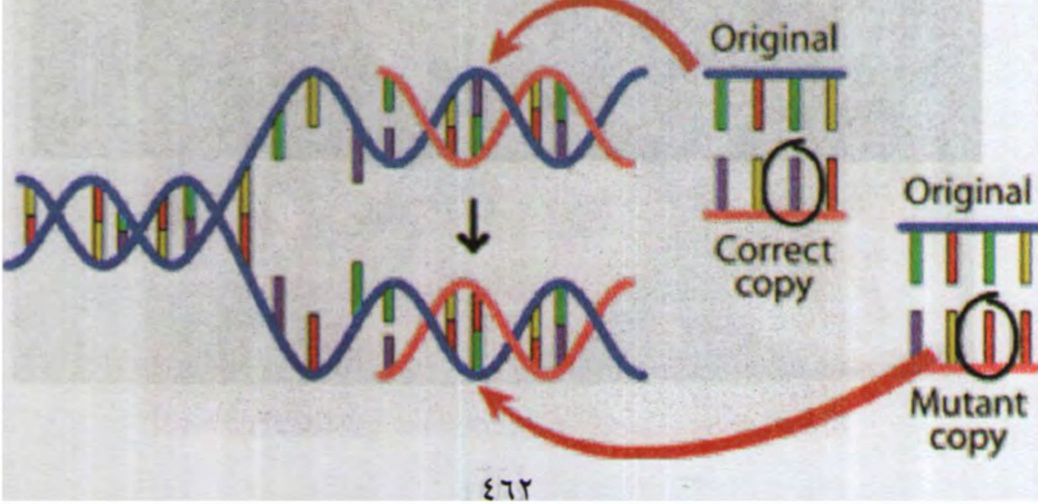




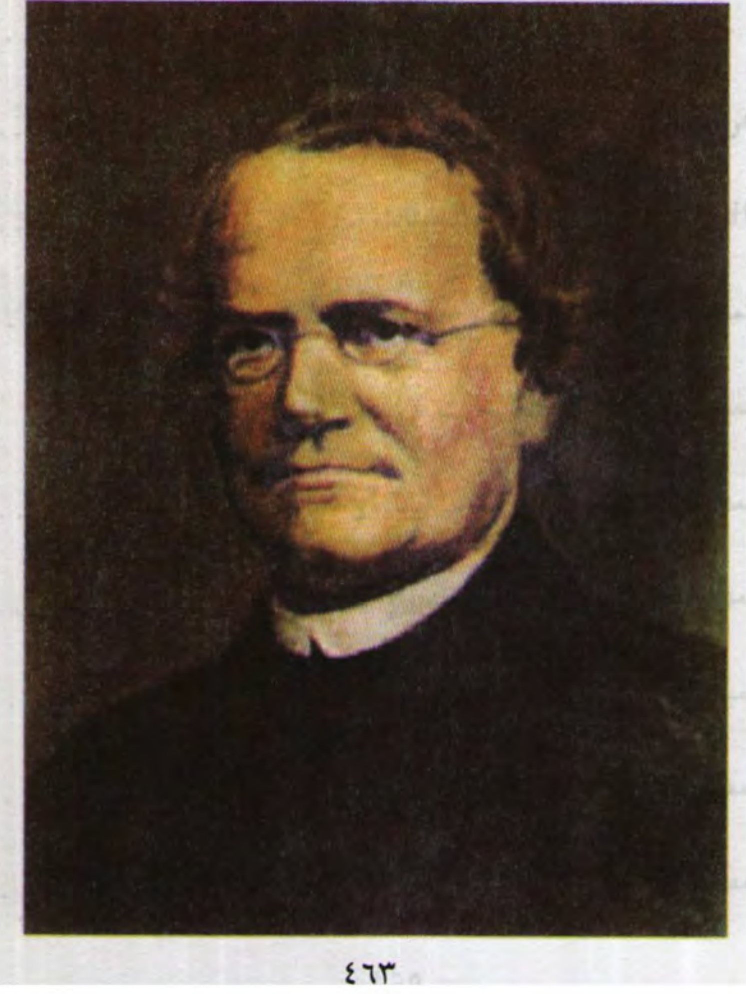


يوضح مراحل تخلق جنين الإنسان من اليوم الأول لإخصاب البيضة وتكوين النطفة الأمشاج إلى اليوم الستين من عمره.




Original
Correct copy
Original
Mutant copy





الفهرس

الخارطة الجينية

في ضوء الفقه الإسلامي

لا يخفى أن العلم في تطور وتجدد يوماً بعد يوم، وإن مما أكرم الله البشرية معرفة مبادئ علم الجينات، هذا العلم الذي فتح آفاقاً واسعة وأبواباً شاسعة في سبيل بيان حقيقة هذا المخلوق العجيب وغيره من مخلوقات الله تعالى على هذه البسيطة، وعلم الجينات بحر عظيم لا ساحل له وما عرفه العلماء اليوم ما هو إلّا قطرة في بحر زاخر من مكنون علم الجينات، فالله جل وعلا قد أودع من الأسرار العظيمة والحكم الجليل ما لا يدركه عقل إنسان، وقد أدرك العلماء المبادئ الأولى والأحرف البدائية لهذا العلم واستطاعوا كشف الكثير من هذه الومضة الصغيرة التي برقت لهم من هذا العلم العظيم.



كورنيش المزرعة - مقابل ثكنة الحلو - بناية الحسن سنتر، بلوك(2)، ط4 - بيروت - لبنان
تلفاكس 00961 1 306951 - 00961 7 920452 خليوي 00961 3 790520 ص.ب 6501 - 14
E-mail: library.hasansaad@hotmail.com


ISBN 9953561591
9 789953 561592